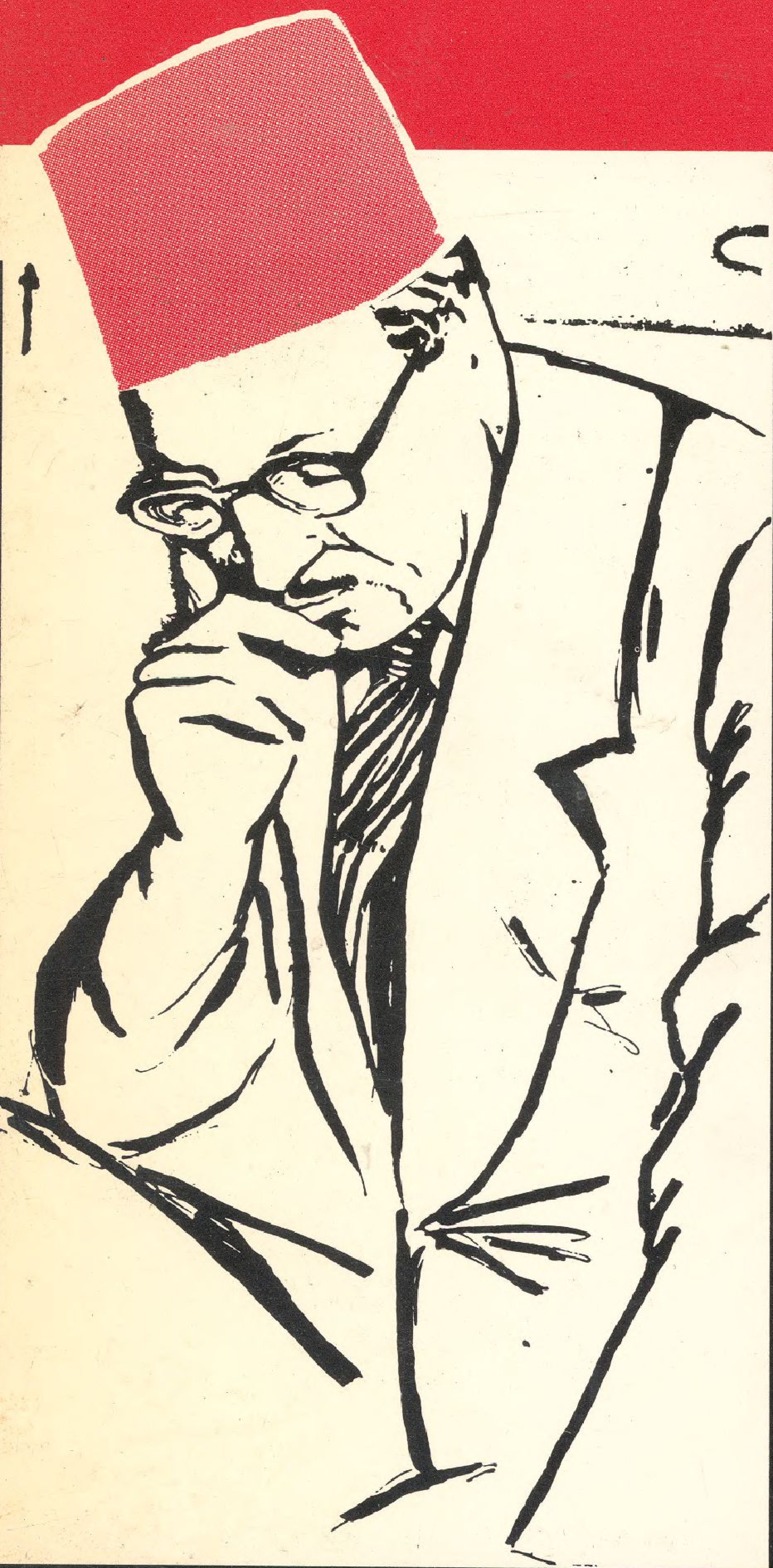
زهير مارديني

# اللدودان
# الوفد والاخوان







دار اقرأ

# السودان
# الوفد والاخوان

الطبعة الثانية

١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م

دار اقــرا
بيروت - الرملة البيضاء - سنتر ملكارت التجاري - ص. ب. ١٣٥٨١٨ - هاتف : ٨٠٦٢٥٢

زهير مارديني

# اللدودان
# الــوفد والاخــوان

دار اقــرأ

# المقدمة

بقلم: أحمد شومان

لعلّ أصعب وأدق أنواع الكتابة التي يتعرض لها الكاتب أو الصحفي أو الباحث ، هي كتابة الأحداث التاريخية لبلد من البلدان أو أمة من الأمم ، ولأبطالها صانعي تاريخها ، ملوكاً كانوا أم زعماء، وقادة أحزاب ، وأصحاب دعوة أو رسالة من الدعوات والرسالات ، التي نذروا أنفسهم لها وأسلست لهم الجماهير قيادها .

واذا كان من العسير الحكم عليهم إبان سلطانهم ، وتحكمهم بمصائر العباد والبلاد ، وهم أحياء في أوج قوتهم وزهو سيطرتهم ، فليس من اليسير محاكمتهم والحكم عليهم وهم أموات وعظامهم باتت مكاحل كما يقول المثل . . .

فالبطولة كل البطولة ، كلمة حق تقال لسلطان جائر ، انها خير من عبادة ألف عام .

والجبانة كل الجبانة ، بل الصغار كل الصغار ، نبش الجثث ومحاكمتها . . . فانما الجرأة على الأحياء لا على الأموات ولا يحابي ، هذا إذا بقي للتاريخ في العالم عموماً وفي عالمنا العربي خصوصاً ، ذمة تراعى وكرامة تصان وضميراً يحاسب ويحكم الحكم العادل المنزّه عن أغراض كاتبيه وباحثيه ومؤرخيه !

فلقد أصبح كتبة التاريخ في هذا الزمن المتردّي الرّداءة ، وهم أشبه بالمرأة القبيحة العوراء التي كانت تتعقب الشاعر الألماني الظريف « هيني » بالنقد والهجاء ، فكتب صاحبنا ذات يوم « إن كل امرأة تتعاطى الكتابة تكون عادة عينها على ما تكتب والعين الثانية على رجل ما . . . ما عدا فلانة ! » .

وهكذا هو الحال مع أكثر الكتاب في هذه الأيام الا من رحم ربك ، أو من أدركته الرحمة والاشفاق بنفسه وعقله على الأقل لا بنفوس القرّاء وعقولهم !

ولكن الأحكام واصدارها على الرجال الذين قضوا ، وتزوير الحقائق وتشويهها شيء ، وسرد الوقائع والمستندات المشفوعة بتواريخها وأسماء أشخاصها شيء آخر ، إذ تبطل المقارنة ويسقط الملام والعتاب لمن يتصدى ، منزّهاً عن الهوى ، لتسجيل حقبة أو تفصيل سيرة من سير الرجال ممّن لعبوا دوراً في حياة أممهم وشعوبهم ، سيّان ، أكانت سيرتهم سيرة العظماء الأتقياء أو كانت كحكايات الأفاعي الرقطاء !

وحين أسرّ الي الصديق زهير المارديني أنه بصدد تأليف كتاب عن حزب الوفد المصري وحزب الاخوان المسلمين ، لم أكتم اعجابي بالاسم الذي اختاره للكتاب وهو « اللدودان الوفد والاخوان » وإن كنت كتمت عنه خشيتي من المحاذير والمطبّات والحساسيات التي قد يتعرض لها المؤلف في نفض الغبار وهتك الأسرار عن المجلدات والسجلات التي حفل بها تاريخ هذين الحزبين زهاء أكثر من نصف قرن .

ولعلّ« مصريولوجية »زهير المارديني التي طغت على شآميته ولبنانيته ، هي التي دفعته دفعاً إلى الأخذ بتلابيب الوعد الذي قطعته له بأنني مستعد لكتابة مقدمة كتاب كهذا ، لأنني عشت في القاهرة جانباً كبيراً من هذه الحقبة التي يتحدث عنها مُفَصلاً ، عن حزبي الوفد والاخوان ، أعداء

الماضي وأصدقاء اليوم ، الذين جمعتهم المصيبة ، وكانت خبال الانتخابات المصرية هي التي شدّت أواصر القربى والمحبة وجمعتهم ولو الى حين . . من يدري ؟ فمن كان يظن أو يدور بخلده قبل أربعين عاماً خلت أن حزب الوفد سيصبح في يوم من الأيام حليفاً لحزب الاخوان المسلمين ؟

فالوفد المصري حزب القومية المصرية التي تقول بأن مصر أولاً وأن مصلحة مصر فوق كل مصلحة . والاخوان المسلمين هو حزب الدعوة الإسلامية المجردة عن كل قومية أو كل انتهاء الا الانتماء للدين الحنيف وشريعته . . .

ذلك هو حزب الوفد وذلك هم الاخوان ، كما قيّض لي أن أعرفهما من خلال إطلاعي ومعايشتي لسيرة أو سير زعمائهما وأهل الرأي فيهما في القاهرة منذ أربعين عاماً كاملة .

صحيح أن هواي لم يكن في يوم من تلك الأيام وفدياً . . . اللهم إلاّ اذا كان الوفد يعني « سعد زغلول » وما كان يعنيه سعد زغلول « زعيماً قومياً وثائراً مصرياً . . . » .

وصحيح أيضاً أنني لست « اخوانياً » بل لم أكن في يوم محبـذاً لهذه الدعوة الطاهرة التي انزلقت وهوت نحو أودية السياسة السحيقة وغاباتها الملأى بالذئاب والوحوش الضارية . . .

ولكن الصحيح أيضاً أن لي بينهم أصدقاء كنت أعتز بصداقتهم في طليعتهم شهيد الدعوة وشهيد العلم والعلماء سيّد قطب . . . إنه أحقهم بلقب الشهادة ، ذلك أنه لم يقتل أحداً ولم يحرض على قتل أحد ، ومع ذلك فقد أعدم وقتل مظلوماً ، فكان سيّد شهداء الاخوان وقطبهم الذي لا يدانيه قطب !

لقد شاهدت مؤسس الدعوة ومرشد الاخوان الشيخ حسن البنا مرتين

المرة الأولى عندما دعاني شقيقه عبد الرحمن البنا ، وكان زميلاً لي في كلية الحقوق في الجامعة المصرية ، الى حضور حفلة في جمعية الشبان المسلمين نظمها الاخوان وكان خطيبها المرشد الشيخ حسن . . . وأشهد أنني لم أستطع المكوث أكثر من دقائق معدودات فقد ولّيت هارباً وكان حريقاً أوشك أن يندلع في جنبات نفسي . . . كان الشيخ حسن خطيباً خطيراً أو هكذا خيّل اليّ وأنا أسمعه ينادي الاخوان بصوته الجهوري المؤثر :

« يا رهبان الليل وفرسان النهار أنتم خير أمة أُخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتصبرون على ما أصابكم ، الله أكبر ولله الحمد الله أكبر القرآن كتابنا الله أكبر الإسلام ديننا الله أكبر محمد قائدنا . . . » .

كان الشيخ حسن لفرط براعته الخطابية يتبع في القائه طريقة خاصة اذ كان يبتدىء بصوت شبه منخفض ، ثم يرتفع صوته بعد كل « الله أكبر » شيئاً فشيئاً ، وما أن يصل الى آخر هتافه حتى يجتاح نفوس الاخوان إعصار من الحماس المشبوب بنار العاطفة الدينية ، فتنطلق حناجرهم مدوية كقصف الرعد وتهتز أجسامهم في الهواء كالقصب الذي يصيبه الإعصار . . .

تلك كانت المرة الأولى التي شاهدت فيها مرشد الاخوان ، أما المرة الثانية فكانت أمام مدخل جمعية الشبان المسلمين ، حيث أتيت لأستمع اليه ثم لذت بالفرار كما أسلفت . . . كان الشيخ حسن يرحمه الله جثة هامدة ملقاة على رصيف الشارع والدماء تنزف منه . . .

لقد قتله أحد الشبان السعديين انتقاماً لرئيسهم محمود فهمي النقراشي الذي قتله أحد الشبان من الاخوان وهو عبد المجيد حسن ، وذلك على أثر القرار الذي أصدره النقراشي بحلّ حزب الاخوان وكان رئيساً للحكومة ووزيراً للداخلية يومئذ . . .

لقد انغمس الاخوان في دوامة الارهاب وسيّسوا الدعوة التي نشأت دينية صرف ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتجادل بالتي هي أحسن . فانتهى أمرهم بأن أصبحوا كغيرهم من رجال الأحزاب السياسية ، التي تبيع وتشتري وتفاوض وتساوم وتخاصم وتهادن وترتدي لكل حالة لبوسها . وتلك آفة الأحزاب السياسية ، والداء الوبيل الذي يستيطن أفئدة وعقول رجالها . . . بل هي آفة السياسة عموماً التي « ! دخلت شيئاً الاّ وأفسدته . . . وتاريخ الأحزاب أصدق شاهد على ذلك ، فما من حركة أو دعوة أو تنظيم « غطس » في هذا « المغطس » السّاخن الا وأدركته الحروق عاجلاً أو آجلاً . . . فإن كان حزب الله تحول الى حزب الشيطان . وإن كان حزب الحق والخير والجمال حولته السياسة والولوج في مستنقعها الى حزب الباطل والشر والقبح . وإن كانت رسالة المناقب والنهضة والتقدم ، حوّله العمل السياسي ، بمفهومه القميء الخادع الكاذب المزور ، نحو العمالة و « الزحفبطونية »[1] والانخراط في صفوف الأمعّات ليهوي بمن معه الى أسفل دركات الإنحطاط والتأخر والفساد . . .

تلك ضريبة السياسة والعمل السياسي ، بل هي الضربة القاتلة التي تصيب من ارتضى الشراب من مائها الأسن . . . ودونكم الأحزاب جميعها التي تمخض عنها العالم العربي من أدناه الى أقصاه !

وفي هذا الكتاب ، وهو مجموعة نادرة من الوثائق والمستندات ، التي استطاع زهير المارديني أن يجمعها بدأبه المعهود وصبره المعروف ، ما يلقي الأضواء على تاريخ حزبين كبيرين كان لهما دور كبير في تاريخ مصر الحديثة ، بل في تاريخ المنطقة العربية ، وهما حزب الوفد المصري

---

(١) « الزحفبطونية » الزحف على البطون .

والاخـوان المسلمين وقـد التقيا أخيـراً بعد طـول حـرب وخصـام وتقـارب وفراق طوال نصف قرن . . .

وقـد يجـمـع الله الـشـتيـتين بـعـدما
يـظنـان كـل الـظن أن لا تـلاقـيـا

ترى ؟

هل ستجمعهما الانتخابات المصرية القادمة لتفرقهما فيما بعد ثم يعـودا الى سيرتهما الماضية .

إنها ضـريبة الأحـزاب وسنّة الأحـزاب . . . ولن تجد لسنّـة الأحزاب تبديلاً !

أحمد شومان ____________________

# اللهم فاشهد !

لا أدري ، كيف خطرت على بال الاستاذ عدنان ناصر صاحب « دار إقرأ » ، فظنّ بي الخير ، فدفع بي الى هذا البركان وأرادني أن أتحدث عن قصة « الوفد » وحكاية « الاخوان » ، واني لأخشى عند الحصاد والبيدر أن أكون مع الفشل على موعد ! على أني عرفاناً للرجل ، سأمحو ثم أمحو ، أطراف هذا الفشل ما استطعت .

ولقد حسبت حين المباشرة بالكتابة ، أن أرضي مَواتٌ ! وأنني سأضطر ، من الخوف والقلق ، الى جعل العرار شجر الدوح ، والى تلوين الشيح حتى يكون منه الزنبق والنسرين ! وسرعان ما عرفت عند الدروب الأولى من البحث ، أني أنا المزعوم للحديث المؤثق عن ( الوفد)و ( الاخوان ) أول الجاهلين ببلادي ، وعقائد بلادي ، ورجال بلادي ، وأن عليّ أن أبذل الكثير من ذات وقتي ، ومن ذات نفسي ، لأعرّف النّاس بعض ما جهلوه عن الحزب والدعوة .

لا أنكر أن الأشواك التي صادفتها في طريقي تكاد تدمي يدي ، وربما أدمت بعد صدور الكتاب أكثر من اليدين ، ولكن الشيء الأكيد أن هذه الأشواك هي التي شجعتني ، وحببت اليّ المغامرة ، فمعظم تاريخ « الوفد » و « الاخوان » ما يزال مجهولاً ، معظمه ما برح محفوظاً في الصدور وما تخفيه الصدور ، والبعض الآخر موزع على الصحف القديمة

المتآخية مع الغبار . . ولست أريد الزهو اذا ذكرت أني حاولت أن ألملم هذا التاريخ من هنا وهناك . . . وقد يُغتفر لي بعض العثرات لإغفالي ذكر بعض ما أعرف ، وما اختزن من أسرار لم يأتِ الأوان لدفعها الى أسنان المطبعة ، فنحن نعيش في مجتمع شعاره : ( ما كلّ ما يُعلم يقال ) . ولقد يترك لي فرصة لكبوة أو أضلولة ، على أنني في كل الأحوال ، قد يمسح ذلك كله ببعض ما يحتضن هذا التاريخ من لذة المجهول ، وبما يحمل من مفاجآت . وأعترف أني فوجئت بنتاج طوي ، وأسماء توالت ، ومواقف لم تكتب بعد ، ومن الوفاء أن تكتب قبل الفوات ، فليس بدّ من ربط الماضي بالحاضر ، وليس بدّ من ارساء جذور هذا التاريخ في مستقره ، ليس بدّ .

وأخيراً ، فأنا مضطر أن أتكلم عن مواقف حية تركض حولنا ، وعن قادة شهود ، أعيش بينهم وفيهم الأصدقاء الأصدقاء ، وفيهم من تشفّ حساسيته حتى لتضيق بهمسة نقد ، وفيهم من ليست العقيدة أكثر من مرحلة من مراحل حياته ، ولا بد أن يقرأ هذا الكتاب بعض الأغرار الذين ظهروا أمس فقط على الطريق ، وهو الى تطور تام أو الى أفول .

ثم عليّ بعد ، أن أكون الراوية المحيط ، والناقد الثبت الذي لا يحابي ، والمتنبىء الذي لا يكذّبه الأمس والغد . . . وعليّ أن أرقص على الصراط فلا أهوي . وأن أعمل المبضع في سيرة قادة أحبهم البعض حباً جمّاً ، وكرههم البعض الآخر كرهاً جماً . . فلا تسيل المحابر والدماء ! أوليست هذه بالصعوبة الكبرى ؟

على أني سأحاول رغم الصعوبات ، أن أظفر بشيء لا أخجل به اذا قدمته ، ولا تضيق به أو تتسع عنه ، موازين النّاس ، وسأحاول الموضوعية في العرض ما استطعت ولو أني أعرف أنها ، في الأفق البديعي ( الاستيتيكي ) زئبقية الملامح كألاعيب الجنّ على الموج . .

أعرف قبل أن أبدأ أني لست بناجٍ من مخالف يجرحني ولو كان هذا الحديث تسبيحاً لله . . ولا بهارب من مخالف ينكر علي رواية ولو ذبحت الجهد ، ولا مبرِّىء من خطأ قد أجد من يردني عنه أو يشنعه عليّ ولوحرصت . .

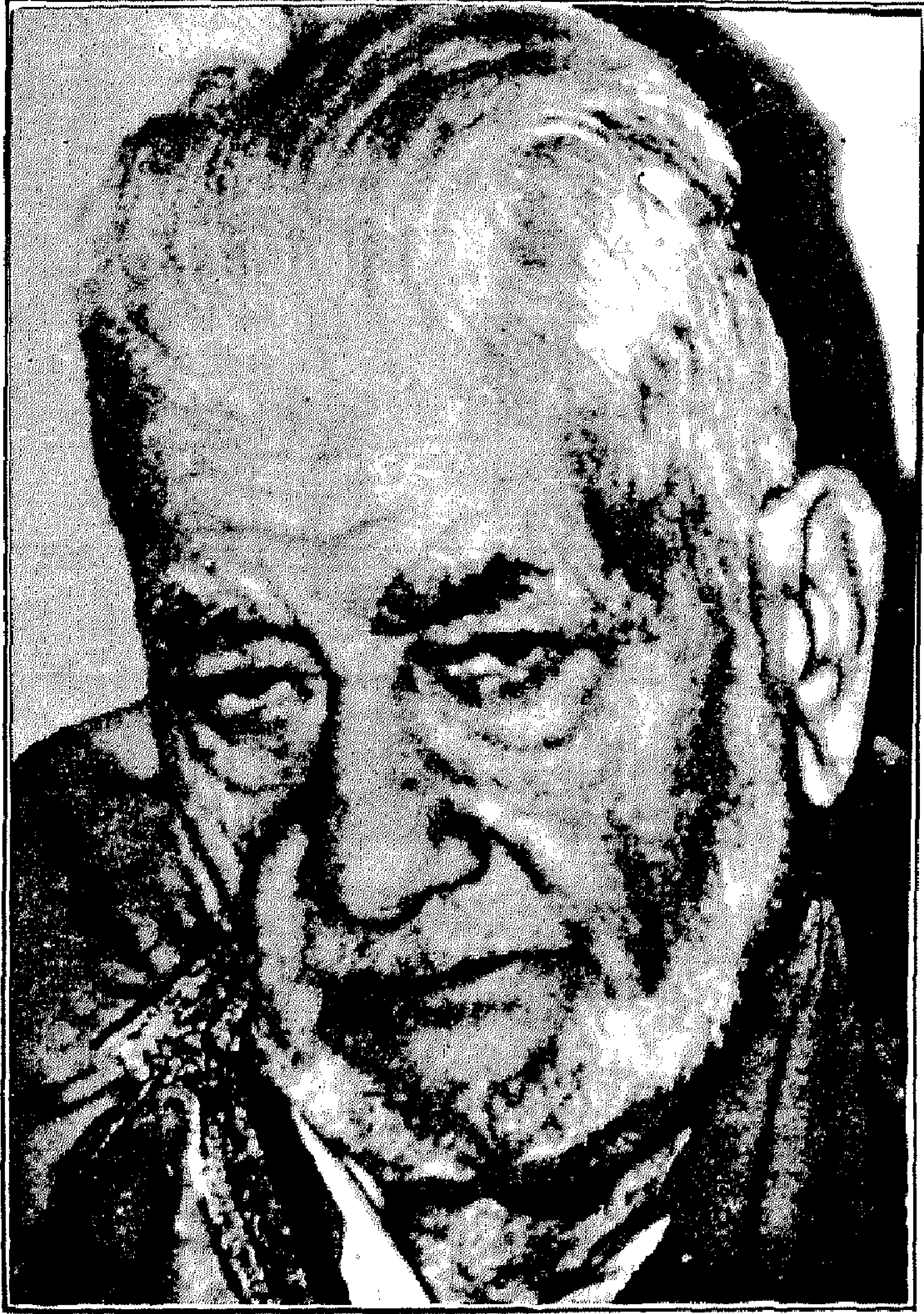
ومع ذلك ، فهذا حصادي الاّ أكن أحسنت به ، فهل ترى تشفع لي النية الحسنة ؟

ـــــــــــــــــــــــــــــــ زهير المارديني

# هـــذا الكتاب

تدفق على دور النشر والصحافة في الساحتين العربية والأجنبية منذ عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٨٤ سيل من المذكرات ، والأبحاث ، والمؤلفات عن ( حزب الوفد ) و ( حركة الاخوان المسلمين ) كتبها رجال دولة ، وسفراء ، وقادة من الحزبين الكبيرين ومن خصومهما ! . . بعض هذه المذكرات والأبحاث مادة أولية هامة لتدوين التاريخ ، وبعضها الآخر تبرير لما وقع ، وتأويل وتعليل . . . وفي هذا الفيض المتنافر والمختلف قيمة وأصالة تبرز بعض المذكرات الشخصية التي ما تزال مخطوطة ، وبعض التصريحات الخاصة عن الأحداث التي واجهها قادة حزب الوفد ، وقادة الاخوان المسلمين منذ أن التقيا على الساحة السياسية المصرية في خصومة تارة ، وفي تهادن تارة أخرى ، وأخيراً لا آخراً أمام المستقبل ، بعد أن أصبح الماضي بكل هوله وفزعه ينوء على كواهل الرجال ، كل الرجال بما حفل من كوارث !

لقد أتاحت لي ظروفي الصحفية ، وطبيعة عملي كمؤلف وملاحق للأحداث الاطلاع على هذه المذكرات الشخصية ، والمخطوطات الفريدة فأقبلت عليها لعدة أسباب ، منها لشخصيات أصحابها الغريبة ، المثيرة للجدل ، « حسن البنا » الذي ينسب اليه أبلغ الدهاء ، والذي أُحيط على مدى نصف قرن بالأحاديث الغامضة والحوادث الغريبة والأساطير . .



التلمساني : ابن الثمانين وبلغتها . . .

والمستشار حسن الهضيبي الذي خلفه ونال من الأذى والعذاب والألم ما لم يسبق أن ناله غيره من الرجال .

والاستاذ عمر التلمساني الذي خلف الهضيبي في تحمل المسؤولية الكبرى !

فلقد حمل هؤلاء الثلاثة على كاهلهم عبء الدعوة الإسلامية ، مع اخوانهم الذين وقفوا الى جانبهم ، ولكن الاقدار الظالمة سرعان ما وقفت في طريقهم .

ففي يوم ١٢ ( فبراير) ـ شباط ـ ١٩٤٩ كان حسن البنا يهبط من سيارته ليدخل دار الشبان المسلمين وما ان وضع قدمه على الأرض وتهيأ ليضع الأخرى مزّق الهواء صوت ست رصاصات تنطلق نحوه . . . تدفق الدم من صدره واختفى شبح القتلة في الطريق ، ونقل حسن البنا الى الاسعاف ، لم تكن اصابته قاتلة ولكنه كان ينزف ، ثم كان اتصال تليفوني غامض مع الاسعاف ، ترك بعده حسن البنا ينزف حتى مات . . . طيرت وكالات الأنباء خبر الجريمة التي ارتكبها مجهولون .

كان هؤلاء المجهولون هم الملك ورئيس الحكومة ( ابراهيم عبد الهادي ) ، وكل الجهات الأجنبية التي يهمها أن يقتصر الاسلام على أبحاثه الأكاديمية في نواقض الوضوء والتيمم ، ويبقى بعيداً عن مراكز توجيه الحياة أو قيادتها . . . منعت الحكومة الناس أن تمشي في جنازته . . وكانت جنازته هي أقصر جنازة في التاريخ حملت النساء نعشه ، وسار في جنازته اثنان أبوه و ( مكرم عبيد باشا ) سكرتير حزب الوفد . بكته الملايين في قلوبهم حين تطاير نبأ قتله كوهج الحريق . وبعد ثلاث سنوات احترقت القاهرة ، وتحرك الجيش المصري يقتلع النظام الملكي ويقذف به عبر البحر الى أوروبا . ومع الروح الجديد الذي حملته الثورة طالب الناس بكشف الجريمة الغامضة واعادة التحقيق فيها ، وكانت عجلة الزمان قد لفت فلم يعد القتلة في مقاعد الحكم أو عباءات السلطان ، كشفت اعادة التحقيق عن تواطؤ الدولة ، وكان أداة القتل ( أميرالايا ) في البوليس واثنين من مخبري وزارة الداخلية .

كشفت المحاكمة عن التهمة الموجهة لحسن البنا وهي : الدعوة الى الله .

كان يدعو الى الله ، ويدعو الى تحكيم كتاب الله في الحياة .

لم يكن الشهيد مفكراً جديداً في الاسلام ، ولا كان صاحب نظريات

فيه ، ولا كان كاتباً موهوباً ترك لنا آثاراً خالدة ، بل كان مجرد داعية الى الله . كان ترجمة عملية للفكر والكتب والنظريات والعبقرية الإسلامية ، وان رجلاً متوهجاً اذا التقى بأحد أوقعه في حب الله ورسوله ومضى به في طريق الآلام الذي ينتهي بالرصاص أو التعذيب أو الترويع .

ولقد ترك رجالاً كثيرين . . أيقظ فيهم حب الإسلام وكشف لهم عن كنز الإيمان في نفوسهم .

لقد استطاع هذا المؤمن أن يجعل من الدعوة تياراً شعبياً صارخاً في مدة وجيزة من الزمن . . . خلال بداية الأربعينات انطلق هذا التّيار من القارة ثم أخذ يتسع شيئاً فشيئاً بدأت الدعوة تنمو وتكسب انصاراً أخذوا يتزايدون باستمرار ، وبدأت الصحافة في مصر تتحدث عن لجان الاخوان وتشكيلاتهم ونوع التربية التي يأخذون بها أنصارهم ، والمصادمات التي كانت تقع بينهم وبين الوفديين في الاجتماعات والجامعات والمدارس .

وكان الحديث عن هذه الدعوة يحتل مكاناً بارزاً في أوساط الأقباط ، وبدأت الصلات تتوثق بين بعض مفكريهم والشيخ حسن البنا ، ورأى بعض الأقباط أن يقيموا صلات ودية مع الدعوة والدعاة ، كما رأى بعضهم الآخر أن انتشار هذه الدعوة بمثل هذا الزخم سيقيم ردود فعل تعصبية لدى البعض يقابله تعصب من الجانب الآخر ، وكلاهما لا يستسيغه المجتمع المصري ولا يقبله ، كما لا يستسيغه الدين ولا يقبله .

وتجري انتخابات ١٩٤٥ ويدخلها الاخوان ويقاطعها الوفد ، وتظهر في هذه الانتخابات تشكيلات الاخوان شبه العسكرية في بعض القرى ، كما تظهر أيضاً تجمعات الأنصار ويشعر الجميع أن قوة جديدة قد ولدت في الساحة المصرية تختلف عن القوى التي عرفها الشعب في الماضي البعيد والقريب ، وهذه القوة الفتية المنطلقة تجعل القرآن دستورها ومنهجها

وتؤلف تياراً جديداً دينياً في جوهره ، تأخذ الدين من وجهة نظر أخرى تجعلها مميّزة عن القوى الدينية الأخرى .

وكان الشيخ حسن البنا يتميّز عن أقرانه بصفات واضحة المعالم ، فالذي يتحدث اليه يجد فيه رجلاً رقيقاً سمحاً وديعاً أمْيَل الى القصر والامتلاء تضيء في وجهه اشراقة يفسرها من يقابله بأنها طيبة القلب ، وعمق في الرضى والايمان والتسليم ويفسرها أنصاره بأنها ( نورانية إلهية ) .

وهنا أذكر حديثاً خاصاً جرى بيني وبين الاستاذ ( مرتضى المراغي ) مدير الأمن العام في تلك الأيام والرجل الذي حقق في مقتل الشيخ حسن البنا سألته عن الانطباع الذي كوّنه عن الشيخ البنا فقال لي :

**« زارني الشيخ حسن البنا في مكتبي شاكياً تصرفات رجالي حيال الاخوان ، وكانت أول مقابلة خاصة بيني وبين الرجل الذي تربطه بوالدي شيخ الأزهر مصطفى المراغي صلات ودية ، فقلت له : ان أنصارك يدعون أن يكون القرآن هو الدستور والقانون ومصدر التشريع والحكم ، وأنت تعلم أن الدول الأجنبية وافقت على الغاء الامتيازات شرط أن يكون التشريع وفق المبادىء الحديثة »**

ورد الرجل في سماحة واشراق :

**« أنا لم أقل بهذا ، وانما قلت أن يكون القرآن وحي التشريع والسلوك ، ولم أحدد ، ولم أقصد أن تكون الحرفية هي الأساس ، انه سوء فهم من بعض الأنصار وأنا أصحح لهم المسار باستمرار ، وهم يستجيبون ، وما سمعته من بعضهم هو اتجاه شخصي ونزعة متزمتة لا أرضى عنها وأحذر من الاندفاع فيها »** .

ويمضي مرتضى المراغي قائلاً :

« . . وكان أن أصدر الاخوان المسلمون جريدة يومية تعبر عن آرائهم

ودعـوتهم ، وأفضى الي أحد الصحفيـين برغبتـه في أن يلتحق بالجـريدة ، ورجاني أن أوصي الشيخ حسن البنا به خيراً ، فاصطحبته الى دار الاخوان المسلمـين في الحلميـة الجـديـدة ، ودخلت المبنى وسط دهشـة الأعضـاء واستغرابهم ، اذ لم يسبق لمسؤول عن الأمن ان اقتحم عليهم مقرهم بمثـل هذه البسـاطة .

وفي غرفة جانبية صغيـرة ، الفيت الشيخ جـالسـاً الى مكتب صغيـر ، والغـرفة الصغيـرة مملوءة عن آخرهـا بأشتـات من الناس تبينت لأول وهلة أنهم من الاتباع والأنصار ، وهمّ الشيخ بلقائي في حفاوة بالغة حمدتها له ، وأثرت في نفسي تأثيراً شديداً ، وعاد الى مقعده وجلسته البسيطة العادية ، وطـوى رجليـه تحت جسمـه ، وأدنى رأسـه من رأسي مستـأنفـاً حفـاوتـه وترحيبه ، وقلت له : لعلّني لم أزعجك بزيارة لم يسبقها موعد . .

ولم أكن أعـرف أحداً من جـلاسه كـانوا من العـامة البسـطاء المؤمنين بـالشيخ ودعـوته ، وراقبتـه وهو يتحـدث اليهم في حنان وعـطف واخوّة ، يسأل عنهم وعن أولادهم وذويهم ومشكلاتهم .

ودخل الاستاذ محمد عبد الـرحمن نصير ، وهـو حينئذ عضـو في مجلس النواب عن ( بنها ) ثم انصر ف بعد قليل .

وقادني الشيخ الى غرفة واسعة أقرب الى أن تكون صالة فيها طاولة كبيرة تتوسطها وتحف بها المقاعد . . . لم تكن فاخرة الأثاث ولكنها كانت توحي بالاحترام ، وأكاد أقول الهيبة .

وأصبحنـا وحـدنـا ، ودار الحـديث عن الـدعـوة ثم عن السيـاسـة العامة . . وقلت للشيخ :

إن أنصارك يشتبكون مع الوفـديين من وقت الى آخـر . . ولا أكتمك أن الناس يقولون ان القصر يؤ يدك وينصرك ويـذيعون أنـك تتعاطف مـع

الملك ، وفي حدود معلوماتي ان هذا غير صحيح وأخشى أن يكون هذا الظن مما يضعف دعوتك لدى الشعب .

فضحك الرجل في ثقة واطمئنان وقال :

ماذا تريدين أن أصنع مع من يقولون إنني معهم أو إنهم معي . . دعهم يقولون ما يشاؤ ون أما أنا فأعرف طريقي ودعوتي .

ثم أدنى رأسه من رأسي وقال لي :

« أنت الآن من كبار المسؤولين ، ويمكنك أن تتصل بهم وتحدثهم بصراحة دون أن يتهمك أحد .

لا خلاص ولا تقدم للبلاد العربية الا اذا تخلصت من المسيطرين عليها . أنا أعرف أنك بحكم موقعك لست متعاطفاً مع الاخوان المسلمين ، ولن تكون منهم ، ولكني فيما أعرف عنك أنك رجل مستقيم ، وليست دعوة الاخوان إلاّ الأمانة والاستقامة ومن هنا أفضي اليك بدخيلة نفسي دون النظر الى منصبك الكبير في الدولة . . » .

ويقول المراغي :

وأنهيت المهمة التي جئت من أجلها وانصرفت .

ولم أرَ الشيخ بعد ذلك أو أسمع عنه الى أن حادثني في موضوع احتمال حل الاخوان المسلمين كما سيأتي شرحه .

ذكرت في هذه العُجالة لمحة عن مؤسس دعوة الاخوان المسلمين في محاولة لاستشفاف معالم الجو الذي كان يسود مصر في أواخر عام ١٩٤٨ .

لقد أخذ جو الكآبة والتوجس والخوف من العواقب يخيم على الوطن بعد حملة فلسطين ١٩٤٨ وما بدا من تعثرها ، وكان الاخوان قد شاركوا مشاركة فعّالة في هذه الحملة ، وسقط لهم العديد من الشهداء ، ولم يكن هذا الجو مفاجئاً ، فقد كانت له مقدمات ومقومات سابقة والأساس في كل

هـذا أن الشعب نحي عن تـولي سلطاتـه ، فقـد كـان القصـر مسيـطراً أو يكاد ، وكان الدستور قد انتهك انتهاكاً خطيراً حتى بدا ممزقاً ، أو كالخـرقة مجرد شعار لحكم أوتـوقراطي . تلك واحـدة ، وأخرى أنـه نشأت تيـارات جـديدة شـابة في الشعب استقـطبت جانبـاً كبيراً من الشبـاب ، واتخـذت صورة التشكيلات العسكرية في القمصان الخضر لمصر الفتاة ، والقمصـان الزرق التي نشأت في صفوف حزب الوفد ، ثم التشكيلات شبه العسكرية التي أنشأها الاخوان المسلمون .

وبدا في تلك الحقبة أن الجو السياسي في مصر يتجه نحو اتخاذ وسـائل للاصلاح وفرض الآراء ، تختلف اختلافاً جذرياً عن الوسـائل والأسـاليب الدستورية .

وقامت الحركات الجديدة على شعارات غامضـة وغير محـددة ليس فيها إلاّ البريق الذي يستهوي الشباب ، كالقول بـاعادة مجـد مصر وجعلهـا دولة قوية ، وإحيـاء الإسلام وسلطانـه ، ومقاومـة الفسـاد ، والتمسـك بالـطهر الأخلاقي ، وما إلى ذلك من تهويمات وأغراض ، أقـرب أن تكون أمنيـات منها الى أن تكون برامج سياسية للعمل، ثم ما وقـع من جمـود الأحـزاب القائمة دون أن تتطور في المفاهيم والمطالب بما يتفق مع ما تطور اليه العـالم بعد الحرب اقتصادياً واجتماعياً .

أمـا أحزاب الأقليـة فكانت تكـأة يضرب بهـا القصر حـزب الوفـد ، حزب الأغلبية ، ويتمكن عن طريقها من الاعتـداء على الـدستور ومحـاولة تفتيت الكتلة الشعبيـة الضخمة التي تلتف حـول حـزب الـوفـد ، حـزب الأمة .

أما حزب الوفد فقـد تطرق اليـه الضعف بالانشقـاقات التي وقعت في صفوفه ، وما ذاع في بعض الأحيان من ايثاره سياسة الملاينة مع القصـر ، ومـا نشره القصـر وأحزاب الأقليـة عن تصرفـاتـه ازاء الحـريـات وأخـطاء

الموظفين واقصاء البعض الآخر ، والمحسوبية . . . ومن ثم خروج مكرم عبيد عن الوفد واصداره الكتاب الأسود . . . .

كل ذلك مهد للحركات الجديدة وكفل لها التأييد الحماسي بين الشباب ، وتزعزع الايمان بالوسائل الدستورية ، وكان هذا وذاك طريقاً الى المنهج الجديد الذي يستند الى التفكير الفاشي ، وما يستتبعه من استخدام العنف مع الخصوم ، وجذب الانصار بالاندماج في التشكيلات العسكرية وشبه العسكرية .

وهكذا تهيأ الجو الى مرحلة من الارهاب والجرائم السياسية . كان أسبقها قتل المرحوم أحمد ماهر في شباط ( فبراير ) ١٩٤٥ ، وقتل أمين عثمان في ( يناير ) كانون الثاني ١٩٤٦ .

ولم يكن القتل السياسي معروفاً في مصر لفترة طويلة .

وتعددت حوادث القاء القنابل في فترات متفرقة في سنة ١٩٤٦ ، وفي سنة ١٩٤٧ وضعت قنبلة شديدة الفتك في دار سينما ( مترو ) ذهب ضحيتها عدد من النظارة الأبرياء . . ولم يكن يخلو من مغزى أن اختار ملقوا القنبلة يوم عيد جلوس الملك موعداً لارتكاب جريمتهم . وفي أوائل عام ١٩٤٨ قتل « الخازندار » وكيل محكمة الاستئناف ، بينما كان يغادر داره في الصباح ، وبعد ذلك بأسابيع شرع البعض في نسف دار مصطفى النحاس باشا بتفجير سيارة من الديناميت ، وفي ( يوليو ) - تموز - من السنة نفسها شرع مجهولون في نسف دار وكالة حكومة السودان ، وبعد ذلك بأيام ألقي طوربيد من الديناميت على محل ( شيكوريل ) و ( أوريكو ) ، ثم على محل ( بنزايون ) ومحل ( جاتينيو ) ، ووقع في شهر أيلول ( سيبتمبر)انفجار شديد في حارةاليهود،وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني ) وقع اعتداء على شركة الاعلانات الشرقية ، كما وقع فيه اعتداء على النحاس باشا أثناء عودته من النادي السعودي. . . وفي ٤



سراج الدين يتقبل التهاني بعودة حزب الوفد

( ديسمبر )ـ كانون الأول ـ قتل اللواء سليم زكي حكمدار العاصمة ، وألقيت قنبلة على المدرسة الخديوية ، أو في المدرسة الخديوية .

وعاشت مصر في هذه الفترة حياة عصيبة اختلطت فيها القيم الوطنية والقومية بالدم والجريمة والتهديد . وبدا أن البلاد تتناوبها تيارات مختلفة متعارضة متضادة ، لا تعرف أيها تدين وأيها تبرىء .

كان السير في الشوارع محفوفاً بالخطر والمخاوف ، وكانت الخواطر مبلبلة مضطربة ، والحياة السياسية شوهاء عرجاء عجفاء بتراء . سيطر عليها الارهاب والخوف ، وازدادت الحكومة ضعفاً . حتى بدأ الناس يرددون في مجتمعاتهم وأنديتهم ( أن البلد ملهاش صاحب ) .

وتقرأ في هذه المخطوطات والمذكرات الشخصية عن شخصيات حزب الوفد المصري ورجله فؤاد سراج الدين الذي تقلب في مناصب الدولة

الكبري في فترات حاسمة من التاريخ ، فكان الأمين العام لحزب الوفد ، وممثله البارز في الوزارة ، يطلع على أدق الأسرار ويتخذ المواقف .

فقد كان الرجل ، وما زال ، يمثل حزب الوفد - حزب الأمة - كما لا يمثله أحد بعد وفاة مصطفى النحاس ، فهو يتكلم باسم حزب الوفد بكل تراثه التاريخي كمن له سلطان ، ويربط مصيره بمصير مصر والوطن العربي ، وفي منتصف الأربعينات التقت حركة رجل الدين الداهية حسن البنا ، ورجل السياسة والحزبية فؤاد سراج الدين الذي بدأ نجمه يسطع في سماء حزب الوفد ، حزب الأمة . ولكن ماذا يعني حزب الوفد بالنسبة للجيل الجديد ؟

في ( ١٣ تشرين الثاني - نوفمبر - ) منذ ٦٦ سنة ، توجه ثلاثة من الزعماء المصريين هم : ( سعد زغلول ، وعبد العزيز فهمي ، وعلي شعراوي ) لمقابلة ( المعتمد البريطاني ) في مقره بالسفارة الانكليزية ودار الحماية وقتها ، مطالبين باستقلال مصر . . .

وقد ظن المعتمد البريطاني - حاكم مصر - انهم يحدثونه عن نوع من الاستقلال الذاتي أو ما الى ذلك . . . أي تخفيف الحماية البريطانية . اذ من غير المعقول أن يتوجهوا بغير ذلك الى الامبراطورية الخارجة من أكبر انتصار لها في حرب عالمية ومعظم شؤون الدنيا في يدها . ولكنه وجد لهجة مختلفة فتساءل مندهشاً :

هل يعني ذلك أنكم تطلبون الاستقلال ؟

ورد سعد قائلا :

نعم . نعم . نحن نطلب الاستقلال الكامل !

وظنهم النّاس حمقى ، فمن هذا الرجل الذي يتحدى أكبر امبراطورية وجيوشها تملأ مصر ذاتها !؟ وواصل سعد زغلول نشاطه بالخطابة في الاجتماعات العامة ، واثارة الرأي العام ، وتلقى الانذار بعد الانذار ،

حتى قرر الانكليز القبض عليه ، فانفجرت ثورة ١٩١٩ . وصار الرجل الوحيد زعيماً وراءه شعب بأكمله ، وعاش حتى مات لا يحاول أحد أن يتحدث جدياً عن مصر إلّا إذا تحدث معه ، وحين ظنوا في تمثيله وصحبه لمصر بعض الظنون ، جرت حركة جمع توقيعات الشعب المصري بالملايين لتفويضه بوفد يصاحبه في تمثيل مصر ، وهكذا ولد ( حزب الوفد ) ، ولد في خضم المعركة ، لأنه لم يوجد حزب حقيقي ولد ولادة طبيعية إلّا اذا ولد في معركة سياسية .

وقد ولدت بعده أحزاب الأقليات من تأليف القصر والانكليز لمحاولة تمزيق قاعدته الشعبية ولكن دون جدوى . كان يؤتى بها الى الحكم كأحزاب وتخرج من الحكم كأشباح .

وكانت ثورة مصر ١٩١٩ اشارة الى شعوب العالم أنه يمكن للثورة أن تقوم حتى على الانكليز . . وقال ( غاندي ) إنه لولا ثورة مصر لما ثارت الهند . .

وهكذا استطاعت ثورة ١٩١٩ في مصر بقيادة سعد زغلول ، ومن بعده النحاس أن تغير وجه الشرق ، وكان قيام دعوة الاخوان المسلمين في الأربعينات بمثابة التأكيد على وجود الحياة السياسية المنتظمة في هذا الشعب المؤهل تاريخياً للقيادة .

كان النظام الملكي في نهاية الأربعينات قد بدأ ينهار ، اذ لم يستطع أن يحل مشاكل مصر ، وغرق حزب الوفد ودعوة الاخوان المسلمين في خصومات تارة ، وفي تحالفات هشة تارة أخرى ، وتفاقم خطر التفكك الشعبي ، وبدأ شبح الفوضى مخيفاً ، وتقدم جمال عبد الناصر الى الحكم ومعه الضباط الأحرار وجماهير غفيرة تردد شعاراته وتدعو له بالنصر .

كان في طليعة المستبشرين المهللين قادة الاخوان المسلمين الذين فقدوا مرشدهم وزعيمهم حسن البنا ، فتجمعوا تحت وطأة الصدمة وانتخبوا

مرشداً آخر هو المستشار الاستاذ ( حسن الهضيبي ) . ولم تستطع هذه القيادة الوليدة حمل الأعباء الضخمة ، فكان صدامها مع الضباط الأحرار . ثم كان الفراق بكل ما حمل هذا الفراق من ضحايا وأهوال وتمزق !

في تلك الظروف ماذا كان على فؤاد سراج الدين ، رجل حزب الوفد ، أن يفعل ؟

وأي موقف يتخذ السياسي الملتزم بحزب تاريخي من الزعيم الثوري ؟

هل يلجأ الى المقاومة ؟ وفي السّرّ أو في العلن ؟

هل يؤثر الأمن والعافية ، ويتبرأ من السياسة ويهمل الشأن العام ، ويسعى الى قمة عالية كما فعل ( أبو هريرة ) حين اشتدت الفتنة بين الامام عليّ كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان ؟

هل يتعاون مع الزعيم الثوري ، ويتخلى عن بعض معتقداته وآرائه ويتنكر لماضيه أو طرف غير يسير من ماضيه ؟

حقاً إن طريق الواجب في الحياة العامة ، وخاصة في الوطن العربي محفوفة بالشوك والغبار والشك والخطر ، ولكن عندما تحدث الأحداث الكبيرة في البلاد وتتبدل أسس الدول وتنطلق الى الحكم قوى جديدة ، شديدة الاندفاع ، عندها يصبح طريق الواجب أمام الرجال مظلماً شديد الظلام ، يريد سالكه أن يهتدي وهيهات أن يجد بين يديه الضياء .

وفؤاد سراج الدين هو من طبقة في مصر تعتقد أن لها شأناً في تصريف شؤون الدولة ، ولا ترى لنفسها ، ولا يرى فؤاد سراج الدين لنفسه، أن يكون بعيداً عن المسؤولية حين تحدث الأحداث ويقرر مصير البلاد .

وقد علم الرجل بالاختبار المرير أن الأحزاب في مصر ، ومعها

الاخـوان ، لا يمكن أن تجتمع عـلى أمر بعـد الفـوضى والانحـلال الـذي لازمها أيام الملكية ، فاختار في البدايـة أن ينصح الضبـاط الأحرار معتقـداً أن الحكم سيروضهم ويصقلهم ويكسبهم الشعور بالمسؤولية . . . وكـانت لديه قناعة بأن جمال عبد الناصر بعد نهوضه بالواجبات الـرسمية سيتحـول من زعيم الى رجـل دولة ، ولكن كـل هذا لم يمنـع من اصـطدام الضبـاط الأحرار برجل حزب الوفد .

ولعـلّ أمتع وأنفـع ما سنطلع عليه من هـذه المخطوطـات والمذكـرات الشخصيـة تلك الصفحات التي يحـاول فيها رجـال الوفـد والاخوان تبـرير تصـرفاتهم ، في محـاولة للوقـوف أمام التـاريخ بمثـابـة شهـود ، وكـأني بهم يقولون إن الخيار في السياسة ليس بين الخير المطلق والشر المطلق وانما يدفع الشـر الكثير بـالخير القليـل ، ولا يستطيـع الرجـل العام أن يغـير الظروف المعطاة أو يبدل المـادة البشريـة العاملة في السيـاسة ، وانمـا عليه أن يفعـل ضمن حدود الامكان ، مع تلك المادة ، وفي تلك الظروف . . .

والسياسة بعد كل شيء هي ( فنّ الامكان ) كما يقول بسمارك !

ومن خـلال هذا المنـطق الذي يفـرض نفسه لا يمكننـا أن نعجب من اقدام « حزب الوفد » عـلى استئناف نشـاطه العـام ، ومن قيام « الاخـوان المسلمين » على لملمة صفوفهم للعودة الى العمل العام .

فبعد حياة مليئة بالأحداث ، والآمال الكبيـرة ، وخيبات الأمـل ، لا بد أن يكون الوفد ، وكذلك الاخـوان ، أصبحوا مقتنعـين باستحالة انقاذ الوطن بوسائل الماضي .

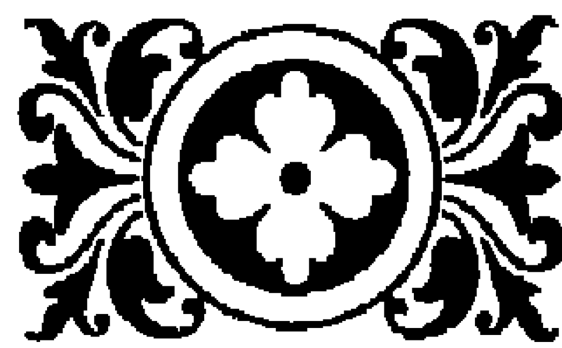
ونتساءل بعد اطلاعنا على هذه المخطوطات والمذكرات الشخصية التي ما تزال حبيسة السطور والصدور ما هو مركـز فؤاد سراج الـدين الآن من نظام الأشياء !؟ وهل يتاح لـه بعد السبعـين أن يلعب دوراً آخر ويستـأنف خدمته لأمته بأسلوب جديد ؟

لا نكـون مبالغـين اذا قلنـا إن فؤاد سـراج الـدين لم يتـوقف قط عن العمـل لبلاده ، ففي محـاكمات الثـورة كان يـدافع عن نفسه وعن مصـر أيضاً ، وفي السجن والمعتقلات كان أميناً على كرامته وكرامـة مصر ! وهذا ما سوف نـطلع عليه من خـلال سياق الحـديث عن العلاقـات التي سادت الوفد والاخوان ، قبل ثورة ٢٣ يوليو ( تموز ) ١٩٥٢ وبعـدها . . . وهنـا لا بـدّ من الاشارة الى أن أسـرار الثورة قـد عرف عنهـا الشيء الكثـير من بعض قادتها الـذين شاركـوا فيها وهي لم تـزل فكرة وليـدة ، وعرفنـا أيضاً الكثير من وجهات النظر حيالها ، بعضها محايد ، وبعضها منحاز ، أمـا مع الثورة أو ضدها .

الاخـوان المسلمون فقط هم الـذين لم يفصحوا عن حقيقـة علاقـاتهم بالثورة قبل قيامها وبعد قيامها . . . ألحّـوا في أكثر من منـاسبة بـأنهم كانـوا وراء الثورة ، وانهم آزروها فكراً ، ووقفوا الى جانبها حين قامت في أيامها الأولى ، وفي بعض الأحيان كانوا يفصحون عن رأيهم فيها صراحة ، حتى انهم قالوا أمام محكمة « الدجوي » الشهيرة خلال محاكمات ١٩٦٦ :

( ان الضباط سرقوا الثورة منهم ) . .

ونحن هنا نجد أنفسنا مضطرين الى ذكر الحقائق ، وهي حقائق تكاد مجهولة ، وحين ستظهر هنا من خلال السرد الواقعي والتاريخي ستكون ولا شك محل التقييم والفحص والتمحيص من المحللين والمؤرخين .



# دعــوة ودعـــاة
# مـأساة المـاضي ومشكلة المستقبل

منـذ أن بدأت أجمـع على الجهـد والصمت ما يتـوفر لـدي من وثـائق ومعلومـات عن دعوة الاخـوان المسلمـين وأنـا في حيـرة وذهـول من كثـرة التناقضات التي التفت حول الدعوة والدعاة .

كنت أعمل على جمع ما توفر لدي عن الجماعة سنة بعـد سنة لإعـداد مؤلف ما يزال يتكامل عندي حول قصة الاخوان المسلمـين ، هذه القصّـة المأساة التي لم تكتب حتى الآن لأسباب لم تعد خافية على أحد ، ذلـك لأن الذين عاشوا القصّة يرفضون الاقتراب من القلم ، ويمنعون أصـواتهم حتى من بوح الأسرار .

على أن ملاحقة ما يجري في مصر من نشاط سياسي لا بدّ أن ينعكس سلباً أو إيجاباً على الـوطن العربي جـرتني ـ دون أن أدري ـ الى الاسراع في اصدار هذا الكتاب الذي يجمع الاخوان والوفد عـلى صفحات متقـاربة . وذلـك من خلال أحـداث دونتهـا عـلى الـورق ، وتصـريحـات خـاصـة لم أنشـرها ، ومعلومـات عايشت صنّـاعها ، وتعـرفت عليهم عن قرب . . . ومن خـلال شخصيات سيـاسية .شكلت ذلـك الرعيـل الذي رافق مسيـرة تاريخنا الحديث وأعارنا عيونه والأقلام لنرى ونعرف حقيقة ما كـان يجري ، لا ما كان يقدم الينا على موائد الاعلام الرسمي والموجه .

لا خـلاف في أن دعوة الاخـوان المسلمين واحـدة من أهم الحـركـات

السياسية في تاريخ الشرق العربي التي لعبت دوراً مؤثراً في تطور هذا الشرق السياسي والاجتماعي والفكري منذ أن نشأت في عام ١٩٢٨ وحتى الآن . . . وخلال نصف القرن المنصرم دخل الاخوان في مجموعة من الصراعات السياسية مع أنظمة الحكم العربية التي تولدت عقب الحرب العالمية الثانية ، وهو ما انتهى بها الى صدامات دموية قلصت وجودها المعلن ، وألقت عليهم ستاراً من الصمت الثقيل اللهمّ إلاّ من أقوال خصومهم ومخالفيهم في الرأي . . . وكانت ردود الفعل بالنسبة للاخوان التقوقع على الذات ، واجترار مشاعر الانتقام والعزلة في السجون . من هنا كان لا بد من الاقتراب من هذه الدعوة بحذر للتحدث عنها بموضوعية . ويزيد من أهمية وضرورة الاقتراب هذا أنه أصبح من الثابت الآن أنهم ـ في مصر ـ يعوُدون للعمَل السياسي في مناخ تنشط فيه القوة السياسية الرئيسية وهي ( حزب الوفد ) . ومن هنا أيضاً كان من الضرورة بمكان أن يكسر حاجز الصمت الذي أحاط بالدعوة والدعاة ، فهم الآن في مصر خاصة يتكلمون عبر تجمعات ( شبه شرعية ) ، وعبر منابر فكرية متعددة ، كما أصبح من المتاح الآن أن يتكلم الآخرون عن تاريخ الاخوان ، وعن واقعهم القديم والجديد خاصة هؤلاء الذين ـ مع خصومتهم لهم ـ قد تعففوا عن الكلام عنهم بسوء يوم كانوا عاجزين عن الرد ، أو الدفاع عن أنفسهم .

كان من الطبيعي بعد الاعلان عن عودة الحياة السياسية والحزبية أن تعود جميع الحركات السياسية السابقة على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ للعمل ، ويعود الاخوان وهم أكبر تلك الحركات بعد حزب الوفد . . ولم يكن الاعلان الرسمي عن وجود الاخوان المسلمين على خريطة الحياة السياسية المصرية استمرار مجلتهم ( الدعوة ) بالصدور منذ عام ١٩٧٦ ، بل كان الاعلان الرسمي قد ظهر منذ عام ١٩٧٠ يوم فتح الرئيس الراحل محمد

أنور السادات أبواب السجون والمعتقلات فخرج منها الاخوان لاستئناف نشاطهم .

الخطوط العريضة لسياسة الاخوان المسلمين بعد عودتهم الى العمل العلني لخصتها مجلة ( الدعوة ) في عددها الأول ، فقد كتب الاستاذ ( عمر التلمساني ) المرشد المؤقت للاخوان ومدير سياسة مجلة ( الدعوة ) افتتاحية العدد الأول تحت عنوان :

( على طريق الحسنين ) . وقال :

**« .. . أما أولها فهو : ( حسن البنا ) الذي وصفه التلمساني بأنه ( مشعل زمانه على الطريق ) ذلك الذي ترك آثاره ونتاج فكره وفهمه للإسلام بناء شامخاً ، تحدى مفاسد العصر بمبادىء الاسلام وتكالبت عليه كل القوى ، وتجمعت ضده كل الأهواء والمشارب ، ومع ذلك بقيت النبتة الطيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء » .**



المرشد الأول
حسن البنا



المرشد الثاني
حسن الهضيبي

**وقد أبدت ( الدعوة ) اهتمامها بتراث ( البنا ) فأهدت الى قرّائها مع عددها الأول ( وصاياه العشر ) ، وخصصت زاوية في بعض صفحاتها لنقل مختارات من أقواله .**

**وأما الحسن الثاني فهو : ( حسن الهضيبي ) ـ الخليفة الأول المعتمد ـ .**

فاذا كان ( البنا ) قد مضى الى ربّه ، وترك ( النبتة يافعة ) ـ والكلام للتلمساني ـ فقد كان الهضيبي علامة زمانه ومشعل عصره ، يوم حمل الراية حريصاً لم يفرط ، عزيزاً لم يلن ، كريماً لم يهن ، وأدّى الأمانة ، أميناً في عزم ، قوياً في حزم ، ثابت الخطى في فهم ، فأكد معالم الفهم السليم للإسلام الصحيح في القول وفي العمل ، لم يثنه حبل مشنقة ، ولم يرهبه سجن ولا تعذيب ، بل زاده الأمر اصراراً على اصرار وصموداً فوق الصمود .

إن هذا السير على الطريق ، ليس جهداً تاريخياً تقصد فيه ( الدعوة ) الدفاع عن تاريخ الرجلين ، فهي لا تعتبر نفسها مجلة تاريخية أو مبدأ فكرياً ، ولكنها تدخل مباشرة في معمعة السياسة وتخوض بحرها مؤكدة أنها صوت الدفاع عن الماضي ، كما هي صوت الدفاع عن الحاضر . ولذلك أعلنت ( أنها في صف المضطهدين من الاخوان ، صوت المعذبين بلا جريمة ارتكبوها الاّ أنهم قالوا ربّنا الله ولا نعبد سواه ) .

واضافة إلى ذلك فان ( الدعوة ) تعتبر نفسها صاحبة حق في اصدار بيانات باسم الاخوان المسلمين ، وعلى لسانهم ، ففي العدد الثاني منها ( آب ـ اغسطس ١٩٧٦ ) نشر مدير سياستها الاستاذ عمر التلمساني بياناً ينفي التهمة التي وجهتها بعض الصحف السودانية بأنهم شاركوا الشيوعيين في محاولة الغزو التي جرت آنذاك ، ضد الرئيس النميري .

إن وضع الاخوان الراهن ، يرتبط تمام الارتباط بنشأتهم ، وبالتطورات التي لحقت بالأوضاع السياسية في مصر ، وانتهت بتسكينهم خريطة الصراع السياسي والاجتماعي بكل تعقيداتها .

ودون الوقوع في املال السرد التاريخي ، فقد سكن الاخوان تلك الخريطة في نهاية العشرينات واتخذوا طابعاً يرفع شعار العودة الى الماضي ، وتجديد شباب الأمة الإسلامية بقيادة حركة اصلاح ديني اسلامي ، باعتبار

أن ذلك هو الحل الأمثل لمشكلة مصر ومشكلات الوطن العربي . لهذا فان الحديث عن الدعوة والدعاة يضطرنا الى العودة قليلاً الى الوراء للتعرف على هذه الجماعة وقادتها .

نشأت جماعة الاخوان بمدينة الاسماعيلية حوالي ١٩٢٧ كجمعية دينية تحض على ( الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ) ، وتعلق نشاطها في البداية بالوعظ الديني ، والدعوة لاقامة المساجد أو لبناء مدرسة مع استثارة المشاعر الاسلامية لدى الناس ضد مظاهر التحلل الأخلاقي .

ويذكر الشيخ حسن البنا في مذكراته[1] أنه خلال الفترة الأولى من نشاطه بالاسماعيلية وشى البعض به لدى السلطات المحلية هناك مشككاً في موقفه من الملك ومن حكومة صدقي الاستبدادية التي ألغت الدستور في أواخر عام ١٩٣٠ ، ولكن ثبت من التحقيق أن الشيخ ( وكان يعمل مدرساً ) كان يملي طلبته في دروس الإملاء موضوعات يتوخى فيها الثناء على الملك فؤاد وتعداد مآثره ، وانه دفع العمال يوم زيارة الملك للمدينة الى التجمع لتحيته حتى يفهم الأجانب في هذا البلد أننا نحترم ملكنا ونحبه ) . . وان أحد رجال البوليس كتب تقريراً بهذه المناسبة أشاد فيه بأثر الجماعة الروحي في تقويم من لم تنفع معهم وسائل التأديب البوليسية ، واقترح ( أن تشجع الحكومة وتعمل على تعميم فروع هذه الجماعة في البلاد حتى يكون في ذلك أكبر خدمة للأمن والاصلاح ) . كما ذكر أن بناء الجماعة لأحد المساجد بالاسماعيلية قد تبرعت به شركة قناة السويس بدفعها مبلغ خمسمائة جنيه لإتمامه ، مما أثار اعتراض البعض حول جواز بناء المسجد ( بمال الخواجات ) ، ولكن الجماعة كانت قبلت التبرع وردت هذا الاعتراض بأن ( هذا مالنا لا مال الخواجات والقناة قناتنا والبحر بحرنا والأرض أرضنا ، وهؤلاء غاصبون في غفلة الزمن ) .

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية : حسن البنا . ص ٨٩ - ٩١ .

ومـا لبث الدعـوة أن بدأت تنتشـر خـارج الاسمـاعيليـة ، في ( أبـو صـوير ) القـريبة منهـا ، ثم في ( بور سعيـد ) والبحـر الصغـير والسـويس والمحمودية وفي القاهرة في ذات الفترة .

ومما يساعد في معرفة الأساليب التي لجأ اليها الشيخ في بداية دعوته ما ذكره عن زيارته لأبو صوير[1] ، اذ رأى أن ينشىء بها فرعـاً للجماعـة ، فـذهب اليهـا وصـار يتفـرس في وجـوه النـاس في الـطرقـات والمقـاهي والحوانيت حتى رأى صاحب دكـان « وقوراً مهيبـاً سمحاً فيـه صلاح ولـه منطق ولسان » ورأيته يبيع ويتحدث الى زبائنه فتوسمت فيه الخير فسلمت عليـه وجلست اليه وإلى من معه في الدكـان وقدمت اليـه نفسي والغرض الـذي من أجله زرت أبو صـوير وأنني تـوسمت فيه الخـير ليحمل أعبـاء الـدعـوة ، وأخـذت في حـديثي ألفت نـظره ونـظر الجـالسـين الى نقط أساسية :

الى سمو مقاصد الاسلام وعلو أحكامه والى مـا في المجتمع من فسـاد وشرّ وسوء ، والى أن ذلك ناتج عن تركنا واهمالنا لأحكام الإسلام ، والى وجـوب الدعـوة الى تصحيح هـذا الـوضـع ، والا كنـا آثمـين لأن الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر ، وبـذل النصيحـة فـريضـة واجبـة والى أن الطريقة الفردية وحدها لا تكفي » . . .[2] .

لم تكـن الفكـرة الأساسيـة لدى الشيـخ اذاً قاصـرة على انشـاء جماعـة خيـرية ، أو جمعيـة تقوم بـالخدمـات الاجتماعيـة ، انما كـانت فكرة أبعـد وأشمل تتصل بالمجتمع كله ، وتحاول أن تحيط بظواهره المختلفة وتردها الى سبب واحد وتقترح لعلاجها منهجـاً واحداً ، وتحـاول أن ترسم للمستقبـل صورة سلفية مستمـدة من التاريـخ . وكان أسلوب نشـرها[3] يعتمـد على

(١) نفس المصدر : ص ١٥٧ .
(٢) المرجع السابق : ص ١٠٠ .
(٣) المرجع السابق : ص ـ ٥١ .

اثارة الوجدان الديني اثارة ترتبط بذكر المفاسد والشرور الاجتماعية ، مع التنقيب عن أوجه ارتباط المشاكل الشخصية على المستوى الفردي والمشاكل الاقتصادية على المستوى الاجتماعي بهذا الفهم العام .

وساعد على قبول الدعوة ما أطلق عليه السلفيون وقتها ( الموجة الالحادية ) ، اذ ألغيت الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة في تركيا عام ١٩٢٤ ، واذ كانت الجامعة المصرية تعمل وقتها على نشر الفكر العقلاني والدعوة لمناهج البحث العلمي ( ظهر كتاب طه حسين عن الشعر الجاهلي الذي دعا فيه الى تبني المنهج العلمي في بحث التاريخ العربي والاسلامي ، وكتاب الشيخ علي بعد الرازق عن الخلافة وأصول الحكم في الاسلام الذي حاول فيه أن يثبت انفصال فكرة الخلافة عن الأسس الدينية للإسلام ، وذلك في عامي ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ واستقبل الكتابان كأي جديد خطير من المستنيرين بحماس كبير ومن السلفيين بسخط شديد ) ومن جهة ثانية كان هناك نشاط بعثات التبشير المسيحي الأجنبية وحوادث التقاطهم صبية المسلمين وردهم عن دينهم مما أثار لدى الكثيرين ذعراً هائلاً . وقد بدأ الشيخ يربط بين هذه الظواهر كلها ويستفز لدى الناس ردود الفعل المختلفة عنها ويستثير لديهم العواطف الدينية . وكان طريقه الى رجال الأزهر خاصة « المؤسسة الدينية الرسمية ذات الخطر » هو استثارة روح الدفاع لديهم عن مراكزهم الاجتماعية ومصالحهم الاقتصادية : [1]

**« . . إن لم تريدوا أن تعملوا لله فاعملوا للدنيا وللرغيف الذي تأكلونه ، فانه اذا ضاع الإسلام في هذه الأمة ضاع الأزهر وضاع العلماء فلا تجدون ما تأكلون ولا ما تنفقون ، فدافعوا عن كيانكم ان لم تدافعوا عن كيان الإسلام » .**

وكان رد فعل دعوة الشيخ بالاسماعيلية أن استطاع جذب البعض كما

(١) المرجع السابق : ص ٨٩ ـ ٩١ .

اكتسبت عداء من أسماهم الداعي بالوشاة والدساسين . ويظهر من الخطبة الأولى التي ألقاها الشيخ بمسجد الاخوان[1] بالاسماعيلية أن الهدف الأساسي الذي جعلته الجماعة أمامها في هذا الوقت هو بناء المساجد ، وانها لم تستهدف من بناء المساجد انشاء دور للعبادة فقط ، ولكن اقامة دور للتعليم ، وقد هاجم الشيخ المدارس والمعاهد المبتدعة التي يخرج منها الأبناء « **وقد تسممت عقولهم بالأفكار الخبيثة الفرنجية ، وحشيت أدمغتهم بالآراء الالحادية وشبوا على التقليد والاباحية** »[2] . كما كان المسجد بالنسبة للجماعة هو مكان الالتقاء بالجماهير وتحريكهم واختيار العناصر الصالحة منهم لعضوية الجماعة .

وفي عام ١٩٣٢ انتقل حسن البنا الى القاهرة مدرساً بمدرسة عباس بالسبتية[2] وانتقل مركز الثقل في الدعوة الى العاصمة ، وتعددت نواحي النشاط بإلقاء المحاضرات والدروس واصدار الرسائل والنشرات وعقد المؤتمرات واحياء الاحتفالات الدينية وانشاء شعب الجماعة في القاهرة والأقاليم .

كما أصدرت الجماعة مجلة أسبوعية باسمها « تفاؤلاً بأنها ستكون جريدة يومية »[3] واستهداف انشاء جريدة يومية مطمح سياسي واضح ، والصحيفة اليومية بالضرورة تكون صحيفة سياسية اذ يصعب تصور أن تقتصر على الثقافة والفكر بغير مشاركة في الأحداث السياسية ، وكان من أهم تطورات الجماعة أنها بدأت تركز نشاطها في الدعوة على محيط الجامعة والمدارس والأزهر ، وانشأت قسماً للطلاب بداخلها ، وأنها بدأت تنظم تشكيلات من فرق الكشافة ، وهي بذلك تحاول السيطرة على حركة الشباب مع توجيههم الى تشكيلات ذات طابع عسكري ترتبط بها .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٣٨ .
(٢) حسن البنا كما عرفته : فتحي العال . ص ٥٤ .
(٣) مذكرات الدعوة والداعية : حسن البنا ص ١٤٩ .

والتطور الهام الذي صادفته أيضاً انها بدأت تتصدى للمسائل السياسية باتخاذ مواقف من الحكومة ومن الأحزاب . وكان هذان التطوران يزيد كل منهما أهمية الآخر .

وكان تصدي الجماعة للمسائل السياسية يتم في هذه الفترة لا من خلال الصراعات الحزبية الصريحة ، ولكن من خلال الدعوة لجملة من المبادىء السياسية العامة مثل مهاجمة الحزبية والزعامة :

« يجب أن يكون الزعيم زعيماً تربى ليكون كذلك ، لا زعيماً خلقته الضرورة وزعمته الحوادث فحسب أو زعيماً حيث لا زعيم » .

« بيد أن زعماء خلقتهم الظروف أرادوا أن يستعجلوا النتائج قبل الوسائل وخدعتهم غراراتهم بقيادة الشعوب ومكائد السياسة فظنوا السراب ماء . . » .

« سل أي زعيم سياسي ، رئيس الوفد أو رئيس الأحرار أو رئيس حزب الشعب أو رئيس حزب الاتحاد ، عن المنهج الذي أعدّه للنهوض بالأمة والسير بها الى نوال أغراضها . . » .

وفي ظروف تلك الفترة كانت الدعوة لرفض الحزبية دعوة توجه ضد « حزب الوفد » في الأساس ، وكان جهد السراي أن تحطمه إما باصطناع أحزاب منافسة أو بالدعوة لتحطيم الحزبية ما دام حزب الوفد هو الذي يستفيد من وجود الحزبية . وكان الحديث عن الزعامة يحمل غمزاً واضحاً في الزعامة الوفدية ، باعتبارها الزعامة الجماهيرية الوحيدة وقتها . وأيّاً كان الرأي في ذلك فالمهم ان ذلك كان يمثل مواقف سياسة محددة لجماعة الاخوان المسلمين ـ وان كانت مستترة ـ من الصراعات الدائرة وقتها ، وبهذا نبيّن أن حركة الإخوان خلال السنوات العشر الأولى لم تكن حركة اجتماعية أو دينية فقط ، بل كانت ذات لون سياسي مستتر نوعاً ما . . . وفي ( مايو ـ أيار ) ١٩٣٨ أصدرت الجماعة مجلة ( النذير ) سياسية

أسبوعية ، واتخذ عملها السياسي أسلوباً سافراً .

اختارت الجماعة لظهورها السياسي السافر ١٩٣٨ التصدي للوفد ، اذ كانت معاهدة ١٩٣٦ قد أبرمت وهزت شعبية الوفد الذي شارك في ابرامها ، وكان الصراع محتدماً بين ( الوفد ) وبين الملك وأحزابه للقضاء على هذا الحزب بعد أن أخذت منه الموافقة على المعاهدة ، وأراد الملك وأعوانه أن يخلو للاخوان وجه الحياة السياسية من دون حزب الوفد ، وظهر للسراي من تجربتي حزبي الاتحاد ١٩٢٥ والشعب ١٩٣١ فشل محاولاتها انشاء حزب لها ، فأصبح عليها أن تعتمد في صراعها مع الوفد على العواطف الجماهيرية الفجّة تجاه فاروق الذي تولى الملك صبياً ، وعلى حزب السعديين الذي انشق على الوفد ببعض قياداته القديمة ، كما رأت السراي الاقتراب من أي تنظيم جاهز تمكن له من القوة لقاء استخدامها إيّاه ، وفي هذا الوقت كانت المانيا وايطاليا تزدادان نفوذاً وكانت سحب الحرب العالمية تتجمع ، ورأت السراي أن توثّق صلتها بمن يحتمل أن يصبحوا سادة العالم الجدد فظهرت ميولها المحورية، ثم كان لثورة فلسطين التي نشبت في ١٩٣٦ وقع شعبي شديد في مصر . كان علي ماهر باشا رئيس الديوان الملكي آنئذ صاحب النفوذ الأكبر على الملك الشاب ، فهو الذي دفعه لانتهاج هذه السياسة ، وبدأ يقيم مؤسسة سياسية لمصلحته الخاصة وطموحه الشخصي .

## الانشقاق الأول داخل الإخوان

أوضح الشيخ حسن البنا في افتتاحية العدد الأول من مجلة النذير أن الجماعة انتشرت وبلغ عدد شعبها ثلاثمائة شعبة وانها ستنتقل « من دعوة الكلام وحده الى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال » ثم حدد منهجه بأنه سيبدأ بتوجيه دعوته الى قادة البلد ورجال السياسة والحكم والأحزاب ، ووجه حديثاً للإخوان بقوله انهم لم يكونوا في الماضي

**يخاصمون أي حزب أو هيئة ولا ينضمون اليه ، أما الآن فلن يكون هـذا الموقف السلبي هو الموقف المناسب بـل « ستخاصمـون هؤلاء جميعاً ـ الأحزاب ورجال السياسة ـ في الحكم وخارجه ، خصـومة شـديدة لـديدة إذا لم يستجيبـوا لكم . . » ثم اختتم حديثـه بقول : « وان لنـا في جلالـة الملك المسلم أيّده الله أملاً » .**

وقد ترتب على هذا أن وقع شقاق داخل الجماعة بين اتجاه المرشـد ، وبـين من رغب من أعضائهـا أن يقتصر نشـاطها عـلى شؤون الدين والبـر فقط .

ويذكر كتاب الاتجاهات السياسيـة والدينيـة في مصر الحـديثة « انـه في عـام ١٩٣٩ اجتمع جمـاعة من أفضـل ممثلي الاخـوان ووجهـوا انـذاراً الى المرشد الشيخ حسن البنا بطرد أحمد السكري لاتجاهـاته السيـاسية وبقـطع الجماعة كل اتصالاتها السياسية خاصة مع علي ماهر »[1] .

ولكن المـرشد رفض قبـول الانذار وطـرد من وقفـوا ضـده وهـددهم بابلاغ البـوليس عنهم ان هم أذاعوا أسـرار الجماعـة ، وكان بعض هؤلاء المعارضين ينتمي الى الوفد ويفضل الارتباط في العمل السياسي بـالوفـد لا بعلي ماهـر ، كما ذكـر الكتاب أن من الشـواهد مـا يثبت أن البوليس كـان يحمي حسن البنـا بتعليمـات من السلطات العليـا ، وتقـول ( كـرستينـا هاريس ) إنه في هذا الوقت نما أكثر وأكثر الطابع الدكتـاتوري لحسن البنـا في الجماعة وأصبح واضحاً أنه ينوي قيادة الحركة في ميدان السياسة[2] .

وجاء في مذكرات الدعوة والداعية ، ما أورده البنا :[3]

إن كان خرج على الجماعة وهي لا تزال بالاسماعيليـة بعض الأعضاء

---

(١) Christina Harris: Nationalism and Revolution in Egypt - p. 182.

(٢) المرجع السابق : ص ٧٩ .

(٣) مذكرات الدعوة والداعية : ص ١٢٩ .

وطبعوا نشرات « أتهمها المرشد بالاغراض » ذكروا بها «أن حرية الرأي مفقودة في الجماعة ، وأنها تسير على غير نظام الشورى ، وان مجلس ادارة الجماعة وجمعيتها العمومية لا تخالف للمرشد رأياً أو أمراً وتطيعه طاعة عمياء »(١).

وعندما اجتمع المؤتمر الثالث للإخوان المسلمين بالقاهرة أوضح مستويات العمل بالنسبة للأعضاء وفصّل التنظيم الاداري للجماعة ، ووضع للعضو مراتب تبدأ بالأخ المساعد ، ثم الأخ المنتسب ، ثم الأخ العامل ، ثم المجاهد . ثم حدد هيئات الجماعة بأنها :

- المرشد العام .
- مكتب الارشاد .
- مجلس الشورى ، الذي يتكون من نواب المناطق ، ونواب الأقسام ، ونواب الفروع ، ومجالس الشورى المركزية ، ومؤتمر المناطق ، ومندوبو المكاتب ، وفرق الرحلات ، وفرق الأخوات .

وبعد أن أورد المؤتمر هذا التحديد أورد في قراراته عبارة :

**« . . . وقد ترك المجتمعون لفضيلة المرشد العام تحديد مهمة كل هيئة من هذه الهيئات ووضع البيان الذي يوضح ذلك التحديد »** ، وان مؤتمرا يرسم للجماعة كيانها التنظيمي ويعتبر السلطة العليا فيها لتمثيله كافة أعضائها ، ويترك للمرشد أن يحدد اختصاصات كل من أجهزة العمل داخلها وطريقة تشكيله . . . انما يمنح المرشد كل سلطته ويمنحه الهيمنة الكاملة على أجهزة التنظيم ومستوياته المختلفة ، وليس المهم تحديد أسماء الأجهزة المختلفة ، انما المهم تحديد وظائفها وطريقة تشكيلها ، وترك هذا الأمر للمرشد يعني أن يصبح هو مانح السلطة والموجد الفعلي لأي جهاز في الجماعة فتتجسد سلطات المؤتمر فيه . . . والمهم في هذه الملاحظة هو توضيح أسلوب العمل في الجماعة وعلاقة زعيمها بأعضائها من خلال

(١) مذكرات الدعوة والداعية : ص ٢٠٦ .

الأجهزة المختلفة ، وقد حرص المؤتمر على أن يقوم برسم الكيان الشكلي للتنظيم بغير وظائف ولا تشكيل . وأفاد ذلك المرشد بأن أضفى على تصرفاته الشخصية صفة الأعمال الجماعية الصادرة عن هيئة المؤتمر وبأن جسد في إرادته ارادة هذه السلطة التنظيمية العليا ليصدر في تنظيم الجماعة عن ارادته المنفردة باسم المؤتمر . وليصبح نشاط أي من أجهزة الجماعة بعد ذلك ممكن الصدور عن مشيئته هو في قالب نظم ومستويات ، وهذا يزيد المشيئة الفردية تسلطاً بقدر ما يجعلها أكثر استتاراً وراء الأبنية التنظيمية ، ويمكن أن يتصور كيف يستفاد من هذا الوضع في فرض الهيمنة الشخصية ، وليس في مقدور جهاز ما أن يعارض أو يجابه منشئه القادر على تغيير وظائفه وتغيير القائمين عليه واستبدالهم ، ويمكن أن يتصور ما يتأتى بذلك من القدرة على ربط الكافة ـ أجهزة وأفراداً ـ بالمرشد واذكاء روح المنافسة بينهم ليصبح الملاذ الوحيد لهم فيزيد تعلقهم به ، وتزيد قدرته على تنفيذ ما يريد من خلالهم وعلى مسؤوليتهم هم ، ويلاحظ على حوادث المعارضة التي واجهت المرشد أحياناً انه كان متحكماً دائماً في أجهزة التنظيم وظائف وعاملين مختفياً عند الضرورة وراء هذه الأبنية فعالاً من خلال الآخرين ، حريصاً بعد ذلك على ألاّ يسيطر من دونه أي من أجهزة الجماعة على عملها أو أن ينكشف له وجوه نشاطها كله ، كما ظهرت بعد وفاته المنافسات القائمة بين من هم دونه .

ومن المعروف أن كان الشيخ البنا ينشىء علاقات مع المتعاطفين مع الجماعة من بعض رجال الدولة والشخصيات البارزة ، ويعتبرون أعضاء فيها عن طريقه بغير علم أجهزة الجماعة ، وكان من هؤلاء ( حسن الهضيبي ) عندما كان مستشاراً بالقضاء المصري[1] .

ويحكي أنور السادات أن حسن البنا خلال الحرب كان يجمع السلاح

---

(١) أسرار الثورة المصرية : أنور السادات ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

ويخزنه بغير أن يطلع أقرب الناس من كبار الاخوان على ذلك مستعيناً بشبان صغار من الجماعة ، كما كانت مقابلاته له غير معروفة للكثيرين منهم ويذكر السادات :

**« إن حسن البنا وحده كان الرجل الذي يعد العدة لحركة الإخوان ، ويرسم سياستها ثم يحتفظ بها لنفسه ، وأن أقرب المقربين اليه لم يكن يعرف من خططه شيئاً ولا من أهدافه شيئاً » .**

وقد ورد في كتاب « الاخوان المسلمون والمجتمع المصري »[1] بيان بالمستويات التنظيمية للجماعة ، وهي تبدأ بالهيئة التأسيسية كسلطة أولى ، وتتكون من ١٥٠ عضواً وهي بمثابة مجلس الشورى العام ، والجمعية العمومية لمكتب الارشاد وتضم من سبقوا للعمل للدعوة ومهمتها الاشراف العام على سير الدعوة واختيار أعضاء مكتب الارشاد ومراجع الحسابات ، وهي من يمنح حق العضوية لنفسها بمعنى أنها شكلت أولاً بالاختيار ، ثم تتولى هي اختيار الأعضاء لها على طريقة المجامع ، ولا تأتي عضويتها بالانتخاب من أسفل ، والمرشد العام ذا وضع مميّز عن مكتب الارشاد وهما يكونان معاً المركز العام ، ويتفرع عن المركز العام المكاتب الادارية ، والمكتب تخضع له المنطقة والمنطقة تخضع لها الشعبة ، واللجان التي تدير أياً من مستويات الفروع يعين المستوى الأعلى ذوي المسؤوليات الرئيسية منهم كالرئيس وينتخب الآخرون وهم الأقلية وبهذا يبنى الهيكل الأساسي للتنظيم على مبدأ الاختيار من أعلى .

ومما يعبر عن طريقة العمل داخل الجماعة ما ذكره هذا الكتاب من أن نظامها يقوم :

---

(١) الاخوان المسلمون والمجتمع المصري : محمد شوقي زكي : ص ٩٩ ـ ١٠٨ ، والكتاب رسالة قدمت للدبلوم العالي للخدمة الاجتماعية وكان المشرف عليها الدكتور محمد كمال خليفة .

**« على أخذ موافقة الجميع لا الأغلبية فقط كما هو الحال في النظام الديمقراطي ، حتى ولو أدى ذلك الى الاتصال الشخصي بالأعضاء لاقناعهم برأي الأغلبية حتى يصدر الرأي بالاجماع ، ومن ثم يتعاون الجميع في تنفيذه ، وبهذا كانت معظم قرارات الاخوان الهامة تصدر بالاجماع ، وذلك حرصاً على وحدتهم »[1] .**

ويصعب أن يكون النهج الدائم في أي جماعة أن تجمع على الأمور لا سيما أخطرها الا أن يكون وراء ذلك قوة مهيمنة تفرض سلطتها على الجميع أو أن يكون أسلوباً في تغطية الخلافات . ولا يبدو أن تجميع سلطات التنظيم في يد المرشد كان أمراً مثيراً للاعتراض لدى الجماعة ، وهو لم يكن غريباً عن منطق الدعوة ، وقد كان الشيخ البنا هو صاحب الدعوة ومنشؤها ، وكان الاخوان يبايعونه على السمع والطاعة ، فيصبح هو المهيمن بذاته على أفرادهم ويصير كل عضو ملتزماً أمامه بالطاعة الكاملة .

انجذب الكثيرون الى الجماعة كنوع من رد الفعل التلقائي لمشاكل تطور المجتمع المصري خلال عشرات السنين السابقة ، إذ طرأ على المجتمع المصري خلال المرحلة السابقة تغييرات سياسية واقتصادية وحضارية عميقة ومتنوعة ، بعضها يحمل علامات استنارة وتقدم وتحرر وبعضها يحمل علامات استعمار وظلم وافقار ، ومسّ ذلك كيان المجتمع في عمومه واثر في كافة العلاقات الاجتماعية والطبقية والأنماط الفكرية وعادات المعيشة بالخير والشر معاً وبما استشعر به الكثيرون الرضاء والسخط مجتمعين .

وكان فأل الشعب عامة بعد ثورة ١٩١٩ الأمل في تحقيق جلاء المحتل واشاعة الديمقراطية السياسية ، وأن تنحل بتحقيق هذين الهدفين كافة

---

(١) نفس المصدر : الاخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ١٠٠ .

مشاكله ، وأن يستطيع استخلاص خير الجديد من شره ، وتعلقت الأبصار بحزب الوفد ، حزب الأمـة ، خلال العشـرينات ليقـود المجتمع الى هـذه الغاية . واتسمت الفترة من أواخر العشرينات الى الثلاثينات بـالانقلابـات الدستورية والصراعات التي تدور في دائرة شبه مغلقة بين الوفد وأعـدائه ، وبدا للبعض أن المؤسسات السياسية التي نجمت عن ثورة ١٩١٩ لا يظهر في الأفق أنها قادرة على تفريج أزمة المجتمع ، وانتكس تفاؤل العشرينـات في نـظر الكثيرين الى تشـاؤم وحيرة وخـوف أن يسـير المستقبـل عـلى نفس المنوال .

هنا وجدت الدعوة السلفية أرضها ، واذا كـانت الحصيلة التي نتجت عن هذا الجديد الوافد الى المجتمع لم تسفر عن خير الشعب . . . واذا كان لم يكن استخلاص النواحي الايجابية وحـدها من هـذا الجديـد ، فليذهب الجديد كله بشره الحاصل وبما يدعي فيه من خير لم يتحقق كاملاً . . كانت الحزبية من ثمار الحياة الجديدة ، وكانت زعامة الوفد تمثل هـذا الجديـد في السياسة وتدعو اليه في تكوين مؤسسـات السلطة ، فأتت حـركة الإخـوان تطلب إلغاء الحزب وترفع شعار : ( الرسول زعيمنا )[١] رفضاً للزعامات الموجودة ، وجذب ذلك عناصر المتشككين ، رغم أن الجماعة كانت حزباً ، وأن قيادتها هي الزعامة التي تريد التحدث باسم الرسول عليه السلام ، أي أنها الزعامة البديلة للوفد ، وكان الدستور يقرر فصل السلطات ، فأتت الحركة تطالب بتوحيد السلطة وتنادي بالحكم الشمولي وترفع الشعار الرافض للمؤسسات القائمة ( القرآن دستورنا ) ، وكان نمو القومية المصرية الذي يستهدف استقلال مصر التام ، كان من العناصر الجديدة فأتت حركة الإخوان

---

(١) كان من شعارات الاخوان التي يكثر ترديدها والنداء بها في الاجتماعات والمواكب وعلى صفحات الصحف : ( الله غايتنا ، والرسول زعيمنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا ) .

لا تعارض الفكرة المصرية صراحة ، ولكنها تحيي الى جانبها مفهوم الخلافة الاسلامي القديم .

على هذا النحو انتشرت جماعة الاخوان المسلمين كتنظيم سياسي خلال الحرب وبعدها مباشرة انتشاراً واسعاً ، وضم التنظيم عدداً واسعاً من الأعضاء ( فضلاً عن المؤيدين ) وأعدّ فرقاً للجوالة ونظم جهازاً خاصّاً مسلحاً ، ودرب أعضاءه على الانصياع الكامل ، وكان كل ذلك معلقاً ومربوطاً في يد فرد لا يعرف له موقف محدد صريح في أية مسألة ، ولا يمكن التنبؤ بما سيتخذ من مواقف مستقبلاً ، وأصبحت الجماعة بهذا كالقنبلة التي لا يعرف متى تنفجر ولا من سيكون ضحيتها .

والحاصل أن مواقف زعيم الجماعة والجماعة من ورائه كانت دائماً في صالح السراي وحكومات الأقلية ، وكان تحركه السياسي ضد الوفد والتنظيمات الشيوعية ، وضد الاتجاهات الاشتراكية ، وفي عام ١٩٤٦ عندما بلغت الجماعة ذروة انتشارها وانطلاقها ، بلغ عداؤها للوفد ذروته ، ووصل الى حدّ الاشتباك في الطرقات مع مظاهرات الوفديين .

وخلال هذا العام اتجه الإخوان في نشاطهم السياسي إلى أساليب العنف والضرب والتدمير فيما يقع في المظاهرات والتجمعات من اشتباكات .

في ٦ يوليو - تموز - وقع صدام بين الإخوان والوفديين في بور سعيد استعمل فيه الإخوان الرصاص وألقوا ثلاث قنابل فأسفر الحادث عن قتل واحد من خصومهم واصابة ٣٥ ، فتجمع الكثيرون على دار الإخوان وأشعلوا الحريق فيها ، وفي النادي الرياضي[1] .

وحوصر المرشد العام بأحد المساجد هناك ولكنه استطاع النجاة من

---

(١) صحيفة المصري ٧ يوليو ١٩٤٦ وقد نشرت صحيفة الأهرام عن الحادث في ذات اليوم الضحايا ٤٠ .

الخطر ، وفي اليوم التالي شيعت جنازة المتوفى وقذف المشيعون مركز الإخوان بالحجارة فعمل البوليس على تفريقهم فاعتدوا عليه فأطلق عليهم الرصاص وأصيب ١٦ شخصاً[1] . كما كان لطلبة الإخوان حوادث كثيرة استعملوا فيها العصي والسياط داخل جامعة القاهرة مع الطلبة الوفديين ، ورد عليهم بالمثل .

والملاحظ أن الجماعة بعد الحرب العالمية الثانية أخذت على عاتقها التصدي للحركات التقدمية للمجتمع والتنظيمات الشيوعية رافعة العداء للشيوعية ومحاربة الالحاد ، وشنت هجوماً مركزاً على مبدأ التأميم ذاكرة أن « موقف الاسلام من الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال ، فليس بيننا وبينهم الاّ أداء الزكاة » .

## الاخوان ضد الجميع

في ١٦ مايو ١٩٤٥ ظهرت مجلة الفجر الجديد ، ذكرت في افتتاحية العدد الأول :

« . . . مهمة الكاتب في مصر أن يجعل من قلمه ذروة الالآم العامة والرجاء العام واللفتة الموجهة للنضال المشرد من دروب الحياة . . »

ثم تحدثت عن الكتاب المنعزلين عن المجتمع المهتمين فحسب برصف الكلام ، وأسمتهم « فقاقيع ليس لها جوهر لأنها لاتطلب الحرية » وفسرت الحرية بأنها ليست تحللاً من المسؤوليات وانما هي إقبال عليها لتوجيه المجتمع إلى حريته وللدفع بتطوره إلى غايته السلبية .

كانت الصحيفة بهذا تخاطب المثقفين وتحدد منطلقاً فكرياً لاتجاه جديدٍ من الكتاب ،بأن مهمتهم ليست قاصرة على التثقيف المجرد ، ولكن وظيفتهم الارتباط بالمشاكل السياسية والاجتماعية للمجتمع والنضال من

(١) صحيفة الاهرام ٨ يوليو ١٩٤٦ .

أجل تطويره ، وأوضحت أيضاً أن مهمة هؤلاء الكتّاب ليست إشاعة الآرآء الحرة المنقولة وليست مجرد الدعاية والتلقين بل « . . .التفاعل مع هذه الآراء وخلقها من جديد بحيث تتلاءم مع وضعيتهم وهم الكتّاب المصريون الذين يخدمون مجتمعاً له خصائص معينة ويعملون في حدود عالمية ومحلية خاصة أن يخلقوا تراثاً فكرياً حراً جوهره تجارب المجتمع المصري وواقعه وتطوره وهذا كله لا ينفصل عن التّيارات العالمية . »

وفي العدد الثاني أوضحت أن « هدف الفجر الجديد أن ينشر الثقافة الحرة والآراء غير الرجعية لايقصد تعميمها فقط وانما المساهمة بها في خلق ثقافة جديدة أصلها من واقع المجتمع وقوتها مستمدة من تطوره وطريقها مرسوم في حدوده ومنتهٍ بها إلى التفاعل مع الثقافات الاخرى ، وغايتها تحرر المجتمع المصري والعدالة بين أعضائه ، هدفه أن يساهم في بناء ثقافة قومية يجد فيها المصريون تحليلاً ذكياً لأوضاعهم وتفسيراً لمسائلهم القومية وارشاداً الى الحرية » . .

وبالعدد الثالث حددت الاتجاه لمطالبها القومية :

« . . لا تقف مطالبنا القومية عند حد التحرر السياسي ولا تقف عند تدعيم الديمقراطية ولا تقف بالمثل عند إقامة العدالة الاجتماعية أو رفع مستوى الطبقات الشعبية ، انما تشمل هذا كله وتضم إليه مطلباً قومياً خطيراً ألا وهو تكيف تراثنا الثقافي المصري بحيث يكفي حاجاتنا الاجتماعية والسياسية » .

وقد ظهرت الصحيفة بهذا داعية لتأسيس مدرسة جديدة في الثقافة المصرية تركز على المضمون السياسي والاجتماعي للانماط السياسية المختلفة .

وفي هذا المجال السياسي تبنت الصحيفة المطلبين الأساسين للكفاح الشعبي منذ بداية القرن العشرين وهما الاستقلال والديمقراطية ، لكنها

حاولت أن تفرغ فيهما محتوى متميزاً يتعلق بالمضمون الاجتماعي لهما وذلك ببيان الطبقات والفئات الاجتماعية التي تؤيد أو أو تعارض ايّاً من هذين المتطلبين وبيان المصالح الاجتماعية والاقتصادية لكل من هذه الطبقات والفئات .[1]

استقبل الإخوان هذه الجريدة الماركسية بالهجوم الكاسح وراحوا يلاحقون كتابها بالنقد الجارح ، وقد نال ( صادق سعد ) أحد أبرز كتاب الصحيفة النقد الذي بلغ حدّ الاتهام بالعمالة للشيوعية الدولية .

بهذه المواقف ضد حزب الوفد ، وضد الحركات السياسية اتّضح أن الاخوان ضد الجميع ، ضد الوفد ، وضد أحزاب الأقليات ، وضد النظام بمجمله وبمختلف مؤسساته. . . وكانوا ينطلقون في ذلك كله من رفضهم للديمقراطية الغربيةعموماً ، وذلك بدعوتهم إلى ما اصطلحوا على تسميته ( بنظام الشورى الاسلامي ) .

ولقد ثبت لدى الجميع بانهم قوة سياسية ينبغي أن يعمل حسابها ، ولولا تاريخ الوفد ورصيده الضخم الذي أكتسبه منذ ثورة ١٩١٩ لهدد الاخوان جماهيريته تهديداً مباشراً لكن من المؤكد انهم قد خرجوا من سنوات الحرب ، وقد زادوا عدداً وعدة .

في عام ١٩٤١ اعتقل حسن البنا لفترة قصيره، وأودع في معتقل الزيتون ، وكانت مصر ايامها تحت حكم مجموعة من احزاب الاقليات السياسية من السعديين والأحرار الدستوريين ، ويروي الذين رافقوا البنا في معتقله أن الشيخ كان يجري اتصالات سرية مع أقطاب الحكم ، وانه كان يخطط وهو في المعتقل لاقامة تنظيم حديدي للاخوان .

استطاع الشيخ البنا بقدرة مذهلة اقامة( التنظيم الحديدي) فيما بعد، وقد اكتسب هذه القدرة من دراسة متعمقة للحركات السرية التي نشأت في الدولة

(١) صحيفة الفجر العدد الثالث ١٦ يونيو ١٩٤٥ .

(١) صحيفة الفجر العدد الرابع عشر ١٦ ديسمبر ١٩٤٥ .

الإسلامية في عهود بني أمية وما تلاها والتي ميّزت نشاط الفرق الاسلامية المتعددة وخاصة ( الشيعة ) .

ويتمثل ذكاء حسن البنا وقدرته الفذة على عدم الدخول في صدام مباشر قبل أن يستعد له في نقطتين جوهريتين :

ـ انه رفض إبّان الحرب عرضاً بانقلاب يقوم به مشتركا مع حزب مصر الفتاة بزعامة أحمد حسين ، ويستند على أعداد محدودة من إتجاهين في كل قرية ومدينة مصرية يقومون في وقت محدد بالاستيلاء على السلطة المدنية والعسكرية في هذه القرية أو المدينة ، بينما تتوجه مجموعة للاستيلاء على العاصمة بنفس الطريقة ، وقد ناقش الامر مع أحمد حسين بشكل منطقي وانتهي منه إلى أن الخطة غير عملية ، وأنه يجمع السلاح ويخزنه ويدرب رجاله عليه ، وأنه لا يستطيع أن يحارب انكلترا ولها جيوش جرارة في مصر ببنادق قديمة أو بقنابل من مخلفات الحرب العالمية[1] .

ـ أنه رفض أن يصوغ برنامجاً تفصلياً قبل الأوان .

وقد ذكر أحد أقطاب الأخوان فيما بعد أنه ناقشه في هذا الامر ، فكان من رأيه أن محاولة صياغةرأي الاخوان في القضايا التفصيلية ، وكيفية تطبيق الشريعة الاسلامية على حياة المجتمع المعاصرهي محاولة ضررها أكثر من نفعها ، فاذا كانت صياغة مثل هذه قادرة على مواجهة الخصوم السياسيين الذين أخذوا على الاخوان دائماً انهم يطرحون شعارات عامة ولا يقدمون حلولاً تفصيلية للمشاكل ، فانها تفتح الباب في نفس الوقت لشقاق كبير بين المسلمين أنفسهم لتعدد المذاهب والاجتهادات وانّ أوان معارك مثل هذه لم يؤن بعد[2] .

بهذا الذكاء في رسم التحالفات السياسية عاش حسن البنا ، وبه أنتشر الأخوان المسلمون وبسببه تعرضوا لاول صداماتهم الدموية مع الحكم المصري قبل الثورة .

---

(١) رواية أحمد حسين ـ الدكتور خالد ـ مطبعة مصر ١٩٦٠ .

(٢) شهادة هنداوي دوير أمام محكمة الشعب عام ١٩٥٤ .

## . . وبدأت المأساة !

ربما لم يستطع الأخوان أنفسهم ، وحتى هذه اللحظة ، أن يقيّموا بشكل صحيح ، الخلل الذي حدث في خططهم السياسية ، والذي قادهم إلى مجموعة من الصدامات المتوالية ، وضعتهم في صف القوى السياسية التي تعرضت للتصفية العنيفة من قبل خصومهم . .

إن أستناد الإخوان إلى ( إيديولوجية ) قادرة على جذب أوسع الجماهير لم يكن كافياً وحده لعمل جماهيري نشط وفعال ، في ظروف تغير إجتماعي كبير ، طرأ على العالم كله ، وعلى الأمة العربية والعالم الاسلامي ، منذ تدهورت دولة الخلفاء الراشدين ، وبروز أوضاع ونظم ومؤسسات وأفكار ، تتطلب إجتهاداً واسعاً وعميقاً ، ولتظل لتلك الايديولوجية قدرتها على الجذب .

وبينما بدا المرشد الاول الشيخ حسن البنا ذكياً عندما رفض بناجاً سياسياً متكاملاً للاخوان حرصاً على وحدة أعضاء حركته ، خوفاً من نقل خلافات الفرق الاسلامية إلى صفوفها ، فإن العزوف عن وضع هذا البرنامج كان من بين مبررات هجوم خصومهم .

ويعتقد بعض المتعاطفين مع الاخوان ومنهم ( ريتشارد ب ميتشل ) الذي دافع عنهم في أكثر من كتاب ( الاخوان المسلمون ) أن الخلل الذي أصاب الاخوان كان مبعثه اقامة الجهاز السرى ، فقد سعى حسن البنا إلى بناء منظمة من الكوادر ، تتلقى تربية واعدادا خاصين وتعد لتكون ( ميليشيا ) سرية مسلحة ، مهمتها أن تستولي على الحكم بتحرك إنقلابي .

والأرجح في ضوء ما أُعلن من وثائق حتى الآن ، أن ( الجهاز الخاص ) ـ الاسم الرسمي لميليشيا الاخوان السرية ـ قد شكل إبّان الحرب العالمية الثانية، وعلى الرغم من اتساع اعداده ، وتشعب أفراده، فقد تم

اختراقه بسهولة من القوى المعادية التي ذهلت تماماً من تنظيمه المحكم والقوى ، وصحيح أن خصوم الإخوان قد لجأوا إلى عمليات تعذيب تعدت كل ما يمكن قبوله ، ولكن الصحيح أيضاً أن الذين ثبتوا أمام التعذيب قلة، وهو ما مكّن خصومهم من الحصول على أسرارهم كاملة ، وتدمير تنظيمهم الحديدي النادر المثال .

تعتبر مرحلة ما بعد سنوات الحرب العالمية الثانية نموذجاً بالغ الدقة ، بالنسبة لتحالفات الاخوان التي قادتهم إلى المحنة .

لقد كشف الاستاذ أحمد حسين زعيم مصر الفتاة في مرافعته في قضية أغتيال محمود فهمي النقراشي زعيم الحزب السعدي ، الذي قتله أحد الاخوان في كانون الاول ١٩٤٨ ، أن الاخوان تحالفوا مع السعديين ، بعد مفاوضات سرية أجراها القطب السعدي ( حامد جودة ) مع مرشدهم العام حسن البنا ، إبّان اعتقال الاخير في سنة ١٩٤١ ، مقابل شروط لم تعلن إلى الآن ، ولكن النتيجة العملية كانت أن خرج البنا من الاعتقال وقد ازدادا جاهاً وعزاً بوقوف وزارة الاقليات إلى جواره ، ومضي في دعوته حراً طليقاً ، يجوب البلاد ، ويؤلف الشعب وينظم الجماعات ، واشتهر في البلاد أن الاخوان المسلمين في حماية الحكومة القائمة ، وفي حماية السعديين بصفة خاصة .

ومع الانقلاب السياسي الذي جاء بالوفد المصري إلى الحكم بعد حادث ٤ فبراير الشهير نظر الوفديون شزراً إلى الاخوان المسلمين ، لكن الاستاذ أحمد حسين أثناء وجوده في سوق الغرب ( لبنان ) عام ١٩٧٤ قال لي بحضور الدكتور محمد حلمي مراد، حين سألته عن هذه الواقعة بالذات :

« . . . لقد ذهبت بنفسي لمقابلة النحاس باشا ـ زعيم الوفد ـ وسراج الدين باشا ـ قطبه الكبير آنذاك وسكرتيره العام فيما بعد ـ وقلت لهما :

إن الشيخ حسن البنا رجل دين لا اكثر ولا أقل ، وقبل زعيم الاخوان المسلمين في ذلك الوقت ، أن ينزل عن ترشيح نفسه في الانتخابات في مقابل أن تطلق له الحكومة حرية المضي في دعوته الدينية البحتة ، وخرج حسن البنا من لدى النحاس باشا ، وقد باعد بينه وبين السياسة مؤقتاً بعد انسحابه من ترشيح نفسه للانتخابات .

حين افضى إلي المرحوم أحمد حسين بهذه الواقعة كان الاستاذ فؤاد سراج الدين يمضي بعض الوقت للراحة في فندق ( بريتسانيا ) ـ برمانا ـ لبنان ـ وسألته عن هذه الواقعة فأيدها مما سيأتي شرحه عند الحديث عن الوفد .

وبهذه الواقعة أثبت حسن البنا دهاءه فهو الذي كان يرفض الوفد ويرفض الأحزاب ، يمدّ يده لاعتى خصومه ، لكي لا يبطشوا بدعوته التي يرى أن قدرتها على المواجهة لم تحن بعد ، فمع الانقلاب الملكي الذي قاده الملك فاروق ضد حزب الوفد عادت أحزاب الاقليات السياسية إلى الحكم من جديد ، ونظراً لان الملك فاروق كان ينقم على الوفد لانه قبل الحكم عقب الانذار البريطاني الشهير للملك ، فإن العهد الذي بدأ في ٤ أكتوبر ( تشرين الاول ) ١٩٤٤ كان برنامجه ـ كما قال لي المرحوم أحمد حسين ـ هو :

القضاء على الوفد قضاءً مبرماً وردم أثاره نهائياً ، وهكذا فشل الاخوان في التنكر لتهمة التحالف مع الوفديين ، وأصر السعديون ـ حلفاؤ هم القدامى ـ على الا يقبلوا منهم ، الاّ أن يظهروا خصومتهم للوفد ، وتنكرهم له ، إذا شاؤ وا أن يستمروا في نشاطهم .

ويمضي المرحوم أحمد حسين قائلاً :

**« . . لم يكن باستطاعة الاخوان أن يترددوا في هذا السبيل ، فاعلنوا خصومتهم للوفد ، باعتباره حزباً سياسياً وخصومة حزب سياسي معين**

معناها إنخراط صريح في سلك السياسة الحزبية ، وتحولوا من حركة روحية بحتة تصادق الجميع وتتعاون مع الجميع إلى هيئة لها رأي في السياسة فتناصر فريقاً ضد فريق ، وكان معنى هذا الموقف الجديد أن يخاصمهم الوفد ، وأن يخاصموه فبدأت الاحتكاكات بين الطرفين ، وبدأ الصدام على طول الخط ، وكان طبيعياً أن تقف حكومة الأقليات إلى جوار الاخوان المسلمين في كل صدام يقع بينها وبين الوفد ، بل وكانت تحميهم وتشد أزرهم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً .

ويمضي الأستاذ أحمد حسين في حديثه الذي سجلته في حينه :

وهكذا سمحت الحكومة للاخوان بانشاء ( الجوالة ) التي كانت تشكيلاً شبه عسكري ، وبرغم أن القانون المصري كان يحرم قيام تشكيلات من هذا النوع ، فقد تضخمت جوالة الاخوان حتى وصلت إلى عشرين الفا كان باستطاعة قيادة الاخوان أن تعبئهم في أي مكان شاءت.

ويقول أحمد حسين :

ما هو السِّرُّ الذي خوّل لدعوة الاخوان بعد أن انخرطت في المنازعات الحزبية أن يكون لها هذا الجيش من الجوالة ؟

وشملت الوقائع التي ذكرها لي أحمد حسين في حديثه تفصيلات دراماتيكية ، تكشف عن أن الاخوان المسلمين قد أستدرجوا في تلك الفترة ليكونوا الذراع الضاربة لأحزاب الأقليات السياسية ، ولعل الاخوان لم يدركوا خطر هذا التحالف الذي أجبروا عليه وقبلوه برغم عدائهم - كما ثبت بعد ذلك لتلك الأحزاب - ولكنه عزلهم عن مجموع القوى السياسية والوطنية والساعية إلى قلب النظام القديم .

كان واضحاً طوال الأربعينات أن الاخوان المسلمين يعملون في حماية ومساعدة خصوم الوفد ، وقد اتجه هؤلاء لدعم الاخوان وتقويتهم لأنهم أكتشفوا - أن الاخوان كقوة سياسية تعمل في حماية الدين - هي أكثر القوى

قدرة على تدمير حزب الوفد المصري والقضاء عليه ، وكان هذا الحزب الديمقراطي العتيد برغم كل أخطائه قلعة الوطنية المصرية ، لذلك كانت محاولات تخريبه وأرهابه مستمرة ، وكان باستمرار هدفاً لحلف شرير بين السراي وبريطانيا وأحزاب الأقليات السياسية ، وكان طبيعياً أن ينفض التحالف بين الاخوان وأحزاب الأقليات السياسية عندما كبر الاخوان وتضخموا فبدأوا يعملون لحسابهم .

فعلى مشارف الخمسينات بدأ الاعداد لانتخابات جديدة لمجلس النواب ، وشعر الاخوان ـ الذين كانو قد توسعوا لدرجة أنه كان هناك نصف مليون عضو على الأقل ينتسبون اليهم في صور وأشكال شتى ـ بأنهم أصبحوا قوة مستقلة أقوى ممن كانوا يحمونهم ، وبدأ الاخوان يعدون أنفسهم لخوض الانتخابات القادمة ، وكان لهم أمل جبار في أنهم إذا لم يكتسحوا الانتخابات على الأقل فسيخرجون منها كحزب ، من أقوى الأحزاب الممثلة في البرلمان ، وشعر السعديون الذين تبنوا الاخوان بأنهم أصبحوا الأصل ، وأن قوتهم أصبحت جارفة وأنها باتت تهددهم في الانتخابات القادمة ، فقرروا أن يتخلصوا منهم بأي ثمن من الأثمان ، وبدأوا يضغطون على الاخوان المسلمين ويضغط الاخوان عليهم ، وراح النقراشي ـ الذي كان يرأس الوزارة وقتها ـ يضيق عليهم الخناق ، وراح بعض الشباب المتطرف من الاخوان الذين كانوا قد الفوا هذه الحرية الواسعة ضد خصومهم ، وراحوا يردون على هذا الضيق بتوجيه بعض الضربات ، فكانت سلسلة من الحوادث الارهابية الرهيبة شملت نسف بعض المحلات التجارية واغتيال احد القضاة ، وقرر النقراشي أن يضرب ضربته الحاسمة ، وأصدر قراراً بحل الاخوان ودفع ثمنا له حياته نفسها ، إذا اغتاله الاخوان ، وهكذا بدأت سنوات المحنة الاولى للاخوان ذلك أن رسم التحالفات مهما كان ذكياً ، ومقتدراً لا يمكن أن يأتي بنتيجة ما لم يكن قبل كل شيء مبدئياً .

إن القانون الأساسي الذي حكم تحالفات الاخوان المسلمين طوال عمرهم ، لم يكن تحقيق أهداف مشتركة تجمع بينهم وبين أية قوى سياسية أخرى ، سواء كانت هذه الأهداف مرحلية أو دائمة ، ولكنهم سعوا دائماً إلى التحالف بهدف حماية أنفسهم ، وهو ما يسمى بلغة العصر ( التعاون مع القوى السائدة ) ، كما أن عزوفهم عن التحالف على اساس برنامج مشترك ناتج من رفضهم الكامل لكل الحركات السياسية الأخرى ، ورفضهم للنضال الديمقراطي وسعيهم لتقويض النظم السياسية القائمة على اسس دنيوية ، وهم في هذا يقرون بأنهم فصيلة سياسية بين فصائل أخرى ولكن يرون أنفسهم ( حزب الله ) حيث لا يجوز مع حزب الله أن يوجد أحزاب أخرى .

وبذلك قام الاخوان بنشاطٍ ملحوظٍ في التجنيد داخل صفوف الجيش المصري ، وفي صفوف قوات الشرطة في السنوات السابقة على قيام الثورة مباشرة ، وأنشأ حسن البنا علاقات تنظمية وشبه تنظمية بعدد من الضباط الذين تحركوا سياسياً آنذاك ، والذين تزعموا فيها بعد - لفترة تطول أو تقصر - ثورة يوليو ١٩٥٢ ، كما أن عدداً من هؤلاء كان متعاطفاً مع الاخوان ، بحكم أنه كان يصب في التيار الداعي إلى أنشاء دولة إسلامية ، وفي هذا الصدد تبرز أسماء كل من أنور السادات ( الذي كان على صلة وثيقة ، وبالذات مع حسن البنا ) وجمال عبد الناصر ، وكمال الدين حسين ، وحسين الشافعي ، فضلاً عن كل من « عبد المنعم عبد الرؤوف ، وكان عضواً بالاخوان المسلمين وعضواً بمجلس قيادة الثورة ، وحوكم وهرب من السجن فأخفاه الاخوان حيث عمل كعقل عسكري لمليشيا الاخوان عام ١٩٥٤ ثم هرب مرة أخرى فور فشل مخططه ، ورشاد مهنا الذي عين لفترة قصيرةوصياً على العرش وكان متعاطفاً مع الاخوان . »

ولعل اولى الضربات القاصمة التي تلقاها الاخوان هو أغتيال

مرشدهم حسن البنا على نحو مأساوي ، وقد ضيع هذا الاغتيال الكثير من الخيوط التي كانت تربط الاخوان ببعض الضباط ، ووضع الاخوان في مأزق .

## مرتضى المراغي يتذكر

كان مقتل حسن البنا بمثابة الشرارة التي مهدت لقيام حركة الضباط الأحرار ، وفق رأي الاستاذ « مرتضى المراغي » مدير الأمن العام يومذاك والوزير فيما بعد . وقد أمضى سنوات طويلة في بيروت بعد قيام حركة الضباط الأحرار ، كنت خلالها التقط من فمه بعض الأسرار التي كانت تتدحرج كالأكر أثناء اجتماعي به تبحث عمن يلتقطها . لقد اتهم بأكثر من مؤامرة ضد الثورة ، ولوحق في بيروت ، ثم انتقل الى ايطاليا ، وسرعان ما عاد الى لبنان بعد وفاة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وانتقل بعد ذلك الى القاهرة ولكنه سرعان ما عاد الى بيروت وروما .

وحدث مرة أن كان يتحدث في منزلي عن ذكرياته بحضور العديد من الشخصيات العربية ، أذكر منهم ( الاستاذ أكرم زعيتر ، والاستاذ علال الفاسي ، وجواد بولس ، وكاظم الصلح ، وعارف النكدي ) فسأله عارف النكدي رحمه الله عن موضوع حل الاخوان المسلمين ومضاعفاته ، فاذا به يعتدل في جلسته ويطلق لذكرياته العنان .

كان أحمد مرتضى المراغي يتكلم وأنا أدون ما رواه لهؤلاء السادة ، قال :

**« . . . كنت معتاداً أن أتوجه كل يوم جمعة الى حلوان ، حيث منزل العائلة لأقضي يوم العطلة وأنعم بدفء حلوان وشمسها في أيام الشتاء .**

**وفي يوم جمعة من شتاء عام ١٩٤٧ ، وكنت مديراً للأمن العام ، تأهبت للخروج لأتمشى في الصحراء التي تفصل حلوان عن النيل ، وعند**

البـاب رأيت شخصاً واقفاً تقدم الى تحيتي ، فسـألته من هـو ، فقـال انـه يحمل اليّ رسالة من الشيخ حسن البنا ، وسلمني ايّاها ، فتحتها فـوجدت أن الاستاذ البنا قـد حضر الى حلوان ليلقي خـطاباً في حفـل تقيمه جماعة الإخوان المسلمين وأنه علم بوجـودي في حلوان ، ويريـد مقابلتي السـاعة الخامسة بعد الظهر إذا رأيت ذلك مناسباً والا فلنحدد موعداً آخر للقاء ، أخبرت الرسول أني في انتظار الشيخ الساعة الخامسة .

وقد بدأت علاقتي بالمـرحوم حـين حضر لمقـابلتي في وزارة الداخليـة ليطلب مني أن أراجع قرار عقوبة وقعها رئيسه على أخيه الذي كـان يعمل برتبة ( كونستابل ) في البوليس ، لمخـالفة ارتكبهـا ، ولما راجعت أسبـاب العقـوبة ، قلت لـه إن رئيسه محق في تـوقيع العقـوبـة ، فقـال أرجـو أن تسامحه ، وسـأحاول أن أهـديه لكي لا يعـود الى مثلها . واذكـر أني قلت له :

انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، فأطرق قـائلاً : نعم . . نعم ، قلت له : سأوقف تنفيذ العقوبـة ولا أرفعها ، فـاذا مضى زمن وحسن سلوكه فإني أرفعها . وشكرني وانصرف .

وفي الساعة الخامسة حضر الاستاذ البنا ، وكان قـد سبق لي أن زرته في مكتبه في شأن خـاص ، في مكتب جريـدة الاخوان في القـاهرة ، وقـد كونت انطباعاً جيداً عنه وعن تصرفاته وعن دهائه ، كان المرحوم ذا لحيـة لا هي طويلة ولا هي قصيرة ، خفيف الخطى سريع الحركة والكلام ، آية في الذكاء ، يركز عينيه اللامعتين على محدثه ثم يخفض وجهـه ثم يعود الى التحديق ، وكان دمث المعشر حلو الحديث لا يمل الانسان منه . . . اذ أن طبيعته الدينية خلت من التزمت ، وبعـد شرب القهـوة وتبادل التحيـة ، قال :

اعذرني اذا قطعت عليك عطلتك ، ولكني وددت أن اختلي بك بعيداً

عن مكتبك ، ولأن عندي أشياء أودّ قولها وأود منك الاصغاء اليها . . .

قلت :

تفضل ومرحباً بك .

قال :

عندي رسالة شفوية أرجو أن توصلها الى الملك فاروق لأني أعلم أنك الوحيد الذي ستنقلها بأمانة . لقد كنت صديقاً للمرحوم والدك ( مصطفى المراغي شيخ الأزهر ) وقصدتك شخصياً في موضوع ، وأجبت رجائي فارتحت اليك ، كما كنت أرتاح لوالدك . .

قلت :

ـ وما الرسالة يا استاذ ؟

قال : إن رئيس الحكومة يريد حل جماعة الإخوان المسلمين ، وهذا قرار بالغ الخطورة ، وقد تكون له مغبة وعواقب وخيمة ، أخشى منها كثيراً . إذ أنه لا بدّ أن يقع بيننا وبين الحكومة اصطدام عنيف ، ولا شك أنك تدرك ذلك بوصفك مديراً للأمن العام ، ونحن الاخوان نشعر بأن رئيس الحكومة النقراشي باشا قد جرّ الملك فاروق الى خصومتنا ، بما أرسله اليه من تقارير وضعها له ( عبد الرحمن عمار ) وكيل الداخلية تتضمن إنّا نريد قتل الملك .

قلت :

يا أستاذ حسن هل تأذن لي أن أدبر لك مقابلة مع النقراشي باشا لعلك تستطيع فيها بلبقاتك وحكمتك أن تصفّي الجو بينه وبينكم ؟

الشيخ حسن البنا ( رافعاً يديه ) : لا أمل في الوفاق معه ، إني أعرف طباعه . انه عنيد واذا ركب رأسه فلن يلوي على شيء ، ثم اننا نستطيع أن نصبر على رئيس الحكومة لأنه قد يترك منصبه في أي وقت ، أما الملك فهو باق . أرجوك أن تحمل اليه هذه الرسالة ، ان الاخوان لا يريدون به شراً . .

سكت الشيخ ملياً ، ثم نظرت اليه فوجدته يحدّق فيّ بنظرة نفاذة ليعرف تأثير كلامه .

قلت :

يا استاذ حسن ان رسالتك خطيرة ، وسأبلغها للملك ، وسأبلغ رأيك في حل الإخوان وخطورة عاقبته على النقراشي .

هزّ الشيخ رأسه وقال :

إني أعرف أنه عنيد ، وسينفذ رأيه ، ولكني رجوت أن تخبر الملك علّه يقنعه بالعدول عن تلك الجريمة النكراء .

وقدحت عينيه شرراً وقال :

نعم انها جريمة نكراء يريد النقراشي ارتكابها ، هل يظن أننا لعبة في يده يستطيع تحطيمها بسهولة .

وانقلب الشيخ الوديع نمراً هائجاً ، ولكنه سرعان ما عاد الى طبيعته الهادئة حينما رآني انظر اليه وضحك قائلاً :

لا تؤاخذني اذ نسيت نفسي .

قلت :

يا أستاذ حسن ، ان الإخوان المسلمين أصبح عددهم كبيراً ، وأصبحوا قوة ، وخصومكم يقولون انكم انحرفتم عن أن تكونوا جماعة دينية ، وأصبحتم حزباً سياسياً ، لأنكم تقولون ان الإسلام دين وسياسة ، فلماذا لا تتقدمون الى الانتخابات ليكون لكم نواب يدافعون عنكم وعن وجهة نظركم ؟

الشيخ حسن : لقد قدمنا بعض المرشحين من أعضاء الجماعة الى الانتخابات ، لا باعتبارهم اخواناً مسلمين ، لأننا نعلم أن الحكومة ستعمل على اسقاطهم ، ولكن كمستقلين ، ولكن الحكومة عملت جهدها على اسقاطهم ، أتدري يا استاذ مراغي متى نستطيع دخول الانتخابات

بصفتنا اخواناً مسلمين . .

قلت :

متى ؟

قال :

حين يقبل الملك أن يكون لنا في الوزارة وزيران أو ثلاثة وزراء ، عندئذ نعرف كيف نحظى بعدد من كراسي مجلس النواب . .

قلت :

هل يعني أنكم تقبلون دخول الوزارة اذا دعاكم الملك من دون شروط ؟

قال :

نعم من دون أية شروط ، لأن وجودنا ضروري لخدمة البلد ، ان برنامجنا الاجتماعي اصلاحي يقوم على أسس قوية .

قلت :

- ماذا يصنع وزراؤكم في رخص نوادي الميسر والملاهي والبارات والخمر ؟

ضحك الاستاذ وقال :

هذه قفشة لا بأس بها ، ولكن تتعدل وعسى أن يستطيع وزراؤنا ازالة هذا المنكر .

قلت :

لعلّ هذا من باب « والله لنخوض اليكم الباطل حتى نصل الى الحق » أو من باب الضرورات تبيح المحظورات .

قال :

نعم لك حق ، لقد فهمتها جيداً وفسرتها يا استاذ مرتضى . .

وفي اليوم التالي قابلت النقراشي باشا ،ورويت له الرواية ، فهزّ رأسه استخفافاً وقال :

كان أحسن لو لم تقابله .

قلت له :

بل كان واجباً ، ثم أخبرته بأني سأرسل تقريراً الى الملك عن مضمون رسالته له فصرخ قائلاً :

إني آمرك الآ ترسل شيئاً الى الملك .

قلت :

قد وعدته . .

قال :

كيف تعده دون اذني ؟

قلت :

قد أكون أخطأت وأرجوك أن تبلغ الرسالة أنت الى الملك .

وكنت قد كتبت تقريراً بموضوع المقابلة سلّمت النقراشي نسخة منه ، فصرخ قائلاً :

هل تريد أن تفرض علي رأيك ؟

قلت :

اعلم أني موظف في وزارة الداخلية ، وأنت الوزير ، ولكن بصفتي مديراً للأمن العام ، أقول لك ان العواقب وخيمة وخطيرة . .

وفي هذه الأثناء دخل ( عبد الرحمن عمار ) وكيل الوزارة ، وكان النقراشي هائجاً مربد الوجه ، فأشار اليه النقراشي بالجلوس ، وقال :

انظر ما فعله مدير الأمن العام ، وقصّ عليه الرواية . . . واذا بعبد الرحمن يقول :

على كل حال المسألة منتهية يا دولة الرئيس ، فقد انتهيت من وضع قرار حل جماعة الاخوان المسلمين وسأعرضه عليكم غداً لتوقيعه . .

هالني الأمر .

قلت :

أرجو يا دولة الرئيس أن تقدر خطورة الأمر ، وأن تتمهل في اصدار القرار ، ان الاخوان يشكلون منظمات وخلايا سرية لا علم لوزارة الداخلية حتى الآن بأسماء أعضائها ، وقد يكون بعضهم داخل الوزارة ومن حراس الأمن ، وأنا أعلم أن كثيرين من ضباط الجيش هم من جماعة الإخوان .

قال النقراشي :

هل تريد أن تقر الارهاب وتريد أن تعترف بشرعيتهم ؟ لقد قتلوا مستشاراً من محكمة الاستئناف كان يترأس محكمة الجنايات ( الخازندار ) لأنه حكم على بعضهم بالسجن ، فهل تسمح لهذه الجماعة أن تتمادى إلى حدّ قتل القضاة ، لا بدّ من حلّ هذه الجماعة . .

ثم ضحك وقال :

إني أعرف ديتها ، انها رصاصة أو رصاصتان في صدري . .

وصدقت نبوءة النقراشي ، اذ حين توجه الى وزارة الداخلية حوالي الساعة التاسعة صباحاً ، وهمّ بدخول المصعد ، تقدم منه شاب يرتدي ملابس ضابط بوليس وأطلق عليه رصاصة من الخلف أصابت القلب وتوفي على الأثر ، وكانت الوزارة من الخارج والداخل محروسة بما لا يقل عن مائتي شرطي مسلحين جميعاً بالبنادق الأوتوماتيكية ، والغريب أن أحداً من الذين كانوا في بهو الوزارة وأمام المصعد لم يحاول أن يطلق على الجاني طلقة واحدة أو يحاول إمساكه ، ولعل هول المفاجأة أذهلهم ، وخرج الضابط المزيف الى فناء الوزارة محاولاً الهرب ولكن قبض عليه وتبينّ أنه من جماعة الاخوان المسلمين .

هنا سأله المؤرخ الاستاذ طه الولي ، وكان قد حضر هذه الجلسة متأخراً :

لقد حدثتنا عن مقتل النقراشي ولكنك لم تحدثنا عن مقتل رئيس محكمة الجنايات : فقال :

انعقدت محكمة الجنايات في مصر برئاسة المستشار ( الخازندار ) وكان قاضياً يتميز بالعلم الغزير وبنزاهة لا يرقى اليها الشك ، لمحاكمة جماعة من الاخوان المسلمين اتهموا بحيازة متفجرات وأسلحة ، وكانت القضية قد عرضت على دائرة أخرى تلقت تهديدات عديدة بالقتل اذا حكمت على المتهمين ، وأخذت القضية تؤجل حتى انتهت الى الدائرة التي يرئسها الخازندار ، وطلب محامو المتهم التأجيل ، ولكن الخازندار رفض التأجيل وأصرّ على النظر في القضية ( رغم تهديده بالقتل سواء برسائل أو مكالمات هاتفية ) لصلابته المعهودة ، وحكم في القضية بحبس المتهمين مدة طويلة بالاشغال الشاقة ، وهنا صدر عليه هو حكم الاعدام من محكمة الاخوان ونفذ كما يأتي :

خرج المستشار الخازندار من منزله صباح يوم مشمس من أيام الشتاء في حلوان بعد أن ودع زوجته وقبل طفليه ، وأخذ يمشي على مهل من منزله الى الجهة الشرقية من المدينة متجهاً الى محطة السكة الحديد ليستقل القطار ، ولم يبتعد عن منزله أكثر من خمسين متراً حتى انقضّ عليه شابان أحدهما في التاسعة عشرة والثاني في الثامنة عشرة وأطلقا عليه ست رصاصات سقط على أثرها قتيلاً . وفر الشابان صوب الجبل المحيط بحلوان ، ورآهما أحد المارة فأسرع بابلاغ البوليس الذي انطلق وراءهما ، وسمعت زوجة المستشار صوت الطلقات ، وأحس قلبها بأن شيئاً أصاب زوجها ، وكان نذير احساسها ما وجه الى زوجها من تهديدات ، فخرجت حافية القدمين ونظرت الى بعيد لترى جثماناً على الأرض وأشخاصاً ينحنون عليه ، فجرت اليه لتجده غارقاً في دمائه . . وأخذت تحضنه وتناديه وتبكي وتصرخ صراخ اليائس .

ولحق رجال الشرطة بالشابين وقبضوا عليهما وبدأ التحقيق معهما في

قسم حلوان ، وأسرعت بحكم وظيفتي الى القسم لحضور استجوابهما . . رأيتهما هادئين باسمين . . . كان أحدهما ضخم الجثة طويلاً ، وكان الآخر قصيراً نحيفاً ، وبدأ وكيل النيابة التحقيق ، وسأل أولهما عن اسمه فأجاب :

ولماذا تريد معرفة اسمي ؟

وسأل الثاني فأجاب :

اسأل زميلي يقل لك اسمي ، وضحك . . .

فنهرهما وكيل النيابة وأعاد السؤال ، فذكر كل منهما اسمه ، وسألهما هل أطلقا الرصاص على المستشار الخازندار ؟

فردا بكل برود :

ومن هو هذا الخازندار؟؟ . . ثم امتنعا عن الرد على أي سؤال، فتوقف وكيل النيابة عن التحقيق ولكن أحد رجال البوليس حاول التكلم معهما فضحكا ولم يردا عليه . فسكت . وبعد ذلك مال الصغير النحيف على اذن الضخم وأسر اليه شيئاً استغرق بعده في ضحك مكتوم حتى دمعت عيناه . فقلت له :

ـ هل أستطيع أن أعرف ما الذي أضحكك ؟ فرد مبتسماً :

أصل صاحبي هذا خفيف الدم ، وقال نكتة حلوة ، وهو دائماً يسليني بالقاء النكت . .

وأضاف المراغي قائلاً :

تملني غضب وحنق لا حد لهما . . . قاتلان يقتلان مستشاراً على درجة ممتازة من العلم والأخلاق ويرملان زوجة شابة ، وييتمان طفلين ، ولا يأبهان بشيء ، ولا يحسان بفداحة الجرم الذي ارتكباه ، ثم يتماديان في الاستهتار بالمحقق ورجال الأمن ويتبادلان النكات بدلاً من الرد على أسئلة وكيل النيابة ، لا بد أن يكون في الأمر شيء ، انهما لا يتصرفان كأشخاص عاديين لهم عقل وتفكير . . هل هما مجنونان ؟ لم أجد دلالة

واحـدة على هـذا الافتراض . . . هـل تنـاولا شيئـاً من المخـدر . . وهنـا تذكرت تقريراً قدمه أحد ضباط الشرطة . .

سأل المؤرخ جواد بولس وكان متنبهاً لحديث الاستاذ المراغي :

هل تذكر شيئاً عن هذا التقرير ؟

ـ أجاب المراغي :

تضمن التقرير معلومـات على جـانب كبير من الأهميـة اذكر منهـا أنه كان للإخوان محكمة تنعقد لمحاكمـة من تعتبرهـم الجمـاعة خصـوماً لهـا أو خونة في حق الوطن والدين ، وحين تصدر حكمها على أحد منهم بالقتـل أو بنسف داره ، فهي تختار بضعة شبان تراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والعشـرين ، وتلك هي السن التي تجري فيهـا الدمـاء حـامية في عـروق الشبـاب ورؤوسه وتحـوم فيها أطيـاف البطولـة وخيـالاتهـا عـلى العقـل ، ويضطرب فيها الجسد والفكر في فترة الانتقال الزمني من مرحلة الـطفولـة المتأخرة الى مـرحلة الصبا المتقـدمة ، ثم تعـدّ حجرة تضـاء بشموع قليلة ويـطلق فيها البخـور حيث يعبق في الحجرة وتنـطلق في أرجـائهـا سحبـه مضفياً عليها رهبة المعبد وقداسته ، ويؤمر الشباب بـالدخـول الى الحجرة عند منتصف الليل بعد أن يخلعوا نعـالهم خارجهـا ليجدوا منصـة مرتفعـة قليلاً عن الأرض مفروشة بالسجاد وعليها وسـائد مغـطاة بالسـواد يتكىء عليهـا شيخ يـرتدي قلنسـوة سوداء عينـاه نصف مغمضتين وبيـده سبحـة طـويلة . فيجلسـون أمـامـه بعـد أن يـرشـدهم من أدخلهم الى أمـاكن جلوسهم قبالة الشيـخ ، ويمضي الشيخ في همهمتـه وتمتمته ويـدير حبـاب السبحة والبخور ينطلق ، والشيخ لا يزال مطرقاً لا ينظر اليهم ، وعيـون الشبـاب تختلس النـظر اليـه ، ويمضي في صـلاتـه الخـافتـة قـرابـة نصف السـاعة ، وتتعـطل حواس الشبـاب عن التفكير في أي شيء حتى لينسـون أنفسهم ، ثم يفتـح الشيخ عينيـه ويحـدق فيهم طـويـلاً . . وتنحسـر من الرهبة أبصارهم ، كأن له عيناً يشع منها مغنـطيس عجيب . . ان تحديقـه

فيهم يخدرهم ويسلبهم القدرة على الحركة ، والبخور يدغدغ احساسهم وكأنه يدخل رؤوسهم لتخيم سحبه على عقولهم ، ثم يقوم الشيخ متثاقلاً ويقول لهم :

حان وقت صلاة الفجر . . ويصلي معهم ذاكراً في صلابة آيات الذين يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ولهم الجنة ، وتنتهي الصلاة ويصمت برهة ، ثم تدوي صيحة عالية :

هل انت على استعداد للاستشهاد في سبيل الله ؟ فيقولون : نعم . . وهل أنتم مستعدون لقتل أعداء الله ؟ فيقولون: نعم . . . هل تقسمون على الوفاء بالعهد ؟ فيقولون : نقسم .

فيقدم المصحف ليقسموا عليه ثم يقول :

استودعكم الله وموعدنا الجنة . . .

ويخرجون وفي عزمهم شيء واحد القتل والنسف .

يضيف الاستاذ مرتضى المراغي بعد أن رأى الاستاذ الكبير علال الفاسي منزعجاً من رواية المعلومات عن الاخوان :

قد يكون التقرير الذي قدمه الضابط الى وزارة الداخلية مبالغاً فيه ، أو فيه شيء من الخيال ولكن قد يكون متمشياً مع الأسلوب الذي سار عليه قاتلا المستشار الخازندار . .

وجواباً على سؤال وجهه اليه الاستاذ علال الفاسي قال المراغي :

بعد موت النقراشي ، عين الملك ابراهيم عبد الهادي ، وهو عضو بارز في حزب السعديين الذي كان يرأسه النقراشي ، عينه رئيساً للوزراء ، وكان في عزمه شيء واحد ، وهو أن ينتقم للنقراشي وأن يقضي على جماعة الاخوان المسلمين .

فجردت الحكومة عليهم حملة لا هوادة فيها ، وقبض على عدد كبير منهم أودعوا السجون ، وادعى الكثير منهم أنهم لاقوا معاملة وحشية

تناولت تعذيبهم ، وضربهم وحرمانهم من الطعام وزيارة الأقارب . ولم ترهب الحملة الاخوان ، فأرادوا أن يعملوا عملاً يحدث دوياً مروعاً يدل على انهم أقوياء ، وان حكومة عبد الهادي لم تقدر على قصّ جناحهم ، وكان ذلك العمل سيحدث دوياً مروعاً حقاً بل خراباً شاملاً وضحايا كثيرة لو تمّ تنفيذه ، ولولا المصادفة لوقع ذلك الخراب . فقد كان أحد الجنود ممن انتهت خدمته اليومية يسير في فناء محكمة الاستئناف العالي ، فوجد سيارة جيب فيها صندوقان خشبيان كبيران ، وعلى بعد منها سيارة جيب فيها شخصان جالسان وشخص آخر قادم اليهما من ناحية سيارة الجيب . . . وتذكر رجل الشرطة انه رأى وجه الشخص القادم من الجيب المحمل ، وأنه يعرف ذلك الوجه ، وعصر فكره قليلاً ليتذكر أنه عضو في جماعة الاخوان المسلمين . . . فجرى وراءه ليسأله هو ومن يركبون الجيب عن هويتهم ، وعند اقترابه منهم أدركا أنه عرفهم ، فقفزا من السيارة وركض الثالث وضاعوا وسط الجماهير ، وأسرع الجندي الى مركز الشرطة ليلقي اليهم باشتباهه ، ولم يتردد ضابط المركز في طلب خبير بالمفرقعات ، وانتقل الجميع الى عربة الجيب المحملة ، ووجدوا أن الصندوقين متصلان بقنبلة زمنية ، وفيهما كمية من الديناميت لو انفجرت لدمرت دار القضاء العالي بمن فيه من قضاة يبلغ عددهم مائتين ومتقاضين يبلغون الألوف ، بل وكانت دمرت جزءاً كبيراً من الحي .

أما الصيد الثمين الذي لا يقدر بثمن لحكومة ابراهيم عبد الهادي فقد عثر عليه في أحد المنازل عند تفتيشها ، حين وجد سجل كامل يحوي التنظيم والخلايا السرية لجماعة الاخوان المسلمين وأسماء أعضائها كاملة ، ومن المصادفات العجيبة أن هذا الكشف الذي أودع في أضابير ادارة الأمن العام أيام حكم ابراهيم عبد الهادي ، كان أثمن هدية تلقاها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر من حكومة ما قبل الثورة ، لأن هذا الكشف للتنظيم السري ساعد عبد الناصر على تصفية الاخوان المسلمين

بعد محاولة الاعتداء عليه وهو يخطب في ميدان المنشية بالاسكندرية . .
ولعلّها مفارقة عجيبة أيضاً ان ابراهيم عبد الهادي حكم عليه في عهد الثورة بالاعدام ، لأنه عذب الاخوان المسلمين ، ثم خفف الحكم الى الأشغال الشاقة المؤبدة .

## الشيخ كان يعلم

ويمضي المراغي الذي شهد هذه الأحداث الدامية وهو في مركز السلطة قائلاً :

كان الشيخ حسن البنا يعلم أن أيدي كثيرة تتربص به لقتله فكان يحتاط لنفسه كثيراً ، ويسير بصحبة حرس ، ولكن الأيدي المتربصة كانت وراءها عيون ترقب تحركه ليلاً نهاراً وتتبع خطواته أينما سار ، وكانت الأيدي المتربصة أيد قوية تدعمها رؤوس كبيرة تخشى من الشيخ حسن البنا أن يطيح بها كما أطاح ـ حسب اعتقادها ـ بالخازندار والنقراشي وأحمد ماهر ، وكان (الحرس الحديدي) ـ حرس الملك فاروق الذي يضم العديد من ضباط الجيش ومنهم أسماء « لمعت في عهد الثورة » ـ عجز عن قتل النحاس باشا مرتين ، ولم يعد هناك صبر على تجربة ثالثة لو فشلت ، فقد تجد لها رداً صارماً . ووجد قاتل القتلة فلم لا يجرب . . انه ضابط بوليس كبير ، كان يقتل المجرمين أو ذوي الشبهة ، وأصبح الإقليم الذي يديره نظيفاً منهم ، واستحق على ذلك ثناء ومكافأة ، ولقد تنبه رجال الحاشية اليه ، فعهدوا اليه أمر الشيخ حسن البنا ، ولم يتردد هو بدوره في القيام بالمهمة الموكولة اليه .

وذات ليلة خرج الشيخ حسن البنا لزيارة أحد أصدقائه ، ولم يصحبه حرسه لأن صديقاً له استعجل لقاءه في دار الشبان المسلمين ، وطلب الشيخ البنا حرسه ولم يكن موجوداً ، فخرج بغير صحبتهم ، ولم يدر أن سيارة كانت في انتظاره وانها أخذت تتبع سيارته ، ويشاء سوء حظه أن

يكون منزل صديقه في جهة غير آهلة بالسكان وغير محروسة بالشرطة ، وهم الشيخ بدخول دار الشبان المسلمين فتقدم أحد الذين كانوا في السيارة الثانية وأطلق النار . . أصيب الشيخ اصابة بالغة ولم يمت ، وأسرع المارة الى مركز البوليس يخطرونه بالحادث ، وانتقل البوليس ، ولكن الاسعاف لم يخطر بناء على أمر سام تلقاه مركز البوليس بعدم طلب الاسعاف ، الاّ بعد ساعة على اصابة الشيخ حسن البنا ، وكان دمه ينزف . . وبعد مرور وقت طويل على النزف تم نقله الى المستشفى في حال ميؤوس منها . .

وعرفنا بعد ذلك أن هناك أمراً عالياً وجه الى مركز البوليس من قبل ( الحرس الحديدي ) أو على الأصح من قبل الرؤوس الكبيرة التي تقوده وتشرف على أعماله .

وقد حدثت ليلة نقل الشيخ قصة طريفة ، فقد كان ( يوسف . . . . ) رئيس الحرس الحديدي - حرس الملك السري - يسمع الراديو في آخر نشرته الاخبارية ، فسمع خبر الاعتداء على المرحوم الشيخ حسن البنا ، الخبر الذي ينتظره ، فذهب الى التلفون وطلب جناح الملك فاروق في القصر ، فرد عليه أحد اتباع الملك ( البكباشي م . أ ) فأخبره أنه يريد التحدث الى الملك . . وعاد رجل الحاشية يقول :

قل لي ماذا تريد لأن الملك مشغول . . فقال له :

أرجو أن يكون جلالته مسروراً منا . .

رجل الحاشية : مسرور على ماذا ؟

يوسف . . . : على قتل حسن البنا .

فضحك رجل الحاشية الضابط وذهب وأخبر الملك ، وعاد يقول :

مولانا يقول لك أتلهى على عينك ، ما شأنك أنت . . . انهم غيرك !

في منزل الفقيد الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ، وفي حضور عدد من كبار الشخصيات الاسلامية ، وعلى مائدة الغداء في منزل الحاج أمين ( المنصورية ـ لبنان ـ عام ١٩٦٩ ) راح الاستاذ مرتضى المراغي يتحدث باسهاب عن الاخوان المسلمين مردداً حديثه الذي سبق أن سمعناه في منزلي ، وأضاف عليه ما يلي :

في منتصف شهر مايو ( أيار ) ١٩٥٢ وكنت وزيراً للحربية في حكومة الهلالي ووزيراً للداخلية ، اتصل بي صديق هو الاستاذ محمود عبد اللطيف ، وكان يشغل منصب رئيس نيابة ، وفي الوقت نفسه كان عضواً بارزاً في جماعة الاخوان المسلمين ، ـ ويعني هذا الاتصال انهم لم يكونوا يخافون على أنفسهم من أن تنكل حكومة الهلالي التي كنت وزيراً فيها بهم . . قال الاستاذ عبد اللطيف : انني أريد مقابلتك .

ولما تقابلنا قال ان غرضه من زيارتي أن يجمعني في منزله بالاستاذ حسن الهضيبي خليفة الشيخ حسن البنا . .

قلت :

هل تكلمت مع الهضيبي في ذلك ؟

قال :

نعم والهضيبي يرحب بالاجتماع . .

وحددنا عصر يوم للاجتماع ، وذهبت في الموعد الى منزل عبد اللطيف في شارع الهرم ، ووجدت في حديقة المنزل عدة أشخاص جالسين عرفت منهم الشيخ الباقوري وعبد الحكيم عابدين ، أما الهضيبي فكان جالساً على مقعد كبير . . . .

حييت الجميع ثم انتقلنا الى داخل المنزل ، وأجلسني عبد اللطيف مع الهضيبي في كنبة واحدة وقدم الشاي ، وأخذ عبد الحكيم عابدين بالمبادرة فرحب بي بوجهه الضاحك دائماً ،وقال ان الاخوان يكنون لي حباً كثيراً

( مع أن معلوماتي عكس ذلك ) وانهم يريدون معي حواراً مثمراً

قلت :

وأنا بدوري أريد حواراً مع الاخوان صريحاً وإني أرحب بالاجتماع معهم ، لأني أرغب التكلم في أشياء كثيرة تدور في البلد ويقوم الاخوان بدور كبير منها ، وإني أرجو أن تتعرفوا عليّ شخصياً لا عن طريق الشائعات التي يطلقها قسم الدعاية لديكم .

عبد الحكيم عابدين : اننا لا نطلق عليك اشاعات . .

قلت :

يا عبد الحكيم لست وحدي الذي تطلقون عليه الشائعات ، ان قسم الدعاية عندكم لم يترك وزيراً أو سياسياً أو نائباً أو صحافياً شهيراً الاّ وأطلق عليه أشنع التهم ومرغ به وبسمعته السياسية أو الشخصية في التراب . .

لاحظت أن الهضيبي ظل صامتاً ، ينظر حيناً من خلف نظارته الى السقف ، وحيناً الى البساط فطلبت منه أن يتكلم ، وقلت :

ما رأيك ؟

ولكنه هزّ رأسه قائلاً :

أرجو أن تكمل . .

وخرجت الكلمة منه فارغة جوفاء . .

استأنفت كلامي وقلت :

يا أستاذ هضيبي ، لو أنكم اتبعتم الوسائل السلمية في دعوتكم ودعوتم الى سبيل ربّكم بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلتم بالتي هي أحسن ، لما وقع ضدكم ما وقع من اضطهاد ، ولما قتل المرحوم الشيخ حسن البنا ، لأن العنف يولد العنف ، ولا توجد حكومة تقابل القوة باللين والمهادنة . إن شعار الاخوان سيف ومصحف ، والاخوان رهبان

الليل وفرسان النهار ، وقد طبقتم شعاركم بالقتل والنسف ، انكم الآن تجمعون كميات كبيرة جداً من الذخائر ، فماذا تنوون أن تصنعوا بها . . إن في منظمتكم عدداً كبيراً من ضباط الجيش والبوليس ، وقد أمكنكم تنفيذ ذلك بما سميتموه مشروع السنوات الخمس . . . وبمقتضى هذا المشروع يقسم الاخوان أنفسهم على المدارس والكليات في الجامعة والكليات العسكرية ، وبعد خمس سنوات يكون قد تخرج منهم ضباط بوليس تسعون لادخالهم في القسم السياسي في وزارة الداخلية وحرس الوزراء ، وضباط في الجيش ليدخلوا ادارة المخابرات العسكرية والحرس الملكي ، ومهندسون ليلتحقوا بمصلحة التلفونات والسكك الحديدية وبذلك تكون في أيديكم المراكز الحساسة في البلاد للقيام بانقلاب .

وهنا لاحظت اصفراراً على وجوههم جميعاً ونظرات يتبادلونها فيها شيء من الهلع . . وتابعت :

نحن الحكومة نعرف ذلك ونسكت عليه لأن حجتكم من جمع الذخائر هو محاربة الانكليز في القتال لطردهم ، ولكن نعرف أيضاً انكم تريدون قتل الملك وقتل كثير من الساسة ، لقد ضبطنا من أسبوع عامل المصعد في قصر القبة يحمل مسدساً ، ولولا أن الملك بات ليلته خارج القصر لقتله عامل المصعد ، وهذا العامل عضو في جماعة الاخوان ، فماذا تقول يا استاذ هضيبي . . . مع أن الملك استقبلك في قصره اثر تعيينك رئيساً للجماعة ، وأفاضت الصحف في وصف حرارة اللقاء والاستقبال وثقة الملك بك . .

الهضيبي يلوذ بالصمت . . فقلت :

اسمع يا استاذ ، لقد طلب مني صديقي عبد اللطيف أن أقابلك ، وها أنذا أقابلك على أساس أن تتكلم على الحال الحاضرة ، وأود أن أعرف منك وجهة نظركم ومأخذكم عليها ، وأعدك بأن أتعاون معكم على القيام بازالة كل ما نراه مخالفاً للمصلحة العامة .

ونظر الي الهضيبي مشككاً كأنني أحاول جره الى مصيدة ولا يرد . . فقلت :

يا استاذ هضيبي هل ترى كل شيء على ما يرام ؟ قال :

لا أجد شيئاً يدعو الى الملاحظة ،

فقلت :

أرى أنك لا تثق بي ، فهل تثقون بأمريكا أكثر منا ؟

فقال عبد الحكيم عابدين :

ماذا يا أستاذ مرتضى ؟

فقلت :

إن الأمريكيين يرون فيكم حاجزاً قوياً ضد الشيوعية ، باعتبار أن دعوتكم اسلامية وأن الاسلام ضد الشيوعية ، ويحاولون كثيراً الاتصال بكم .

فقال عبد الحكيم :

قد يكونون متفقين معنا في وجهة النظر .

كل ذلك والهضيبي لا يتكلم . فقلت :

يا استاذ هضيبي أليس لديك شيء تقوله ؟

فقال :

ماذا تريد أن أقول ؟

قلت :

لقد جئت الى هذا الاجتماع بقلب مخلص لنتعاون معاً على ازالة أسباب تذمر الشعب ، لكني أرى بوضوح أنك لا تريد ذلك ، ولا أدري لماذا طلب اليّ أن أجتمع بك . .

ووجدت أن لا فائدة من الحوار ونهضت مسرعاً وانصرفت .

كل هذا لا يمنعني من القول ان القصر الملكي كان يخشى الاخوان

أكبر خشية ، وساعد على محاربة الدعوة الاغتيالات السياسية وعمليات النسف التي قام بها التنظيم السري للاخوان وفي اعتقادي أن التنظيم السري كان المارد الذي عجزت الهيئة العليا للاخوان عن وضعه في القمقم بعد خروجه وانطلاقه . واني أذكر أن المرحوم الاستاذ البنا حينما روع بالاغتيالات التي قام بها بعض الاخوان ، صرح في الصحف بأن هؤلاء القتلة ليسوا اخواناً وليسوا مسلمين ، اني أعرف الكثيرين من الهيئة العليا للاخوان ولي منهم أصدقاء اعتز بصداقتهم ، ولهم من سماحة الاسلام وأخلاقه الشيء الكثير ، ولا أعرف عنهم نزعة الشر والقتل ، وأظن أنه جاء وقت أصبحوا فيه لا حول لهم ولا قوة ازاء التنظيم السري . .

# الضباط الأحرار والإخوان
## القصة الدامية

في أوائل عام ١٩٧٥ جاء الى بيروت نجل أحد قادة الاخوان المسلمين الذين لعبوا دوراً مميّزاً في نشاطات هذه الحركة ، وحلّ في فندق ( كارلتون ) وأخذ يتصل ببعض دور النشر لطباعة مذكرات والده التي كان قد سبق ووضعها في أحد المصارف اللندنية قبل وفاته .

كانت هذه المذكرات بحاجة الى تنسيق قبل دفعها لأسنان المطبعة ، وأمضينا قرابة ثلاثة أشهر في اعدادها للطباعة ، ولكن الأحداث الدامية التي جرت في لبنان أوقفت عملية الطبع مؤقتاً ، ثم جاءت أحداث مصر بعد ذلك لتدفع بنجل القيادي الاخواني الى صرف النظر عن طبع المذكرات .

إن ما أرويه هنا ليس قصة الاخوان ، فقصتهم أكثر تشعباً من أن يستقل كتاب مفرد بروايتها .

وليست قصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فلقصتها مجالات أخرى .

ولكنها قصة مرحلة من مراحل تواجد الاخوان المسلمين وحزب الوفد على ساحة واحدة . . من هنا تبرز أهمية ما أرويه من أسرار اعتقد أنها تنشر للمرة الأولى .

هناك ، ثمة ، اتفاق في الرأي بين الذين عاصروا تلك المرحلة الهامة من

حياة مصر على أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كان يعتبر نفسه عام ١٩٥١ واحداً من الاخوان المسلمين ، يدرب شبابهم على اطلاق النار وأعمال النسف ، ويشترك مع جهازهم السري القديم في تخطيط بعض الحوادث .

كان الاخوان يشاركون في معارك قناة السويس بعد اقدام حكومة مصطفى النحاس باشا على الغاء المعاهدة المصرية ـ البريطانية المعقودة عام ١٩٣٦ ، وأراد جماعة الضباط الأحرار أن يتعاونوا مع الاخوان في المعركة ، بعيداً عن الجهاز السري القديم الذي كان عبد الناصر أحد أعضائه ، فاتصل بالمرحوم ( عبد القادر عودة ) وكيل الاخوان ، فأحاله على الصاغ صلاح شادي ( عضو الاخوان ) .

ويروي ( صلاح شادي ) في مذكراته التي ما تزال مخطوطة بدورها : ومحفوظة لدى ( ص . ب ) :

« . . دخل الى مكتبي شاب طالت قامته حتى انحنت قليلاً الى الامام ، ونحف جسمه الى حدّ الهزال ، أسمر اللون ، طويل الانف الى حد يلفت النظر ، يبدو للرائي لدى أول نظرة ساهياً ، ولكن في عينيه بريق ذكاء يلحظه المراقب عن قرب . وكان يرتدي لباساً عسكرياً ، وكان يبدو لمحدثه بسيطاً واضحاً ، قليل الكلام ، أقرب الى الحزن منه الى المرح ، ولم استغرب ذلك حين علمت منه بعض ظروفه الخاصة » .

ذكر الشاب لي اسم من أرسله ، وعرفني بنفسه .

كان يحمل وقتذاك اسم ( البكباشي اركان حرب جمال عبد الناصر ) ثم اتخذ لنفسه فيما بعد اسماً مستعاراً هو ( زغلول عبد القادر ) يذكره اذا اتصل بي تلفونياً ، أو أراد أن يلقاني في مكان ما ، ولا غرابة في اتخاذه اسماً مستعاراً ، فقد اعتاد ذلك في كل هيئة انتمى اليها أو اتصل بها .

منذ ذلك اليوم أصبح عبد الناصر أحد سبل الاتصال بين الضباط

الأحرار والاخوان في أمور معارك قناة السويس ، والسبيل الوحيد في غيرها من الأمور . وكان المفهوم في البداية لدى قادة الاخوان أن الضباط الاحرار جماعة ذات صلة وثيقة قديمة ببعض الاخوان المسلمين وتريد أن تتعاون في القتال ، ولم يكن هناك مجال للرفض .

وتروي مذكرات القيادي الاخواني : أن جماعة الضباط الاحرار بدأت أصلاً كمجموعة من مجموعات الاخوان المسلمين في الجيش ، ولكنها انفصلت عنهم عام ١٩٤٨ حين استطاع جمال عبد الناصر أن يقنع رئيسه الضابط المتقاعد ( محمود لبيب ) بانفصالها واستقلالها بكثير من الأمور الخاصة ، على أن يكون اللقاء في الخطوط الرئيسية والأهداف ، وكانت حجة عبد الناصر الرئيسية في الانفصال بجماعة الضباط الأحرار ، أن الشروط الخلقية التي يتطلبها الانضمام الى الاخوان كانت تعوق أغلب ضباط الجيش ، مما أدى الى تضييق مجال الانضمام اليها في صفوف الجيش ، ولما انفصلت جمعية الضباط الأحرار ، توسع عبد الناصر في ضم الضباط اليها بغير شروط غير مجرد السخط على نظام الحكم القائم ، وهكذا ضمت تلك الجمعية السرية أشخاصاً ينتمون الى مختلف الهيئات السياسية في مصر ، وظل كل منهم يظن أن عبد الناصر يوافقه في مبادئه . وبهذا ظلت الأسرار الحقيقية للضباط الأحرار وقفاً على عبد الناصر وقلة من الضباط تختلف في مدى علمها بالأسرار ، أما البقية الباقية من الأعضاء فانها كانت تنتظر مجهولاً لا تعلمه .

كانت صناديق الذخيرة تأتي من رفح على حدود فلسطين ، فيتلقاها ـ عبد الناصر وأحد قادة الاخوان « عبد القادر عودة » وينقلانها الى البيوت السرية ، لترسل في اليوم التالي مباشرة الى خطوط القتال أو مراكز التدريب . وكان مفهوماً أن هذه الذخيرة مسروقة من الجيش المصري .

حدث أثناء محاكمة الاستاذ فؤاد سراج الدين أمين حزب الوفد عام ١٩٥٤ التطرق الى موضوع تعاون حكومة الوفد في معركة قناة السويس ، وقد أذنت حكومة الوفد الى سراج الدين الذي كان وزيراً للداخلية يومئذ ، بنقل لغم بحري من القاهرة الى ( القنطرة ) ليفجره الفدائيون هناك بمعاونة بعض الضباط ، ولكن قائد الجناح عبد اللطيف البغدادي ـ رئيس المحكمة العسكرية ـ كذّب سراج الدين ، وقال أن الضباط الأحرار هم الذين نقلوه بالطائرة . . وانه لم ينقل بالقطار .

وتروي مذكرات القيادي الاخواني التي أشرنا اليها آنفاً ، ان ما قاله رئيس المحكمة لم يكن الواقع ، فان الطائرة لم تنقل إلاّ الأسلاك والمفجر أما اللغم ذاته فقد نقل بالقطار كما قال الاستاذ فؤاد سراج الدين امام المحكمة .

كان هناك ضابط في قسم الأبحاث بالجيش المصري ينتمي الى جماعة الضباط الأحرار هو اليوزباشي ( صلاح هدايت ) ، واستطاع هذا الضابط أن يصمم لغماً بحرياً بسيطاً يمكن تحضيره داخل ثكنات الجيش بمعاونة بعض الضباط الالمان الذين كانوا يعملون في قسم الأبحاث ، ولما تمّ تركيب اللغم ، نقلت أسلاكه ومفجره الى رفح بالطائرة ، وعادت من رفح الى القنطرة على قناة السويس ـ أما اللغم ذاته ـ وكان كبير الحجم ملفتاً للنظر ، فقد أوصله الاخوان الى محطة القاهرة ، ومنها سافر بالقطار الى القنطرة بإذن خاص من فؤاد سراج الدين وزير الداخلية لحكومة الوفد في ذلك الوقت .

وكانت الخطة الموضوعة لتفجير هذا اللغم أن يسافر بعض الاخوان الى القنطرة ، ومعهم ضابط من زملاء عبد الناصر ، فيضعون اللغم في القناة ليلاً ، ثم يفجرونه من الشاطىء الشرقي في احدى ناقلات الزيت أو

بوارج البحرية البريطانية أثناء عبورها القناة ، وستعطل الملاحة حيناً . وهذا من شأنه أن يزعج القوات البريطانية المحتلة للمنطقة ، ويحفز الدول المستفيدة من الملاحة بالقناة أن تدفع هيئة الأمم المتحدة الى التدخل في النزاع المصري ـ البريطاني .

وقد بقيت المجموعة المكلفة بالعملية هناك ليلتين ، لم يسعدها الحظ خلالها بالباخرة المطلوب نسفها .

وأراد مندوب عبد الناصر حين أعياه الانتظار أن يفجر سفينة ركاب هولندية تعبر القناة ، فرفض رئيس المجموعة ، وقام اضطراب كاد أن يودي بالجميع لولا أن هدد رئيس المجموعة باطلاق النار على المندوب اذا تقدم خطوة واحدة نحو المفجر الكهربائي . . وعادت المجموعة ولم تتم شيئاً ، وأجل التنفيذ الى يوم آخر ، حالت دونه أحداث وقعت في القاهرة .

وتمضي مذكرات القيادي الاخواني على هذا النحو فيقول :

في كانون أول ( ديسمبر ) ١٩٥١ ، طلب مني عبد الناصر أن نقدم له شاباً من الاخوان ، فدائياً ( ميت القلب ) كما يقال في مصر ، أي شجاعاً لا يخاف ، ثابتاً لا يضطرب ، وكان يريده ليقوم بعملية خطيرة في بور سعيد ، فقدمنا له ( محمود عبد اللطيف ) الذي كان قد أبدى شجاعة وثباتاً فائقين في حرب فلسطين عام ١٩٤٩ ( أعدم بعد ذلك بثلاثة أعوام بتهمة الشروع في قتل عبد الناصر بالاسكندرية ) .

سافر محمود عبد اللطيف الى بور سعيد ، ونحن لا نعلم ما هي العملية الخطيرة التي يقوم بها .

كان اقدام حكومة الوفد برئاسة النحاس على الغاء المعاهدة اجراء وطنياً هيأ لمعارك قناة السويس أن تستمر ، وأن تؤثر في جيش الاحتلال ، وأن تؤتي ثماراً طيبة وسريعة ، فقد كان الشعب كله متحمساً لها ، وكانت

حكومة الوفد تؤيدها مادياً ومعنوياً ، وكان المفروض أن تستغل لتطويرها دولياً ، ولا شك أن معركة كهذه يتعاون فيها الشعب والحكومة جديرة بأن تنجح ، وأن وقف الجيش رسمياً بمنأى عنها ، ولكن وزارة الوفد أقيلت اثر حادث حريق القاهرة ، ذلك الحادث الذي نقل المعركة من قناة السويس الى العاصمة ، ومن معركة خارجية يتفق فيها الجميع الى معركة داخلية تختلف فيها الاتجاهات والنزعات .

لقد حاول كثيرون تحديد المسؤولية عن حريق القاهرة ، فأخطأهم التوفيق ، لأنهم كانوا يضربون في الظلام فيخطئون الاتهام . . انهم لم يعيشوا مع ذلك الجنين الذي كان يتكون .

في يوم ٢٦ يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٥٢ ومعارك قناة السويس تسير سيرها الطبيعي ، والمظاهرات تجوب الشوارع تطالب بمزيد من قتال الانكليز ، والملك فاروق يدعو الى مائدته جمعاً من ضباط الجيش ، وضع مجهولون النار في بعض أماكن بالقاهرة ، فأثاروا ثائرة الجماهير التي اندفعت تخرب وتسرق وتقتل ، وقبض على كثيرين ، وأعلنت الأحكام العرفية ، ثم أقيلت وزارة النحاس باشا وتوقفت عمليات القتال في قناة السويس ، ومنع التجول في القاهرة ليلاً ، وبمجرد أن انتشرت النار المشتعلة في القاهرة ، وبدأ النهب يدور في المتاجر والطرقات اتصل عبد الناصر ببعض قادة الاخوان المسلمين ، ومنهم صاحب المذكرات المنوه عنها ، وطلب منه نقل الأسلحة المسروقة من الجيش والموضوعة في القاهرة الى أماكن أخرى في الريف ، وكانت دور عبد الناصر وبعض رفاقه من الضباط الأحرار من جملة الدور التي كانت تتواجد فيها كميات الأسلحة المسروقة من الجيش ، وبالفعل تم نقل هذه الأسلحة الى بعض المناطق النائية بعيداً عن العاصمة بمعرفة قيادة الاخوان المسلمين .

معظم الذين نشروا مذكراتهم عن ثورة ٢٣ يوليو سواء من

الضباط الأحرار أو من خصومهم أكّدوا أن الاخوان المسلمين قد سبق لهم أن اطلعوا على موعد قيام الثورة من قبل عبد الناصر بالذات وهذا ما أكّده المرحوم العشماوي العضو القيادي للاخوان في مذكراته التي نشرت بعضها مجلة الوطن الكويتية عام ١٩٨٠ .

ويمكننا القول إن موضوع اشتراك الاخوان في الانقلاب الذي قام به الضباط الأحرار قد نوقش في اجتماع مكتب الارشاد الذي عقد برئاسة المرشد العام حسن الهضيبي . . وقد رفض قلة من الأعضاء قيام الجيش بحركة عسكرية كخطوة نحو الثورة العامة لأنهم لا يثقون في حركات الجيوش ، كما أن معظم الأعضاء قد وافقوا على الفكرة ، واتفق الاخوان مع الضباط الأحرار على الاستمرار في الاعداد للثورة العامة عن طريق البدء بتحرك عسكري يشارك فيه ضباط الاخوان ، واتفق على أن يظل هذا في طي الكتمان .

وفي اجتماع لاحق لقادة الاخوان نوقشت الأوضاع التالية للثورة ، واحتمالات الفشل والنجاح ، أما الفشل فكان معناه أن تنقسم الفئة الثائرة من الجيش الى الشباب ، ويكون قتالاً يؤدي الى ما قد يؤدي اليه من أحداث . .

أما النجاح ، فكان يعقبه اسناد الحكم مؤقتاً الى الرئيس علي ماهر لتطمئن الهيئات المحلية والدول الأجنبية . . . ثم تجرى انتخابات سريعة يحكم البلد بعدها من يختاره الشعب في ظل الدستور الذي له السيادة وحده . . . ويرجىء الغاء الملكية الى ما بعد الانتخابات .

وحين فوتح جمال عبد الناصر بما اتفق عليه قادة الاخوان ( مذكرات حسن العشماوي ) أقره ووعد بتنفيذه في حال نجاح الحركة العسكرية في الاستيلاء على السلطة .

وحدد التوقيت . . ولكن الظروف قدمته أياماً قلائل حين وصلت

أنباؤه وأسماء بعض الضباط الى أسماع الملك فاروق . .[1] .

وقعت الثورة ، وتهاوى أنصار الملك ، واضطربت تصرفاته ، وعين الرئيس علي ماهر رئيساً للوزراء ، والرئيس محمد نجيب قائداً للجيش . . وبعد ثلاثة أيام تنازل الملك عن العرش ، وغادر البلاد .

بعد ذلك أحس الذين شاركوا بالحركة أن جمال عبد الناصر هو المحور الذي تدور حوله تنظيمات الضباط الأحرار ، وأن صديقه الصاغ عبد الحكيم عامر كان موضع سره .

في مساء ١٣ كانون الثاني ١٩٥٤ تحركت سيارات نقل مكشوفة من مقر البوليس الحربي لاعتقال بعض أعضاء الاخوان المسلمين ، لقد صدرت أوامر اعتقال بالجملة تناولت أسماء معينة من قادة الاخوان المسلمين . وقد جاءت هذه الأوامر اثر قيام اضطرابات في الجامعة حول الحرية وأهميتها في تلك المرحلة ، وحصل صدام محدود بين الشرطة وطلبة الجامعة .

وكان لهذا الصدام أسبابه .

فحين تنازل الملك فاروق عن العرش ، وغادر مصر ، استمر الرئيس علي ماهر يحكم البلاد بوزارة شكلت على عجل في ظروف استثنائية . وظلت مجموعات الضباط تشرف على شؤون الحكم من مقرها بادارة الجيش ، ولكن الرئيس علي ماهر لم يكن خاضعاً تماماً لسيطرة الجيش ، بل كان له رأيه المخالف صواباً أو خطأ . وبينما هو يحاول الاصلاح على طريقته التقليدية ، كان الضباط يهيئون بناء نظام حكم خاص يتفق مع أفكارهم ، وكان عبد الناصر يخطط للنظام الذي يريد اقامته .

إن المراقب للأحداث التي وقعت منذ ثورة ٢٣ يوليو حتى استتباب

(١) ( مذكرات مرتضى المراغي وزير الحربية والداخلية في حكومة الهلالي باشا ١٩٥٢ ) . ( دار النهار ) .

الحكم لعبد الناصر يحس بكل هذا وهو يلاحق تطور الأمور بين الضباط الأحرار والذين تحالفوا معهم في البداية ، وفي طليعة هؤلاء ( الاخوان المسلمين ) .

بعد نجاح الثورة بدأ عبد الناصر يصرف الأمور مع لجنة الضباط الأحرار ، التي أسماها فيما بعد مجلس الثورة ، وقد أثبت عبد الناصر مهارته السياسية حين تخلص من وزارة علي ماهر بحجة انها تريد تعطيل الدستور فترة أطول من فترة الانتقال التي كان متفقاً عليها من قبل مع الاخوان ومع غيرهم من السياسيين ، وهي ستة أشهر .

واتبع ذلك باعلان الدستور المؤقت الذي جعل مجلس الثورة هيئة دستورية لها وضعها في تنظيم الدولة . . ولكن هذه الخطوة لم تتم إلّا بعد تعيين اللواء محمد نجيب رئيساً للوزارة ، ثم اقصاء رشاد مهنا من مجلس الوصاية على العرش .

فبعد أقل من شهر على حكم علي ماهر ، استقر رأي الضباط الأحرار على أن علي ماهر « مخرب » للحركة . . فقد كانوا الى ذلك الوقت يسمون الثورة بالحركة ، ثم أطلقوا على الحركة اسم ( الثورة ) . اعتبر علي ماهر بنظر الضباط الأحرار مخرباً لأنه لا يهدف بسرعة الى اعادة الدستور واجراء انتخابات عامة في البلاد ، ولأنه يفرض ضرائب غير مباشرة على المواد الاستهلاكية ، ولأنه ـ وفق بلاغاتهم الرسمية ـ يحكم بعقلية العهود الماضية ، لذلك قرر الضباط تنحيته عن الحكم ليحل غيره محله .

كانت أبرز الأسماء المرشحة لتولي الوزارة الدكتور عبد الرزاق السنهوري رئيس مجلس الدولة في ذلك الوقت ، فللدكتور السنهوري ماضٍ سياسي حزبي لا يرضى عنه الاخوان خاصة ، وكذلك الوفد ، فاذا رفض ـ وهو الرجل العالم الفاضل صاحب السمعة القانونية الدولية ، فليس أمام الحلفاء إلّا أن يقبلوا رئاسة محايد ذي روح جديدة ، وكان

الاسم الثاني المرشح الدكتور وحيد رأفت ( نائب رئيس حزب الوفد مؤخراً ) .

كنت يومها مراسلاً لجريدة ( الجمهورية ) الرسمية الناطقة باسم الثورة ، في سورية وغيرها من البلدان العربية ، وكنت قريباً من الذين كانوا يصنعون الأحداث ، وفي طليعتهم الرئيس الراحل محمد أنور السادات . وكان وقتها يشرف على جريدة الجمهورية .

لقد ظلت لجنة الضباط العليا ، واللجان الفرعية في الأسلحة المختلفة ، وأعضاء الهيئات الشعبية يناقشون اسم الرئيس الجديد للحكومة ، ولم يكن سراً على حلفاء الثورة ، أن اللواء محمد نجيب هو المرشح لهذا المنصب ، فعين رئيساً للوزراة يوم ٧ سبتمبر ١٩٥٢ .

في تلك الليلة بالذات أبلغ جمال عبد الناصر الهضيبي هاتفياً عن اعتقال ثلاثة وسبعين شخصاً من رجال السياسةوالقصر الملكي ، وعرض على الهضيبي اشتراك الاخوان في هذه الوزارة .

ولم ينس عبد الناصر أن يقول للهضيبي بأن هذا الاعتقال مؤقت ، وسيفرج عنهم بعد أيام الاّ من يثبت ضده اتهام يستوجب محاكمته الجنائية !

وطلب عبد الناصر من المرشد العام للاخوان الاستاذ حسن الهضيبي أن يبحث مكتب الارشاد هذا الموضوع ويرشح من يراه ليتولى بعض المناصب الوزارية .

رفض مكتب الارشاد ( مجلس ادارة الهيئة ) الاشتراك في الوزارة ، وحين دخلها أحد الاخوان ( الشيخ أحمد الباقوري ) استقال من الجماعة حتى لا يتعارض موقفه مع قرارهم رفض الاشتراك في الحكم ، وقد أغضب هذا القرار عبد الناصر ورفاقه .

كانت وزارة محمد نجيب نقطة تحول لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، لقد تألفت هذه وفق هدف تحجيم قوة الاخوان المسلمين ، وشل حركة جماعتهم لكي لا يتحركوا ضد الثورة . .

كان طريق السويس ، ومناطق القتال بالقرب من القناة محفورة بمجموعة من الفدائيين المتسبين الى الجهاز السري للاخوان ، وكان الاخوان يحرسون السفارات الأجنبية ، والمراكز الحساسة في القاهرة والأقاليم ، ومنازل الضباط الأحرار . وكان هؤلاء يرتدون الزي المدني ، وقام الرئيس محمد نجيب بزيارة للأقاليم بتأييد ودعم الاخوان المسلمين فنجحت الزيارة .

كانت خطة عبد الناصر تصفية منافسي الثورة من ضباط الجيش ، ثم بعدها ينتقل الى تصفية الاخوان ، وتولت وزارة محمد نجيب الحكم ، وصدر بعد تأليفها مباشرة قانونان هامان ، احدهما خاص بالاصلاح الزراعي حدد الملكية الزراعية وقيمة الايجار للأراضي .

وثانيهما خاص بتنظيم الأحزاب السياسية .

وكان القانونان محل رضى من الاخوان المسلمين في البداية ، ومع ذلك ، فقد وقع خلاف في الرأي بين الاخوان وبين الضباط الأحرار حول هذين القانونين . خلاف في التفاصيل لا في الجوهر ، ولم ينس عبد الناصر هذا الخلاف ، وظل طويلاً يعلق عليه ، ويبدي لبعض قادة الاخوان استياءه من نشر جانب منه في الصحف .

أحبّ عبد الناصر أن يقنع الاخوان بأن قانون تنظيم الأحزاب لا يطالهم ، وقد فهموا منه بأن الغاء الأحزاب سيعقبه بعد الانتخابات الأولى للجمعية التأسيسية اباحة انشاء أحزاب جديدة تقوم على فكرة محددة لا على مجرد تجمع أشخاص بالذات ، كما كان الشأن في كثير من الأحزاب القديمة . وقد كان قانون تنظيم الأحزاب السياسية خطوة ذات أثر فعّال في

زعزعة الأحزاب القائمة ، حين طمع بعض الأعضاء في كل حزب - حتى في الاخوان المسلمين - ان يكونوا هم أصحابه وذوي المكانة فيه ، وان اضطرهم هذا الى الارتماء في أحضان ضباط الثورة .

وأدى هذا التبلبل الى ظهور نوع من الخلاف المشين حطّ من قدر بعض الأحزاب ورجالها في نفوس الناس ، مما أفقدهم الاحترام !

اتجه عبد الناصر في تفكيره الى تأليف حزب سماه ( هيئة التحرير ) أراد أن تكون قاعدته الشعبية مساندة للجيش ، وقد حاول عبد الناصر جاهداً أن يستعين في تنظيم هذا الحزب وعمل براجمه بالاستاذ ( سيد قطب ) أحد أركان الاخوان وأهل الرأي فيهم ، ولا بدّ من الاشارة هنا الى أن ( هيئة التحرير ) منذ انشائها كانت نقطة خلاف رئيسية بين عبد الناصر والاخوان .

وبدأت الاحداث تتلاحق .

فحين شكلت وزارة محمد نجيب ، كان بعض الاخوان المسلمين ، الذين سبق أن حكم عليهم في قضايا سياسية في العهد الماضي لا يزالون في السجون ، وكانت الحكومة لا تمانع في العفو عن جميع الجرائم السياسية السابقة فيما عدا جرائم القتل والتخريب ، وكان من الاخوان من حكم عليه في مقتل المستشار أحمد الخازندار ، ورئيس الوزراء محمود النقراشي .

وعد عبد الناصر الاخوان باصدار عفو خاص عن الاخوان المسجونين فيما عدا قضيتين : مقتل القاضي الخازندار ، وحريق القاهرة .

واستقبل الاخوان هذا الوعد في كثير من الحذر ، مما دفع عبد الناصر الى اصدار العفو عن جميع القضايا بما فيها قضايا القتل . . ولهذا العفو قصة وردت في مذكرات القيادي الاخواني الذي سبق الاشارة اليها ، جاء فيها :

فبعد فترة قصيرة من تشكيل وزارة نجيب ، أحس عبد الناصر

بحاجته الى اقصاء القائمقام رشاد مهنا عضو مجلس الوصاية ( من الاخوان ) !

كان عبد الناصر قد وضع رشاد مهنا في مجلس الوصاية على العرش ليبعده عن الحكومة من جهة ، وليقطع علاقته باخوانه من الضباط ومن الاخوان ، واصطدم رشاد مهنا بمحمد نجيب ، وتطور الصدام حين طالب رشاد مهنا بحقه ـ كواحد من رؤساء حركة الضباط الأحرار ـ في أن تعرض عليه الأمور ليناقشها قبل اقرارها ، وصدر قرار باقالة رشاد مهنا من مجلس الوصاية ، وقصر مجلس الوصاية على شخص واحد هو الأمير محمد عبد المنعم !

وبعد أيام قليلة اعتقل رشاد مهنا مع بعض الضباط المحسوبين على الاخوان المسلمين ، وحوكموا محاكمة سرية ، وقضي على مهنا بالسجن المؤبد .

وعند القبض على رشاد مهنا كانت الشهور الستة المحددة لاعادة الدستور قد قاربت على الانتهاء ، واعتذر الضباط الأحرار للاخوان عن التأخير بأن وزارة علي ماهر قد ضيعت بعض الوقت ، وان رشاد مهنا أراد أن يجرّ البلاد الى الوراء ، وأن يصبح ملكاً غير دستوري .

وصدر دستور مؤقت ، وشكلت لجنة لوضع مشروع دستور جديد ضم بعض قادة الاخوان ومنهم حسن العشماوي عضو مكتب الارشاد .

وشعر القائمقام يوسف صديق ( أحد أعضاء مجلس الثورة ) بأن دوره سيأتي ، فاختلف مع عبد الناصر وتشاحنا في المجلس ، ولكن عبد الناصر ( مدرس التكتيك بكلية أركان الحرب ) استطاع أن يحاصره وأن يعزله عن جماعته ، وأن يبعده عن اللجنة ، ثم عن القاهرة ، ثم عن مصر كلها ، ليعود بعد ذلك شبه سجين ، ويوسف صديق هو الذي احتل ادارة

الجيش يوم الثورة ، وهو الذي حمل اليها عبد الناصر وصديقه عبد الحكيم عامر بعد أن نجح في مهمته .

حتى ذلك الوقت كانت العلاقات بين عبد الناصر والاخوان في اطار التكتيك ، ولم تنتقل الى المواجهة . . فكل فريق يعرف مقدار قوة خصمه ويحترمها ، وسرعان ما بدأت الأحداث تتجه نحو الصدام .

وحدث في أواخر عام ١٩٥٢ أن طلب المستر ( ايفانس ) المستشار بالسفارة البريطانية في القاهرة من أحد أصدقائه أن يجمع بينه وبين بعض الاخوان المسلمين ، ووقع اختيار المرشد العام على عضوين من مكتب الارشاد ( مجلس ادارة الهيئة ) هما : « منير دلة » المستشار بمجلس الدولة ، و« صالح أبو رقيق » المستشار في الجامعة العربية ، وأبلغ عبد الناصر باللقاء فرحب به ، لأن مثل هذا اللقاء يفهم الانكليز مدى وقوف قوة شعبية كبرى وراء مطالب الحكومة بالجلاء .

تم اللقاء ، ثم سرعان ما عاد مستر ( ايفانس ) يطلب أن يقابل المرشد العام للاخوان المسلمين ، فوافق المرشد الاستاذ حسن الهضيبي على لقائه ، ودعاه لتناو الشاي معه في منزله . وأبلغ عبد الناصر بهذا ، وتم الاتفاق على أن يلتقي عبد الناصر وزملاؤه بالمرشد العام للاخوان ظهر يوم ١٩٥٣/٢/٢٥ ، ليعلموا منه ما تم في لقاء ( ايفانس ) .

تم اللقاء وشرح الهضيبي فكرته التي عرضها على ايفانس وهي وجوب التمسك بانتهاء معاهدة ١٩٣٦ ، وأن الأمر لا يحتاج الى معاهدة جديدة مع بريطانيا لأن الشعب في مصر يؤمن بالحياد ، وعرض المرشد على عبد الناصر ورفاقه في هذه الجلسة فكرة دعاهم الى محاولتها اذا اضطروا الى عقد معاهدة مع الانكليز ، تقوم على أن يكون تقرير حالة خطر الحرب باتفاق الطرفين ، فاذا اختلفا فبقرار من مجلس الأمن . . ولما كان مجلس الأمن لا يصدر قراراً اذا اعترضت احدى الدول صاحبة حق

الفيتو ، فان هذا الوضع سيضمن حياد المنطقة من مظنة القول بخطر قيام حرب .

في أوائل صيف ١٩٥٣ ، تعثرت المفاوضات المصرية ـ البريطانية بشقيها السودان والجلاء ، وحاول عبد الناصر في ذلك الوقت أن يمتن صلته بالاخوان ، أملاً أن تدفع الأعمال الفدائية المفاوضين الانكليز الى نوع من التساهل معه ، ولم يجد عبد الناصر كبير عون من الاخوان بعد أن أحسوا أنه يبطش بغيرهم ، وأن دورهم قادم !

حين انتهى الصيف ، كان ذهن العسكريين قد تفتق عن فكرة محاكمات الثورة ، وقدّم اليها بعض السياسيين وغير السياسيين . وكان أول من جوكم رئيس الوزراء السابق ابراهيم عبد الهادي ، الذي كان يعتبر العدو الأول للاخوان المسلمين . . وقد قدم بعدد كبير من التهم منها تعذيبه لأفراد من الاخوان أثناء حكمه عام ١٩٤٩ ، وصدر الحكم باعدام ابراهيم عبد الهادي ، ثم خفض الى السجن المؤبد .

## الصدام

نجح عبد الناصر في أن يحدث خلافاً بين الاخوان عن طريق اقناع بعض قادتهم الى الانضمام اليه ، وحين أقبل عام ١٩٥٤ اقتنع الاخوان بأن بقاء الحكم العسكري أصبح أمراً لا يطاق ، ولكنهم اختلفوا في الوسيلة ، فالبعض يرى أن المجاهرة بهذا الرأي واجب ، والبعض الآخر يرى الاستفادة باستعادة ثقة عبد الناصر حتى يمكن الاتفاق معه على الغاء الحكم العسكري .

وأحس عبد الناصر عن طريق اصدقائه من الاخوان بما يبيته له الاخوان ، فقرر البطش بهم . . .

وفي يوم ١٣ كانون الثاني ( يناير ) ١٩٥٤ ، كانت السيارات تقطع

شوارع القاهـرة تجمع الاخـوان من بيوتهم ، وكـانت القطارات قـادمة من الأقاليم تحمل المعتقلين من الاخوان .

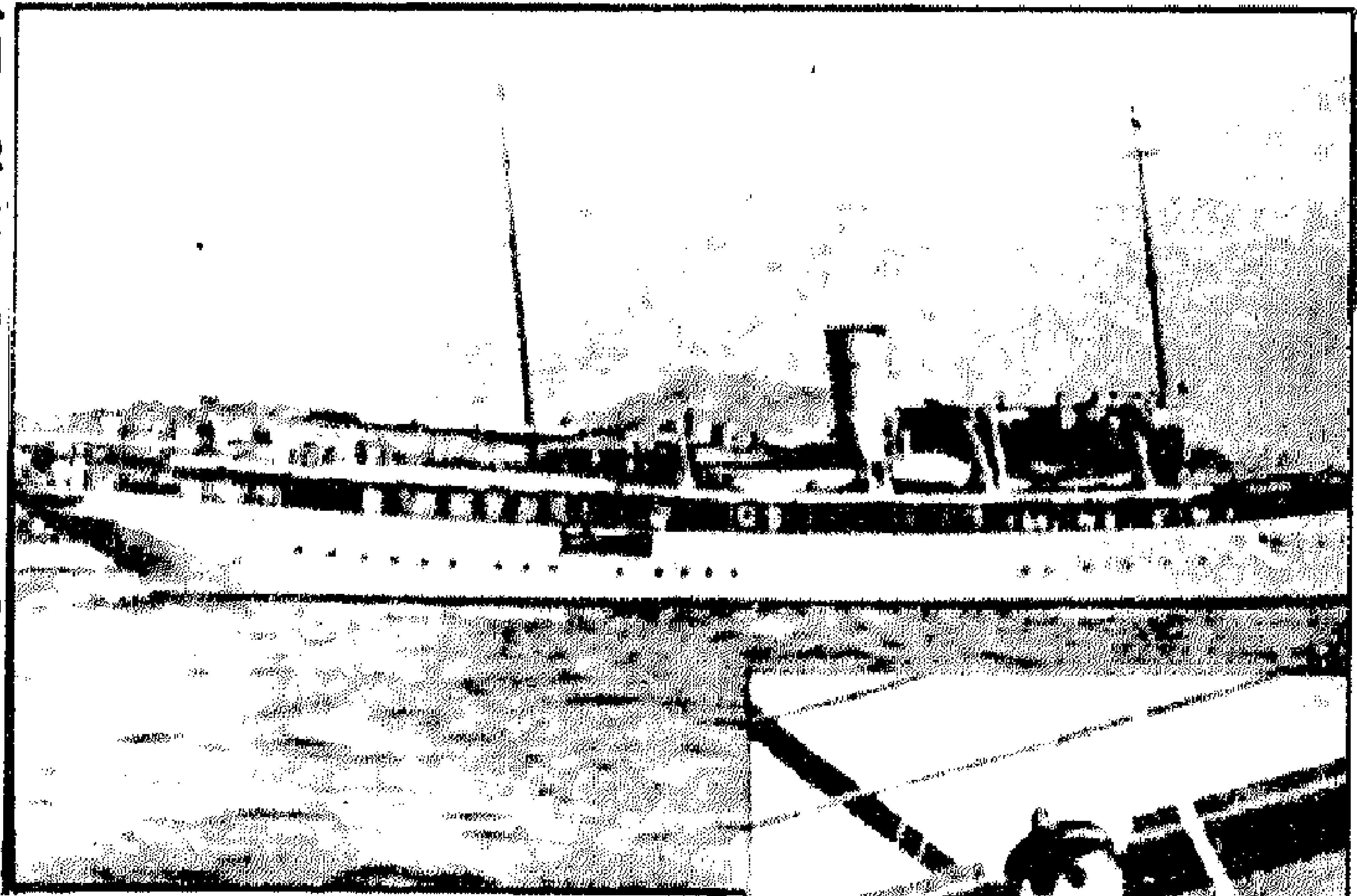
في مسـاء ذلـك اليـوم كنت في مكتب الـرئيس الـراحـل السـادات في مكتب جـريدة الجمهـورية ، فـطلب مني البقاء في مكتبه الى أن يتصل بي هـاتفياً من مبنى قيـادة الثورة ، وحـوالي منتصف الليل رن جـرس الهـاتف فأبلغني قرار حل جماعة الاخوان المسلمين وأسبابه ، ووضع بنفسـه العنوان مع المقدمة . كان القـرار يقضي باعتبـار الاخوان المسلمـين حزبـاً سياسيـاً ينطبق عليه قرار مجلس الثورة على الأحزاب السياسية .



اللواء محمـد نجيب مع عـلي مـاهـر
بعـد تشكيله للوزارة وانـذاره



اجتماع مجلس الثورة الذي تقرر فيه حل الاخوان واعتقال قادتهم .



اليخت « المحروسة » يغادر مرسى قصر رأس التين مع غروت ٢٦ يوليو وهو يحمل فاروق وأسرته بعد تنازله عن العرش .





محاكمة محمود عبد اللطيف الذي حاول اغتيال جمال عبد الناصر .

# بيان مجلس قيادة الثورة
# باعتبار جماعة الإخوان حزباً سياسياً

إن كانت الثورة قد قامت في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فقد ظل تنظيم الضباط الأحرار ينتظر من يتقدم الصفوف مخلصاً ليغير الفكر الذي كنا نعيش فيه ويثبت بعمله جدية صدقه واخلاصه لدينه ووطنه ،وكنا على استعداد أن نتبعه في صف واحد كالبنيان المرصوص ، حتى نحقق لوطننا العزيز عزة وكرامة وتحرراً من الاستعمار والعبودية ولما طال انتظارنا عقدنا العزم على القيام بالثورة وكنا جادين ولا هدف لنا الا حرية الأمة وكرامتها وان الله تعالىٰ لن يكتفي بايمان الناس اذا لم يتبعوا هذا الايمان بالعمل وبالعمل الصالح فيقول عزّ وجلّ ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾ .

ومن يوم قيام الثورة ونحن في معركة لم تنته بعد ، معركة ضد الاستعمار لا ضد المواطنين وهذه المعركة لا تحتمل المطامع والأهواء التي طالما نفذ الاستعمار من خلالها ليحطم وحدة الأمة وتماسكها فلا تقوى على تحقيق أهدافها .

وقد بدأت الثورة فعلاً بتوحيد الصفوف الى أن حلت الأحزاب ولم يحل الاخوان ابقاء عليهم وأملاً فيهم وانتظاراً لجهودهم وجهادهم في معركة التحرير ولأنهم لم يتلوثوا بمطامع الحكم كما تلوثت الأحزاب السياسية الأخرى ولأن لهم رسالة دينية تعين على اصلاح الخلق وتهذيب

النفوس ولكن نفراً من الصفوف الأولى في هيئة الاخوان أرادوا أن يسخروا هـذه الهيئة لمنـافـع شخصيـة وأطمـاع ذاتيـة مستغلين سلطان الـدين عـلى النفوس وبراءة وحماسة الشبان المسلمين ولم يكونوا في هذا مخلصين لوطن أو دين .

ولقد أثبت تسلسل الحوادث أن هذا النفر من الطامعـين استغلوا هيئة الاخـوان والنظم التي تقـوم عليها هـذه الهيئة لاحـداث انقـلاب في نـظام الحكم القـائم تحت ستار الـدين وقد سـارت الحـوادث بـين الثـورة وهيئـة الاخوان بالتسلسل الآتي :

١ - في صبـاح يوم الثـورة استدعي الاستـاذ حسن العشمـاوي لسـان حال المرشد العام الى مقر القيادة العـامة في كـوبري القبـة ، وأبلغ اليه أن يطلب من المرشد العام اصدار بيان لتـأييد الثـورة . ولكن المرشـد بقي في مصيفه بالاسكندرية لائـذاً بالصمت فلم يحضـر الى القاهـرة الا بعد عـزل الملك . ثم أصدر بياناً مقتضباً طلب بعـده أن يقابـل أحد رجـال الثورة . فقابله البكباشي جمال عبد الناصر في منزل الاستاذ صالح أبو رقيق الموظف بالجامعة العربية وقد بـدأ المرشـد حديثـه مطالبـاً بتطبيق أحكـام القرآن في الحـال فرد عليـه البكباشي جمـال أن هذه الثـورة قامت حـرباً عـلى الـظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي والاستعمار البـريطاني وهي بـذلك ليست الا تـطبيقاً لتعـاليم القرآن الكـريم . فانتقـل المرشـد بالحـديث الى تحديـد الملكية وقال إن رأيه أن يكون الحد الأقصى ٥٠٠ فدان فردَّ عليه البكباشي جمـال قائـلاً ان الثورة رأت التحـديد بمـائتي فدان فقط وهي مصممـة على ذلك . فانتقل المرشـد بالحـديث قائـلاً إنه يـرى لكي تؤيد هيئـة الاخوان الثورة أن يعرض عليـه أي تصرف للثـورة قبل اقـراره فرد عليـه البكباشي جمال قائلاً بأن هذه الثورة قـامت بدون وصـاية أحـد عليها وهي لن تقبـل بحال أن توضع تحت وصاية أحد وان كان هذا لا يمنع القائمين على الثورة من التشـاور في السياسـة العامـة مع كـل المخلصين من أهـل الـرأي دون

التقيد بهيئة من الهيئات . ولم يلق هذا الحديث قبولاً من نفس المرشد .

## العفو عن الاخوان

٢ ـ سارعت الثورة بعد نجاحها في اعادة الحق الى نصابه وكان من أول أعمالها أن أعادت التحقيق في مقتل الشهيد حسن البنا ، فقبضت على المتهمين في الوقت الذي كان فيه المرشد لا يزال في مصيفه بالاسكندرية .

٣ ـ طالبت الثورة الرئيس السابق علي ماهر بمجرد توليه الوزارة أن يصدر عفواً شاملاً غن المعتقلين والمسجونين السياسيين وفي مقدمتهم الاخوان . وقد نفذ هذا فعلاً بمجرد تولي الرئيس نجيب رئاسة الوزارة .

٤ ـ حينما تقرر اسناد الوزارة الى الرئيس نجيب تقرر أن يشترك فيها الاخوان المسلمون بثلاثة أعضاء على أن يكون أحدهم الاستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري وقد تم اتصال تليفوني بين اللواء عبد الحكيم عامر والمرشد ظهر يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، فوافق على هذا الرأي قائلاً انه سيبلغ القيادة بالاسمين الآخرين ثم حضر الاستاذ حسن العشماوي الى القيادة في كوبري القبة وأبلغ البكباشي جمال عبد الناصر أن المرشد يرشح للوزارة الاستاذ منير دلة الموظف بمجلس الدولة والاستاذ حسن العشماوي المحامي . وقد عرض هذا الترشيح على مجلس الثورة فلم يوافق عليها وطلب البكباشي جمال من الاستاذ حسن العشماوي أن يبلغ ذلك الى المرشد ليرشح غيرهما وفي نفس الوقت اتصل البكباشي جمال بالمرشد فقال الأخير إنه سيجمع مكتب الارشاد في الساعة السادسة ويرد عليه بعد الاجتماع وقد أعاد البكباشي جمال الاتصال مرة أخرى بالمرشد فرد عليه أن مكتب الارشاد قرر عدم الاشتراك في الوزارة فلما قال له لقد أخطرنا الشيخ الباقوري بموافقتك وطلبنا منه أن يتقابل مع الوزراء في الساعة السابعة لحلف اليمين أجاب بأنه يرشح بعض أصدقاء الاخوان للاشتراك في الوزارة ولا يوافق على ترشيح أحد من الاخوان وفي اليوم التالي صدر

قـرار من مكتب الارشاد بفصـل الشيـخ البـاقـوري من هيئـة الاخـوان . فاستدعى البكباشي جمال عبد الناصر الاستاذ حسن العشماوي وعاتبه على هذا التصرف الـذي يظهـر الاخوان بمظهر الممتنع عن تـأييد وزارة الـرئيس نجيب ، وهدد بنشر جميع التفاصيـل التي لازمت تشكيل الـوزارة فكان رد الاستاذ حسن العشماوي أن هذا النشر يحـدث فرقـة في صفوف الاخـوان ويسيء لموقف المرشد ورجا عدم النشر .

## نصيحة الثورة للاخوان

٥ ـ عنـدما طلب من الأحـزاب أن تقدم اخـطارات عن تكوينهـا قدم الاخوان اخطاراً باعتبارهم حزباً سياسياً وقد نصحت الثورة رجال الاخوان بألّا يترددوا في الحزبية ويكفي أن يمارسوا دعوتهم الاسلامية بعيداً عن غبـار المعارك السياسية والشهوات الحزبية وقـد ترددوا بـاديء الأمر ثم استجـابوا وطلبوا اعتبارهم هيئة وطلبوا من البكباشي جمال عبد الناصر أن يساعـدهم في تصحيح الأخطاء . فذهب الى وزارة الداخليـة حيث تقابـل مع المـرشد في مكتب الاستاذ سليمان حافظ وزير الداخلية يومئذ وتم الاتفـاق على أن تطلب وزارة الداخلية من الاخوان تفسيراً عمّا اذا كـانت أهدافهم سيعمـل على تحقيقها عن طريق أسباب الحكم كالانتخابات وأن يكون رد الاخـوان بالنفي حتى لا ينطبق عليهم القانون .

٦ ـ في صبيحـة يوم صـدور قرار حـل الأحزاب في ينـاير سنـة ١٩٥٢ حضر الى مكتب البكباشي جمال عبد الناصر الصاغ صلاح شادي والاستاذ منـير دلة وقـالا له الآن وبعـد حل الأحـزاب لم يبق من مؤيدي الثـورة الا هيئة الاخوان ، ولهذا فانهم يجبّ أن يكـونوا في وضـع يمكنهم من أن يردوا على كل أسباب التساؤ ل فلما سألهم ما هو هذا الوضع المطلوب أجابا بأنهم يريدون الاشتراك في الوزارة فقال لهما إننا لسنا في محنـة واذا كنتم تعتقدون أن هذا الظرف هو ظرف المطالب وفرض الشروط فأنتم مخطئون فقـالوا لـه

اذا لم توافق على هذا فاننا نطالب بتكوين لجنة من هيئة الاخوان تعرض عليها القوانين قبل صدورها للموافقة عليها وهذا هو سبيلنا لتأييدكم ان أردتم التأييد . فقال لهم جمال : لقد قلت للمرشد سابقاً اننا لن نقبل الوصاية وإنني أكررها اليوم مرة أخرى في عزم واصرار وكانت هذه الحادثة هي نقطة التحول في موقف الاخوان من الثورة وحكومة الثورة اذ دأب المرشد بعد هذا على اعطاء تصريحات صحفية مهاجماً فيها الثورة وحكومتها في الصحافة الخارجية والداخلية كما كانت تصدر الأوامر شفوياً الى هيئات الاخوان بأن يظهروا دائماً في المناسبات التي يعقدها رجال الثورة بمظهر الخصم المتحدي .

٧ ـ لما علم المرشد بتكوين هيئة التحرير تقابل مع البكباشي جمال في مبنى القيادة بكوبري القبة وقال انه لا لزوم لانشاء هيئة التحرير ما دام الاخوان قائمين وانه لن يؤيد هذه الهيئة ، وبدأ منذ ذلك اليوم في محاربة هيئة التحرير واصدار أوامره باثارة الشغب واختلاق المناسبات لايجاد جو من الخصومة بين أبناء الوطن الواحد .

## اتصال الاخوان بالانجليز

٨ ـ وفي شهر مايو سنة ١٩٥٣ ثبت لرجال الثورة أن هناك اتصالاً بين بعض الاخوان المحيطين بالمرشد وبين الانجليز عن طريق الدكتور محمد سالم الموظف في شركة النقل والهندسة ، وقد عرف البكباشي جمال عبد الناصر من حديثه مع الاستاذ حسن العشماوي في هذا الخصوص أنه حدث اتصال فعلاً بين الاستاذ منير دلة والاستاذ صالح أبو رقيق ممثلين عن الاخوان وبين المستر ايفانز المستشار الشرقي للسفارة البريطانية وأن هذا الحديث سيعرض حينما يتقابل البكباشي جمال والمرشد . وعندما التقى البكباشي جمال مع المرشد أظهر له استياءه من اتصال الاخوان مع

الانجليز والتحدث معهم في القضية الوطنية الأمر الذي يدعو الى التضارب في القول واظهار البلاد بمظهر الانقسام .

وحينما استجوب اليوم الدكتور محمد سالم عن موضوع اتصال الانجليز بالمرشد ومن حوله قال ان القضية تبتدىء وقت ان كان وفد المباحثات العربي جالساً يتباحث رسمياً مع الجانب البريطاني . وفي أبريل سنة ١٩٥٣ اتصل به القاضي جراهام بالسفارة البريطانية وطلب منه أن يمهد لمقابلة بين مستر ايفانز المستشار الشرقي للسفارة البريطانية وبعض قادة الاخوان وانه - أي محمد سالم - أمكنه ترتيب هذه المقابلة في منزله بالمعادي بين منير دلة وصالح أبو رقيق عن الاخوان ومستر ايفانز عن الجانب البريطاني وتناول الحديث موقف الاخوان من الحكومة وتباحثوا في تفاصيل القضية المصرية ورأي الاخوان وموقفهم من هذه القضية ثم قال الدكتور محمد سالم انه جاء في رأي قادة الاخوان أن عودة الانجليز الى القاعدة تكون بناء على رأي لجنة مشكلة من المصريين والانجليز وان الذي يقرر خطر الحرب هو هيئة الامم المتحدة ولعل هذا هو السبب في تمسك الانجليز بهذا الرأي الذي لم يوافق عليه الجانب المصري للمفاوضات حتى اليوم .

ثم قال الدكتور محمد سالم إنه تلا ذلك اجتماع آخر مماثل في منزله أيضاً حين طلب مستر ايفانز مقابلة المرشد فوعد منير دلة بترتيب هذا الاجتماع وفعلاً تم في منزل المرشد ودار في هذا الاجتماع الحديث عن القضية المصرية وموقف الاخوان منها . وذكر الدكتور محمد سالم أيضاً أن المستر ايفانز دعا منير دلة وصالح أبو رقيق لتناول الشاي في منزله وقد أجابا دعوته مرتين .

## تسلل الاخوان الى الجيش

٩ - في أوائل شهر يونيو سنة ١٩٥٣ ثبت لادارة المخابرات أن خطة

الاخـوان قد تحـولت لبث نشاطهـا داخل قـوات الجيش والبوليس وكـانت خـطتهم في الجيش تنقسم الى قسمـين : القسم الأول ينحصـر في عمـل تنظيم سري تـابع لـلاخوان بـين ضباط الجيش ودعـوا فيها دعـوا عدداً من الضباط وهم لا يعلمون أنهم من الضباط الأحرار فسايروهم وساروا معهم في خططهم وكانوا يجتمعون بهم اجتمـاعات أسبـوعية وكـانوا يتحـدثون في هذه الاجتماعـات عن الاعداد لحكم الاخـوان المسلمين والـدعوة الى ضـم أكبر عدد من الضبـاط ليعملوا تحت امرة الاخـوان وكانـوا يأخـذون عليهم عهداً وقسماً أن يطيعوا ما يصدر اليهم من أوامر المرشد .

أما القسم الثاني فكان ينحصر نشاطه في عمـل تشكيلات بـين ضباط البـوليس وكان الغـرض منها هـو اخضـاع نسبـة كبيرة من ضبـاط البـوليس لأوامـر المرشـد أيضاً . وكـانوا يجتمعـون في اجتماعـات دوريـة اسبـوعيـة وينحصر حديثهم في الحقد والكراهيـة لرجـال الثورة ورجـال الجيش وبث الـدعوة بـين ضباط البـوليس بـأنهم أحق من رجـال الجيش بـالحكم نـظراً لاتصالهم بالشعب . . وكانوا يمنونهم بالتـرقيات والمنـاصب بعد أن يتم لهم هدفهم وكان يتزعمهم الصاغ صلاح شادي الذي طالما ردد في اجتماعاتـه بهم أنه وزير الداخلية المقبل .

وقسم ثالث أطلق عليه قسم الوحدات وكان الغرض منـه ، هو جمـع أكبـر عدد من ضبـاط الصف في الجيش تحت امرة المرشـد أيضـاً وكـانـوا يجتمعون بهم في اجتماعات شبه أسبـوعية وكـان الحديث يشتمـل على بث الكراهية للضباط في نفس ضباط الصف واشعارهم أنهم القوة الحقيقيـة في وحدات الجيش وانهم اذا نجح الاخوان في الوصول الى الحكم فسيعاملون معاملة كريمة . كما كان هذا القسم يبث الدعوة لجمع أكبر عـدد من صف ضباط وجنود البوليس ليكون تحت امرة المرشد العام للاخوان .

ولـما تجمعت المعلومات لادارة المخـابرات اتصـل البكباشي جمـال عبد

الناصر بالاستاذ حسن العشماوي باعتباره ممثلاً للمرشد وصارحه بموقف الاخوان العام ثم بموقف الاخوان داخل الجيش وما يدبرونه في الخفاء بين قوات الجيش والبوليس وقال له لقد أمنا لكم ولكن هذه الحوادث تظهر انكم تدبرون أمراً سيجني على مصير البلاد ولن يستفيد منه الا المستعمر واني أنذر اننا لن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذه التصرفات التي يجب أن توقف ايقافاً كاملاً ، ويجب أن يعلم الاخوان أن الثورة انما أبقت عليهم بعد أن حلت جميع الأحزاب لاعتقادها أن في بقائهم مصلحة وطنية فاذا ما ظهر أن في بقائهم ما يعرض البلاد للخطر فاننا لن نتردد في اتخاذ ما تمليه مصلحة البلاد مهما كانت النتائج فوعد أن يتصل بالمرشد في هذا الأمر وخرج ولم يعد حتى الآن .

## الجهاز السرّي للاخوان

وفي اليوم التالي استدعى البكباشي جمال عبد الناصر الاستاذ خميس حميدة نائب المرشد والشيخ سيد سابق وأبلغهما ما قاله لحسن العشماوي في اليوم السابق فأظهرا الاستياء الشديد وقالا انهما لا يعلمان شيئاً عن هذا وانهما سيبحثان الأمر ويعملان على ايقاف هذا النشاط الضار . ورغم هذا التحذير وهذا الانذار استمر العمل حثيثاً بين صفوف الجيش والبوليس وأصبح الكلام في الاجتماعات الدورية يأخذ طابع الصراحة وطابع الحقد ، فكانوا يناقشون الخطط في هذه الاجتماعات بحثاً عن أسلم الطرق لقلب نظام الحكم وكان الأحرار المنبثون في هذه التشكيلات يبلغون أولاً بأول عمّا يدور في كل اجتماع .

١٠ ـ بعد أن تعين الاستاذ الهضيبي مرشداً للاخوان لم يأمن الى أفراد الجهاز السري الذي كان موجوداً في وقت الشهيد حسن البنا برياسة السيد عبد الرحمن السندي فعمل على ابعاده معلناً انه لا يوافق على التنظيمات السرية لأنه لا سرية في الدين ولكنه في نفس الوقت بدأ تكوين

تنظيمات سرية جديدة تدين له بالولاء والطاعة بل عمد الى التفرقة بين أفراد النظام السري القديم ليأخذ منهم الى صفه أكبر عدد ليضمهم الى جهازه السري الجديد . وفي هذه الظروف المريبة قتل المرحوم المهندس السيد فايز عبد المطلب بواسطة صندوق من الديناميت وصل الى منزله على أنه هديةمن الحلوى بمناسبة عيد المولد النبوي وقد قتل معه بسبب الحادث شقيقه الصغير البالغ من العمر تسع سنوات وطفلة صغيرة كانت تسير تحت الشرفة التي انهارت نتيجة الانفجار . وكانت المعلومات ترد الى المخابرات بأن المقربين من المرشد يسيرون سيراً سريعاً في تكوين جهاز سري قوي ويسعون في نفس الوقت الى التخلص من المناوئين لهم من افراد الجهاز السري القديم .

١١ ـ وكان نتيجة ذلك أن حدث الانقسام الأخير بين الاخوان واحتل فريق منهم دار المركز العام . وقد حضر الى منزل البكباشي جمال عبد الناصر بعد منتصف ليل ذلك اليوم الشيخ محمد فرغلي والاستاذ السعيد رمضان مطالبين بالتدخل ضد الفريق الآخر ومنع نشر الحادث فقال لهم جمال انه لن يستطيع منع النشر حتى لا يؤول الحادث تأويلات ضارة بمصلحة البلاد . أما من جهة التدخل ، فهو لا يستطيع أن يتدخل بالقوة حتى لا تتضاعف النتائج وحتى لا يشعر الاخوان أن الثورة تنصر فريقاً على فريق وأنه يرى أن يتصالح الفريقان وأن يعملا على تصفية ما بينهما فطلب منه الشيخ فرغلي أن يكون واسطة بين الفريقين وأن يجمعه مع الاستاذ صالح عشماوي فطلب منه جمال أن يعود في اليوم التالي في الساعة العاشرة وانه سيعمل على أن يكون الاستاذ صالح موجوداً وفي الموعد المحدد حضر الشيخ فرغلي ولم يمكن الاتصال بالاستاذ صالح عشماوي ، وكان الشيخ فرغلي متلهفاً على وجود الاستاذ عشماوي مما دعا البكباشي جمال أن يطلب من البوليس الحربي البحث عن الاستاذ صالح واحضاره الى المنزل وتمكن البوليس الحربي في الساعة الثانية عشرة من العثور على الاستاذ صالح

فحضر هو والشيخ سيد سابق الى منزل البكباشي جمال وبدأ الطرفان يتعاتبان ، وأخيراً اتفقا على أن تشكل لجنة يوافق على أعضائها الاستاذ صالح عشماوي للبحث فيما نسب الى الاخوان الأربعة المفصولين على الا يعتبروا مفصولين وأن يعتبروا تحت التحقيق والعمل على أن يسود السلام المؤتمر الذي كان مزمعاً عقده في دار المركز العام في عصر ذلك اليوم ولكن لم ينفذ هذا الاتفاق .

١٢ ـ في يوم الأحد ١٠ يناير سنة ١٩٥٤ ذهب الاستاذ حسن العشماوي العضو العامل بجماعة الاخوان المسلمين وأخو حرم منير دلة الى منزل المستر كروزويل الوزير المفوض بالسفارة البريطانية ببولاق الدكرور الساعة السابعة صباحاً ثم عاد لزيارته أيضاً في نفس اليوم في مقابلة دامت من الساعة الرابعة بعد الظهر الى الساعة الحادية عشرة من مساء نفس اليوم . وهذه الحلقة من الاتصالات بالانجليز تكمل الحلقة الأولى التي روى تفاصيلها الدكتور محمد سالم .

## الاخوان يتفقون مع الشيوعيين

١٣ ـ وكان آخر مظهر من مظاهر النشاط المعادي الذي قامت به جماعة الاخوان هو الاتفاق على اقامة احتفال بذكرى المنبسي وشاهين يوم ١٢ الجاري في جامعتي القاهرة والاسكندرية في وقت واحد وأن يعملوا جهدهم لكي يظهروا بكل قوتهم في هذا اليوم وان يستغلوا هذه المناسبة استغلالاً سياسياً في صالحهم ويثبتوا للمسؤولين أنهم قوة وان زمام الجامعة في أيديهم وحدهم ،وفعلاً تم اجتماع لهذا الغرض برئاسة عبد الحكيم عابدين حضره الاستاذ حسن دوح المحامي ومحمود أبو شلوع ومصطفى البساطي من الطلبة واتفقوا على أن يطلبوا من الطلبة الاخوان الاستعداد لمواجهة أي احتمال يطرأ على الموقف خلال المؤتمر حتى يظهروا بمظهر القوة وحتى لا يظهر في الجامعة أي صوت آخر غير صوتهم ، وفي سبيل تحقيق

هذا الغرض اتصلوا بالطلبة الشيوعيين رغم قلتهم وتباين وجهات النظر وعقدوا معهم اتفاقاً ودياً يعمل به خلال المؤتمر .

وفي صباح ١٢ الجاري عقد المؤتمر وتكتل الاخوان في حرم الجامعة وسيطروا على الميكروفون ووصل الى الجامعة أفراد منظمات الشباب من طلبة المدارس الثانوية ومعهم ميكروفون مثبت على عربة للاحتفال بذكرى الشهداء فتحرش بعض الطلبة الاخوان وطلبوا اخراج ميكروفون منظمات الشباب وانتظم الحفل والقيت كلمات من مدير الجامعة والطلبة وفجأة اذا ببعض الطلبة من الاخوان يحضرون الى الاجتماع ومعهم نواب صفوي زعيم فدائيان اسلاميان في ايران حامليه على الاكتاف وصعد الى المنصة وألقى كلمة واذا بطلبة الاخوان يقابلونه بهتافهم التقليدي « الله أكبر ولله الحمد » وهنا هتف طلبة منظمات الشباب « الله أكبر والعزة لمصر » فساء طلبة الاخوان أن يظهر صوت في الجامعة مع صوتهم فهاجموا الهاتفين بالكرابيج والعصي وقلبوا عربة الميكروفون وأحرقوها وأصيب البعض باصابات مختلفة ثم تفرق الجميع الى منازلهم .

حدث كل هذا في الظلام وظن المرشد وأعوانه أن المسؤولين غافلون عن أمرهم . لذلك فنحن نعلن باسم هذه الثورة التي تحمل أمانة أهداف هذا الشعب أن مرشد الاخوان ومن حوله قد وجهوا نشاط هذه الهيئة توجيهاً يضر بكيان الوطن ويعتدي على حرية الدين . ولن تسمح الثورة أن تتكرر في مصر مأساة رجعية باسم الدين ولن تسمح لأحد أن يتلاعب بمصائر هذا البلد لشهوات خاصة مهما كانت دعواه ولا أن يستغل الدين في خدمة الأغراض والشهوات وستكون اجراءات الثورة حاسمة وفي ضوء النهار وأمام المصريين جميعاً والله ولي التوفيق » .

« مجلس قيادة الثورة »

في ( فبراير ) - شباط - نحى مجلس الثورة رئيسه اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ، ثم أعاده رئيساً للجمهورية فقط .

في أيار - مارس - ١٩٥٤ وجه المرشد العام للاخوان المسلمين الاستاذ حسن الهضيبي من داخل السجن الحربي رسالة الى الرئيس محمد نجيب قال له فيها :

« . . . أما بعد ،

فان مجلس قيادة الثورة قد أصدر قراراً في ١٢ يناير ١٩٥٤ بأنه يجري على جماعة الاخوان المسلمين قانون حل الأحزاب السياسية ، ومع ما في هذا القرار من مخالفة لمنطوق القانون ومفهومه ، فقد صدر بيان نسبت الينا فيه أفحش الوقائع ، وأكثرها اجتراء على الحق . . واعتقلنا ولم نخبر بأمر الاعتقال ولا بأسبابه ، وقيل يومئذ إن التحقيق في الوقائع التي ذكرت به سيجري علناً فاستبشرنا بهذا القول ، لأننا انتظرنا أن تتاح لنا فرصة الرد عليه لنبينّ أن ما اشتمل عليه كله ، وعلى الصورة التي جاءت به ، لا حقيقة له ، فيعرف كل انسان قدره ويقف عند حده ، ولكن ذلك لم يحصل . والى أن تتاح لنا الفرصة فاننا ندعوكم وندعو كل من اتهمنا وندعو أنفسنا الى ما أمر الله تعالى به ورسوله عليه الصلاة والسلام حين قال :

« فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

وقد استمرت حركة الاعتقالات طوال شهرين كاملين ، حتى امتلأت المعتقلات والسجون بطائفةٍ من أطهر رجالات البلد وشبابها ، بلغوا عدة آلاف ، لكثير منهم مواقف في الدفاع عن البلاد وعن حرياتها . . . شهد بها الأعداء قبل الاصدقاء ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، ولم يكتفوا

بالكلام كما يفعل كثير من الناس ، أما كيفية الاعتقال ومعاملة المعتقلين ، فلن نعرض لها هنا .

وقد بدأت في مصر بوادر حركة ـ ان صحت ـ فقد تغير من شؤونها وأنظمتها ، وقرار حل الاخوان ، وان أنزل اللافتات عن دورهم ، فانه لم يغير الحقيقة الواقعة ، وهي أن الاخوان المسلمين لا يمكن حلهم ، لأن الرابطة التي تربط بينهم هي الاعتصام بحبل الله المتين ، وهي أقوى من كل قوة ، وما زالت هذه الرابطة قائمة ولن تزل كذلك باذن الله ، ومصر ليست ملكاً لفئة معينة ، ولا حق لأحد أن يفرض وصايته عليها ، ولا أن يتصرف في شؤونها دون الرجوع اليها ، والنزول على ارادتها . لذلك كان من أوجب الواجبات على الاخوان المسلمين أن يذكروكم بأنه لا يمكن أن يبت في شؤون البلاد في غيبتهم ، وكل ما يحصل من هذا القبيل لن يكون له أثر في استقرار الأحوال ولا يفيد البلاد في شيء .

وان ما دعوتم اليه من الاتحاد وجمع الصفوف لا يتفق وهذه الأحوال . فان البلاد لا يمكن أن تتحد وتجمع صفوفها ، وهذه المظالم وأمثالها قائمة .

نسأل الله تعالى أن يقي البلاد كل سوء ، وأن يسلك بنا سبيل الصدق في القول والعمل ، وأن يهدينا الى الحق والى صراط مستقيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**حسن الهضيبي**
**المرشد العام للإخوان المسلمين**

(بعث الرئيس محمد نجيب بهذه الرسالة الى جريدة الجمهورية لنشرها ، ولكن السادات منع نشرها في جميع الصحف المصرية ، وحظر على المراسلين الاشارة اليها تحت طائلة العقوبة ) .

في نهاية ( مارس ) ١٩٥٤ أفرج عن المرشد العام للاخوان المسلمين الاستاذ حسن الهضيبي وبعض اخوانه من قادة الاخوان ، فاستأجروا فور خروجهم من السجن الحربي منزلاً بمصر الجديدة باسم مستعار هو ( حسن جمال الدين محمد ) أقام فيه بعض قادة الاخوان الذين اضطرتهم ظروفهم للاختفاء ، وبعد أيام قليلة لحق بهؤلاء الاستاذ حسن الهضيبي حين هوجم بيته ليلاً في غيبته وتأكد للجميع أثناء اختفائهم بصدور أمر بالقبض على المرشد العام وبعض القادة نتيجة اجتماع عام عقد في المركز العام للاخوان . وقد ترك هذا المنزل للهضيبي وعائلته وانتقل الاخوان الى منازل صالحة للاختفاء .

في هذا المنزل اجتمع الهضيبي مع زملائه أعضاء مكتب الارشاد مرتين ، فضلاً عن اجتماعات تكميلية تمت مع من أراد الاجتماع بهم من الأعضاء .

كان الهضيبي في المرتين يحدد للحضور الموعد تاركاً لهم تحديد المكان والاحتفاظ بالسرية .

في هذين الاجتماعين اللذين عقدهما مكتب الارشاد تداول المجتمعون في أمور اختفاء رئيسهم وسياسة الجماعة المعارضة من الحكومة القائمة ، والموقف من جهة الاعتقالات التي اتسعت في صفوف الاخوان حتى جاوز عدد المعتقلين الخمسمائة شخص ( مذكرات القيادي الاخواني المنوه عنها ) . كان موقف الهضيبي من التساؤل عن سبب اختفائه واضحاً ، فهو قد اختفى لأن الحكومة جادة في اعتقاله برغم انها تنكر ذلك في الصحف كل صباح ، وهو يؤثر الا يعتقل الآن خشية أن يثير اعتقاله

حماس الشباب فيرتكب حماقة لا يرضاها . .

هذا من ناحية . . . ومن ناحية أخرى فانه حتى لو ظهر أنه يريد أن يعتزل الموقف لأنه يعلم يقيناً أن الحكومة لا ترغب في التفاهم معه ، وهو يريد ـ برغم رأيه الخاص ـ أن يترك ميدان التفاهم مفتوحاً حتى لا يكون عقبة في تحقيق رغبة قد يتفق عليها في غير وجوده ، وقد أقرّه المكتب على الاختفاء ـ ورفض فكرة اعتزاله أو التفاهم مع الحكومة ، ولم يعترض على اختفائه غير عضوين أدليا برأيهما المخالف صراحة ، وخلاصته أن اختفاء رئيس الجماعة يوحي ولو خطأ بأن وراءه تدبيراً عنيفاً ، وهذا ظن فيه خطر لا مبرر له ، ورأى هذان العضوان ان الاستاذ الهضيبي يجب أن يعود الى المركز العام للجماعة ، ولو عقب انعقاد الجمعية التأسيسية الجديدة التي يرجى أن تكون أكثر انسجاماً وتوحداً في الفهم ، وقد كان رأيهما محل اعتبار ووعد الهضيبي بتنفيذه !

أما موجة الاعتقالات المتزايدة ، والتي لم يكن قد نشر عنها شيء ، فقد كانت في الواقع سبب فزع للأعضاء حين ناقشوها ، ولكن سبب الفزع لم يكن واحداً ، فقد كان البعض يخشى ما ينجم عن اتساع نطاق الاعتقالات من سخط قد يدعو بعض الاخوان الى التصرف منفرداً بما يضر مصالح الأمة ويشوه استقامة فكرة المعارضة في حين كان يفزع البعض الآخر تصوره أن تعلو موجة الاعتقالات حتى تدركه في مأمنه . . . وبعد المناقشة الهادئة ، وبعد أن علم مكتب الارشاد أن أغلب الأفراد يرفضون تسليم أنفسهم والعودة الى السجن . . . بعد ذلك لم يستطع المكتب أن يتخذ قراراً ، فترك لكل فرد أن يواجه الاعتقال بالتسليم أو الاختفاء ، وأبلغ كل من اختار الاختفاء وجوب عدم الاقدام على أي عمل فردي شاذ غير مأمون العواقب !

وحين نوقشت مسألة الموقف مع الحكومة عموماً ، وما يمكن أن ينتج

عن السلبيات ، اقترح البعض مسالمة الحكومة ، وأجمعوا على عدم القيام بأي عمل فردي ، حتى ان الاجراء العنيف الوحيد الذي عرضه أحدهم وهو اختطاف بعض رجال البوليس الحربي والمباحث العامة وأخذهم كرهائن مقابل من اعتقل من الاخوان . . فهذا الإجراء يشل حركة الدولة ويسقط هيبتها ويجعل زملاء الرهائن أكرم في معاملة المعتقلين وأكثر تحرزاً في تنفيذ أوامر القبض بالجملة . .

أقرّ هذا الرأي أول الأمر وأعدت له وسائل تنفيذه ، ثم أرجىء بعض الوقت ، ثم منع دوران عجلة الحوادث بعد ذلك العودة اليه .

ولعلّ أوضح ما عرض في تلك الأيام من آراء رأي بالقيام باعتصام سلمي يضم الاخوان وغيرهم من أفراد الشعب ومن رجال السياسة مع نسائهم وأطفالهم يرابطون جميعاً أمام قصر الجمهورية ( قصر عابدين ) حتى تنزل الحكومة عند رأيهم أو تبيدهم بالرصاص ، وان كان المؤكد أن الجيش سيعصي أمر اطلاق النار على قوم عزّل مسالمين ، وعصيان الجيش أول مراحل الثورة الشعبية ، وبهذا تنطلق الشرارة التي تحرق النظام القائم . .

وبرغم ما بدا على صاحب هذا الاقتراح من حماس في عرض فكرته ، فان حماسه لم يلق من أغلبية زملائه أذناً صاغية وان كان اقتراحه أوحى بالفكرة التي استقر عليها الرأي فيما بعد ولو متأخراً .

وخرج الاجتماع بدون قرار واضح في هذه المسألة بالذات ، ويبدو أن أعضاء مكتب الارشاد لم يكن لديهم الشجاعة لمواجهة نقطة الفصل في الأمور ، أو لعلّه ليس لديهم من الثقة في سائر اخوانهم ما يمكنهم من اصدار قرار جريء . . . وعلى أي حال ، فان الصبر كان شعارهم لعلّ وعسى !

بينما كانت الاتصالات في هذا المنزل السري تتوالى بحذر اتضح أن

المنزل المذكور مهدد . . كان المنزل الذي يقيم فيه رئيس الجماعة هو الدور الأرضي في احدى العمارات الكبيرة في مصر الجديدة وبينما كان أحد الاخوان يغادر باب المسكن يوماً ، اذ لمح ضابطاً على الدرج فرفع نظره ليتبينه فاذا به أحد ضباط المخابرات الحربية وأحد المسؤولين شخصياً عن القبض على الاخوان ، فارتد الشاب لفوره الى داخل المسكن كمن نسي شيئاً وعادليحضره ، ثم خرج بعد قليل دون أن يشعر أحداً في المسكن بما رأى ، وفي حديث عابر مع بواب العمارة عرف صلة الضابط بالمنزل وانه استأجر منذ أول الشهر ( سبتمبر ) الشقة التي تعلو المنزل السري مباشرة . .

وفي نفس اليوم الذي تمت فيه المواجهة على الدرج ، جاء شاب من الاخوان يروي انه كان يمر من أمام منزل الهضيبي ليراقب الحالة كما يفعل كل يوم فاذا به يتبينّ رجلاً استشعر أنه من رجال البوليس السري ، فظل يراوغه حتى فرّ منه . . وتضاعفت موجة الشك لدى المعتصمين بالمنزل السري بأن البوليس يراقب تحركاتهم ، فتقرر مبدئياً نقل الهضيبي الى مكان آخر . . ولكن الى أين ؟

نقل الهضيبي الى منزل صغير مؤقتاً ، ثم تمّ نقله الى الاسكندرية .

وفي شارع ( سانت جيتي ) بالمندرة أقام الهضيبي تحت اسم مستعار هو ( الدكتور حسن صبري ) .

كان المنزل عبارة عن فيلا من دور واحد بها ست غرف وصالة وكراج وحديقة .

ثم سرعان ما انتقل الى هذا المنزل عائلة المرشد العام ، وفي هذا البيت ظل الهضيبي مقيماً حتى قبض عليه بعد شهر ونصف الشهر .

وفي هذا المنزل أيضاً عقدت سلسلة من الاجتماعات مع بعض الأفراد كل على حدة ، وفي هذه الأثناء أقرت الهيئة التأسيسية القانون الجديد للاخوان فأنهت أعمالها ودعت الى انتخابات جديدة في الجماعة .

وأجريت الانتخابات ٢٣ اكتوبر ( تشرين اول ) ١٩٥٤ وحدد يوم الخميس التالي موعداً لانعقاد الهيئة التأسيسية الجديدة التي سيحضرها الهضيبي شخصياً على أن تخرج الهيئة بعد الاجتماع مع أفراد الجماعة في مظاهرة سلمية يحميها بعض الأفراد المسلحين ، ويسير في المظاهرة بعض كبار رجال السياسة في الأمة ، وكان الاخوان على اتفاق معهم في ذلك ، وكان المفروض أن هذه المظاهرة بما يحميها من أفراد مسلحين ، ستكون نقطة الانطلاق لثورة شعبية تسعى لتسليم مقاليد الحكم لحكومة مؤقتة تجري انتخابات عامة . . ولكن الأحداث سبقت هذا التقدير !

## تقرير سري !

أثناء اجراء الانتخابات التأسيسية وصل الى قيادة الاخوان تقرير سري أعدّته ادارة المخابرات الحربية والمباحث العامة بالاستعانة ببعض الضباط القدامى في البوليس السياسي ورفعوه الى رئيس الحكومة ووزير الداخلية وضمنوه الأسلوب الذي يرون اتباعه مع جماعة الاخوان المسلمين . .

« التقرير الأصلي موجود الآن بحوزة الاستاذ فؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد ، وقد رفض نشره حتى الآن لأن ما تضمنه لا يسيء الى الذين وضعوه ، بل يسيء الى أكثر من ذلك بكثير ، وقد أطلعني عليه الرجل وطلب عدم نشره بكامله لهذا اكتفي بالاشارة الى بعض فقراته فقط » !

« . . . ان وجه الخطر في هذه الجماعة ـ فضلاً عن تنظيماتها ـ ايمان عدد كبير من أعضائها بأنهم على حق في مقاومة كل حكم لا يقوم على الإسلام كما يفهمونه هم ، الأمر الذي يجعل من العسير التأثير فيهم بوسائل الفصل من الوظائف أو السجن المحدود المدة لأنهم يعتبرون كل هذه المتاعب ايذاء في سبيل الله ـ سيزول قريباً ولهم عليه أجر . . . وعلى

ذلك فالأمر يحتاج في نظر أصحاب التقرير الى اجراء أكثر صرامة لا تراعى فيه القوانين ، ولا مبادىء العدالة في المحاكمات ، ولو احتاج الأمر الى افتعال الوقائع ونسبتها الى أفراد الاخوان !!

ويقترح أصحاب التقرير - على سبيل التفصيل - أن يعتقل عدد كبير جداً من أعضاء جماعة الاخوان لمدة طويلة جداً . . . . . أو أن تقام لهم محاكمات سرية يقضى عليهم فيها بالحبس مدداً طويلة ومدى الحياة بغض النظر عن حقيقة التهم المنسوبة اليهم ، وعن ثبوتها أو عدم ثبوتها طبقاً لإجراءات المحاكمة العادية فيكفي للادانة مثلاً :

أن تقول تحريات البوليس ولو دون دليل أن الفرد المطلوب محاكمته يعتبر خطراً على الأمن لأنه يؤمن بصلاحية فكرة الاخوان المسلمين . . ثم يوضع هؤلاء المعتقلون - أو المحكوم عليهم - في سجون خاصة أو معسكرات دائمة للاعتقال وتسد أمامهم أبواب الأمل في الافراج ، مما يترتب عليه ضيق أهلهم ثم ضيقهم بهذه الحال ، هكذا تنزع من رؤوسهم أفكارهم الخاطئة . . . . والاّ فهم باقون الى الموت . . أي بعبارة أخرى - إن الابادة هي الوسيلة الوحيدة لاتقاء خطر هذه الجماعة وأفرادها .

وتكلم التقرير باسهاب عن الأسلوب المعنوي فأوحى بتلقين من سيفرج عنهم قواعد تتلاءم مع الحكم القائم ، بمحاولة تحطيم قيمة القيادة في الجماعة وتأويل تصرفاتهم مما يفيد في براءة الأعضاء من ضلال اتباعهم ، وأوصى بأن من يفرج عنه يجب أن يوضع تحت رقابة شديدة وأن يمنح الامتيازات المادية التي تحبب له حياة التلاؤم مع الحكومة وتدفع غيرهم الى محاكاتهم . .

ويوصي التقرير باستعمال الأساليب . . . مع بناتهم وأولادهم الشباب خاصّة ، مما لا يستساغ نشره الآن على الأقل .

وكان هذا التقرير يقع في تسع صفحات ، وموقعاً عليه بالموافقة من قِبَل . . . . . ومؤرخ يوم ١١/٨/١٩٥٤ .

## الهضيبي يفزع

استدعى الهضيبي قبل أن يعتقل بأيام قليلة أحد خلصائه وسلمه توجياته لتوصيلها الى القاهرة ،وكانت هذه التوصيات عبارة عن خطاب مغلق طلب توصيله للمرحوم عبد القادر عودة شخصياً وعلى انفراد ، وحين سلم الخطاب وفتحه عودة تبيّن له أنه يحوي استقالة الاستاذ الهضيبي من الارشاد العام ، والاكتفاء ببقائه عضواً في الهيئة ، وكان مع الاستقالة رسالة خاصّة منه للاستاذ عودة يطلب منه فيها تقديم الاستقالة الى مكتب الارشاد في الوقت الذي يراه مناسباً ، رغبة من المرشد في افساح المجال أمام الهيئة لاختيار من هو أقدر منه على حمل تبعات القيادة وحتى تتجه الهيئة الاتجاه الذي تراه دون أن يكون لوجوده على رأسها تأثير في ذلك ، فهو يعلم يقيناً نظرة الحكومة وانها مصرة على العسف والابادة . وهو ليس من طبيعته المداهنة ولا يريد أن يحمل أعضاء الجماعة فوق ما يريدون .

احتفظ عبد القادر عودة بالاستقالة لأنه لم ير الوقت مناسباً لتقديمها .

ومنذ ذلك التاريخ اعتبر الاستاذ الهضيبي نفسه في حكم المستقيل من الرئاسة فعلاً ، وترك الأمر نهائياً لمكتب الارشاد برئاسة نائبه ( عبد القادر عودة ) .

لم يعتزل الهضيبي فقط ، فسرعان ما اعتزلت القيادة ، واختلف أعضاء مكتب الارشاد في كل خطوة ، وكفّ المكتب التنفيذي عن الانعقاد ، وتستر أعضاء الجهاز السري على أنفسهم وأفكارهم فتبلبلت الخواطر ، وكان كل صاحب رأي واضح يعتزل أو يسلم نفسه للاعتقال .

اعتزل كثيرون وابتعدت حقائق الأحداث عنهم .

في تلك الأثناء غادر قادة الاخوان الذين لجأوا الى الاسكندرية ماكن اقامتهم باستثناء المرشد العام المستقيل ، وحين وصل بعضهم الى القاهرة عرف أن الحكومة قد حددت اقامة عبد القادر عودة في منزله ، ومنع عنه الاتصال . ولكن ( يوسف طلعت ) استطاع التسلل الى منزل عبد القادر عودة اذ دخل اليه في صورة بائع لبن بجلبابه الأبيض يحمل بعض زجاجات الحليب ، فما شك فيه أحد و ما اعترضه رجال البوليس . .

بحث يوسف طلعت مع عبد القادر عودة كيفية تهريب الهضيبي من الاسكندرية الى القاهرة للمشاركة في المظاهرة الكبرى التي أشرنا اليها سابقاً . .

كان الهضيبي ما يزال مختفياً في الاسكندرية يوم ٢٦ تشرين الأول ( اكتوبر ) حين أدار جهاز الراديو وسمع خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في الاسكندرية ونبأ تلك الرصاصات المجنونة الثماني التي أطلقت على عبد الناصر وهو يلقي خطابه في المنشية .

كان ( يوسف طلعت ) المكلف بتهريب الهضيبي قد وصل الى الاسكندرية فعلاً ، وقد فوجىء بالنبأ ثم سرعان ما عرف أن الذي أطلق النار هو ( محمود عبد اللطيف) وانه اعترف بأن محرضه هو هنداوي دوير المحامي بامبابة .

كان يوسف طلعت يعرف محمود عبد اللطيف جيداً ، ويعرف أنه انضم الى الجهاز السري للاخوان عام ١٩٥١ أثناء معركة القناة ، كما أنه يعرف جيداً أن ( ابراهيم الطيب ) المسؤول عن الجهاز السري للاخوان في القاهرة لا علم له بخطة الاغتيال .

فكر يوسف طلعت مع الهضيبي في طريقة تؤمن هرب المرشد ، ولكن

المرشد رفض الهرب ، لأن الاقتراح كان يقضي بانتقال المرشد الى احدى السفارات . وسرعان ما داهم رجال المخابرات صباح السبت ٣٠ ( أوكتوبر ) منزل ( حسن صبري ) حيث يقيم المرشد العام للاخوان المسلمين وتم اعتقاله .

وبدأ أعضاء الاخوان بما فيهم أعضاء الجهاز السّري يسقطون في الفخاخ الواحد بعد الآخر ، فمنهم من سجن ومنهم من فرّ وهو قليل .

وصدرت الأحكام على المتهمين بمحاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر ، وفتحت السجون والمعتقلات لاستقبال الاخوان المسلمين ولم تغلق إلاّ حين استلام الرئيس محمد أنور السادات الحكم .

# بعض المحاضر السّرية لاجتماعات الإخوان والضباط الأحرار

| | | |
|---|---|---|
| جمال عبد الناصر<br>وعبد الحكيم عامر | } | يمثلان الضباط |
| صلاح شادي<br>وعبد القادر حلمي<br>وحسن العشماوي | } | يمثلون الاخوان |

## ١ ـ اجتماع ١٨ يوليو ١٩٥٢ :

وقد شهد هذا الاجتماع من الاخوان صلاح شادي وعبد القادر حلمي وحسن العشماوي ، ومن الضباط الأحرار جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .

يوم ١٨ يوليو سنة ١٩٥٢ ، بعد الغروب بقليل ، غرفة استقبال بسيطة ، واسعة ، وحوائطها بالمصيص الأبيض ، بها بعض الكراسي المزدوجة والمفردة في جميع الجوانب ، منضدة مستطيلة في الوسط ، ومناضد مربعة في الأركان بين المقاعد .

الجو حار كما هو الحال في مثل هذا الشهر من العام ، والنوافذ مفتوحة

يدخل منها نسيم ليالي القاهرة ، ولكن شعور الجالسين بالحرارة يزيد وطأته بسبب الشعور بالترقب الذي كان يخيم على أمثالهم في هذه الأيام .

صلاح وعبد القادر وحسن يجلسون متفرقين في الغرفة ، كل منهم مسترخ على مقعده كأنما أرهقهم طول الانتظار ، أو طول الحديث أو طول التفكير .

صمت ، لا يقطعه بين حين وآخر الا اشعال حسن سيجارة وتأفف عبد القادر من كثرة تدخين صديقه ، يقطع صلاح الصمت مخاطباً حسن :

صلاح : لقد تأخر صاحبك عن موعده !

حسن : انما هو صاحبك أنت ، ثم أحلته علي .

صلاح : ( مقاطعاً ) فأصبح صاحبك أنت .

حسن : ولكني حلته على عبد الحي .

عبد القادر : يبدو أنه لم يعترف بهذه الاحالة ، والا لما طلب لقاءك . . هنا في بيتي أنا .

صلاح : أمتأكد أنت أنه وعدك باللقاء هنا . . اليوم ؟

حسن : متأكد طبعاً . . لقد كلمني تليفونياً ، في الصباح ، وذكر اسمه المستعار كالمعتاد زغلول عبد القادر . . وطلب مني مقابلته معك اليوم في الخامسة مساء .

صلاح : الساعة قاربت السابعة .

حسن : لعلّ أمرٌ شغله بعض الشيء . . كم تأخرنا نحن عن مواعيده .

( يسمع جرس الباب الخارجي )

حسن : ( مسترسلاً ) لعلّه هو . . !

عبد القادر : لا . . ليست هذه دقته للجرس .

( يخرج عبد القادر ويعود بعد لحظة ومعه عبد الحكيم ) .

عبد الحكيم : ( وهو يسلم على الجالسين ) عجيب . . ظننت أنني تأخرت كثيراً . . أين جمال ؟ ما الذي أخّره ؟ . . لا بد أن لديه جديداً عن سالم .

حسن : ( مقاطعاً ) صديق أمريكا !؟

عبد الحكيم : ( في صوت عاتب ) يرى جمال أن نصادق الجميع . . أو نهادنهم . . والا فلن نصل الى ما نريد من تغيير ( موجهاً حديثه الى عبد القادر ) هل أستطيع أن أذهب الى دورة المياه ؟

عبد القادر : طبعاً ( يصحبه الى الخارج . . صمت حتى يعود عبد القادر وحده ويستمر في حديثه مخاطباً الجالسين ) : أنا أحب هذا الشاب أكثر مما أحب جمال .

صلاح : تعني هذا الحشاش لاعب الكونكان .

عبد القادر : ومن منا لم يظلم نفسه كلنا حشش ولعب الكونكان يوماً :

صلاح : ولكنكم تبتم .

عبد القادر : لعلّه يتوب يوماً . . على كل فانه رجل . . انه انسان .

( جرس الباب يدق )

عبد القادر : هذا جمال ( يخرج لحظة ، ويعود معه جمال الذي يسأل وهو يسلم ) .

جمال : ألم يحضر عبد الحكيم ؟

عبد القادر : بل سبقك بقليل . . انه في دورة المياه .

جمال : متسائلاً : يتوضأ . . ؟

عبد القادر : لا أظن .

جمال : هل أستطيع أن أتوضأ لأصلي المغرب . فانها تكاد تفوتني .

( يخرج عبد القادر . . ويعود عبد الحكيم ليلجلس بجوار حسن . . ويعود جمال بعد لحظة وقد شمر أكمامه وبنطلونه . . ينتحي ناحية فيصلي ثلاث ركعات بسرعة يقوم بعدها ليجلس مع الجالسين في صمت ، يقطعه صلاح موجهاً كلامه .

صلاح : هل طلبت لقاء حسن اليوم يا جمال ؟

جمال : نعم .

صلاح : ألم يبلغك أن تتصل بعبد الحي ان أردت منا شيئاً ؟ .

جمال : أنا لا أثق في عبد الحي . . فاما أن أتصل بحسن ، أو أن أكف عن الاتصال بكم نهائياً .

صلاح : وما وراء اتصالك بحسن اليوم ؟

جمال : لا بد أن نتحرك فوراً . . يجب أن لا تفوت الفرصة كما فعلنا في مارس الماضي . . والا فقد انتهى الأمر نهائياً .

صلاح : ( في تعجب ) نهائياً . . لماذا ؟

جمال : قل لهم يا عبد الحكيم .

عبد الحكيم : لقد وصلت أسماؤنا جميعاً الى الملك . . فيما عدا جمال . . ولا بد أن نبدأ ، والا قبض علينا ، وأصبح من المستحيل أن نفعل شيئاً بعد ذلك .

عبد القادر : ( متسائلاً ) أسماؤكم فيما عدا جمال . . جمال وحده ؟

عبد الحكيم : نعم . . هو وحده الذي لم يعرفوا اسمه بعد .

عبد القادر : انه هكذا دائماً . . آخر من يعلم اسمه .

جمال : ( في ضيق ) ماذا تعني ؟

عبد القادر : ( في حدة ) أنت تفهمني جيداً .

صلاح : ( مقاطعاً ) وماذا تنوون الآن ؟

جمال : ننوي أن نتحرك . . أن نحدد ساعة الصفر . . ولكن لا بدّ من الاطمئنان الى تأييدكم الكامل والى الاطمئنان الى أننا نعمل معاً . .

والى عدم تدخل الانجليز .

عبد القادر : والأمريكان ؟

جمال : هؤلاء لا تشغل بالك بهم .

صلاح : ( مقاطعاً في ضيق ) أما تأييدنا فأمر يحتاج الى الرجوع الى المستشار ، وان كنت أضمنه لكم ، . . أما الانجليز فاننا على استعداد لأن نقاتلهم معكم في الشوارع .

حسن : ( مقاطعاً ) جمال لا يحب القتال السافر .

جمال : ماذا تعني ؟

حسن : أعني أن أشير الى ما سبق أن قلته أنت لي بنفسك . . لا عليك . . ماذا تريد من الانجليز غير أن نقاتلهم اذا اعترضوا الانقلاب ؟

جمال : هل يمكنكم الاتصال بهم لضمان عدم تدخلهم . . ؟

صلاح : نحن لا نتصل بأية دولة أجنبية .

حسن : الحرب خدعة . . أليس كذلك يا جمال ؟

جمال : ( في ضيق ) أتسخر مني ؟

عبد الحكيم : ( مقاطعاً في رجاء ) لقد جئنا لنتفق لا لنختلف . . أنت وحسن يا جمال يفهم كل منكما الآخر . . فاسأل مباشرة ولا داعي للدوران . . وأجب يا حسن ولا داعي للسخرية . . ولا الى التلميحات التي قد تثير حفيظة صديقك ، أنا واثق من حبك لجمال ، فلماذا تثيره ؟

حسن : أنا لم أنكر أني أحب جمال وأقدره . . وقد أبلغته مراراً أننا لا نستطيع الاتصال بسفارة أجنبية . . وأبلغته أيضاً أن اتصاله بجماعتنا يجب أن يتم عن طريق عبد الحي .

عبد الحكيم : وقد أبلغك أنه لن يتصل بعبد الحي . . فأما أن تتفقوا . . أو أن ننصرف دون اتفاق . . وليكن ما يكون .

حسن : واذا لم نتفق ، هل ستمضون في حركتكم ؟

جمال : هذا يتوقف على ظروفنا .

حسن : وعلى ماذا نتفق ؟

جمال : سأفضي بذلك الى شخص واحد . . واحد فقط . . تعال معي الى غرفة أخرى لنتفق .

حسن : اذهب فاتفق مع عبد الحي .

جمال : قلت لك مراراً لن أتفق مع عبد الحي .

حسن : اذن فاعلم أن كنت أسأل صلاح . . فاذا لم نتفق على عبد الحي فاتفق مع صلاح .

جمال : وهو كذلك . . هيا يا صلاح .

( يخرج صلاح وجمال يقودهما عبد القادر الى غرفة أخرى . يعود عبد القادر وهو يتنهد ) .

عبد القادر : أنا لا أثق في جمال .

حسن : أنا أحبه .

عبد الحكيم : وأنا كذلك .

عبد القادر : أخشى أن تعانيا كثيراً من حبكما له . . هل لكما في بعض الشاي .

عبد الحكيم : لماذا يتكلم عبد القادر هكذا عن جمال ؟

حسن : لا أدري . . انه يحكم بمشاعره . . وكثيراً ما أخافتني أحكامه .

عبد الحكيم : وهل بداخلك أنت أي خوف من جهة جمال ؟

حسن : لا . . قطعاً لا . . ولكن ما سبب هذه الزيارة المفاجئة ؟

عبد الحكيم : ثبت لنا أنه لا بدّ من قيام الحركة خلال أسبوع على الأكثر . . ولا بد من تنظيمها معاً ، والاتفاق على الصورة التي تظهر بها الحركة .

حسن : هذا ما يريد جمال أن يتفق عليه مع واحد فقط ؟

عبد الحكيم : لا . . انه يتفق على نهاية الطريق مع واحد فقط . .

تماماً كما فعل من قبل مع الصاغ محمود لبيب .

حسن : رحمه الله . . وهل ما زال جمال عند اتفاقه ذاك ؟

عبد الحكيم : طبعاً . . كل ما هنالك أنه لا يثق في عبد الحي ، ولا في عبد الرحمن طبعاً .

حسن : رئيسه السابق !؟

عبد الحكيم : لا تقلها أمامه . . انها تغضبه .

حسن : طالما فعلت . . انه واقع مضى ولا خير فيه .

عبد الحكيم : ولكنها تغضبه جداً . . صه . . ها قد عاد .

( يدخل صلاح ومعه جمال ، كلاهما متهلل الوجه . . يدخل بعدهما مباشرة عبد القادر ومعه الشاي . يوزع الشاي على الحاضرين ويجلس ) .

جمال : ( لعبد القادر فيمرح ) أليس هناك شيء آكله ؟

عبد القادر : في هذا الوقت . . ليس عندي غير الجبن .

جمال : جبن وقراقيش . . رائع . . هلم بها .

( يخرج عبد القادر . . بينما ينتحي صلاح ناحية ويصلي وحده ) .

عبد الحكيم : ( لجمال ) أرى شهيتك تنفتح على أكل عبد القادر وسجائر حسن !

جمال : ألسنا أخوة . . ؟ أليست الأخوة بذلاً ومحبة ؟

عبد الحكيم : بذل ومحبة متبادلان !

جمال : القادر اليوم يعين أخاه .

حسن : دعنا من الدعابة الآن يا عبد الحكيم . . ماذا هناك يا جمال ؟

جمال : أما ما كان بيني وبين صلاح فهو مقصور علينا . . وأما عداه ، فسنناقشه الآن على ضوء آرائك السابقة . . ولكن للحديث بقية غداً يجب أن يحضرها غيرنا معنا ، والا ظنوا أننا ننفرد بالأمر دونهم .

حسن : مثل من تريد أن يحضر معنا ؟

جمال : سالم وكمال وعبد اللطيف مثلاً .

حسن : وما قولك في عبد المنعمْ وعبد الحي من جانبنا ، وأنور وزكريا من جانبكم ؟

جمال : عبد المنعم وعبد الحي تمثلونهم . . ولا نريد أن يحضر معنا ضباط المهم أن نعرف رأي المستشار . . هذا هو المهم عندنا الآن .

حسن : والقاضي ، وعبد الرحمن ؟

جمال : القاضي تبع للمستشار فيما أعلم . . وعبد الرحمن لا أحبه .

حسن : وهل نحن في مجال الحب الآن ؟

جمال : الحب أساس الثقة . . وبغير الثقة لا نستطيع أن نتعاون .

عبد الحكيم : ( متدخلاً ) أرى لسانك انفلت اليوم يا جمال . . ؟

جمال : مع حسن وحده .

( ينهي صلاح صلاته ، وينضم الى المجموعة . . يدخل عبد القادر يحمل صينية عليها الجبن والقراقيش ، يضعها على منضدة أمام جمال ، الذي يحملها الى الأرض ويجلس بجوارها . . يجلس حسن بجواره على الأرض ويبدآن في الأكل ) .

عبد الحكيم : ( موجهاً كلامه الى صلاح ) هل اتفقتما أنت وجمال ؟

صلاح : نعم والحمد لله .

عبد الحكيم : أذن نطمئن على ظهورنا .

عبد القادر : ومن يطمئنا نحن على ظهورنا ؟

صلاح : أطمئن يا عبده . . اطمئن .

عبد القادر : أنت رائع في حسن ظنك بالناس .

عبد الحكيم : لا تتشاءم يا عبد القادر ، ولا تسيء ظناً . المهم الآن أن نعرف رأي المستشار .

عبد القادر : ( في هدوء ) إني أتصور الآن رأيه ما سيكون .

عبد الحكيم : ( في لهفة ) ما هو رأيه ؟

عبد القادر : انتظر حتى تسمعه منه .

عبد الحكيم : هل يوافق ؟

عبد القادر : لا أدري .

عبد الحكيم : هل يرفض ؟

عبد القادر : لا أدري .

عبد الحكيم : كيف تتصور رأيه وأنت لا تدري أيوافق أم يرفض ؟

حسن : ( متدخلاً ) إنه يدري . . يدري بحاسته السادسة التي أخشاها .

جمال : ( لحسن ) من الخير أن تأكل أنت . . ما زال الحديث لما بعد الطعام .

صلاح : ما رأيك يا عبد القادر ؟

عبد القادر : لا أبدي رأياً قبل أن أسمع التفاصيل .

صلاح : ألم تسمعها من حسن منذ أوائل هذا العام ؟!

عبد القادر : ولكن في الأمر جديد . . لقاء اليوم المفاجىء ! وهذا الذي بينك وبين جمال .

صلاح : أما عن هذا فاطمئن .

عبد القادر : لم أعتد أن أطمئن لمجرد اطمئنانك . . أنا أحبك وأثق فيك . . ولكن انصاف الحلول لا أقبلها . . والأمور الغامضة لا أقرها . . أما أنت فقد تقبل ذلك رغم طبيعتك الحاسمة في كثير من الأمور .

عبد الحكيم : أراكما اختلفتما فيما بينكما ؟

عبد القادر : لا . . لن نختلف . . سنتفق في النهاية دائماً . . ان ما أخشاه أن نختلف معكم أنتم .

عبد الحكيم : ( مستنكراً ) أنختلف أنا وأنت يا عبده ؟

عبد القادر : أقول نحن وأنتم . . أما أنت ، فأنا لا أنكر أني أقدر فيك خصالاً أصيلة .

جمال : ( متدخلاً ) كفى تبادلاً للغراميات . . . ادخل في الموضوع يا عبد الحكيم .

حسن : ( لجمال ) ألم نقل نرجيء الكلام الى ما بعد الطعام ؟

جمال : لقد قررنا أن نقوم بالحركة خلال أسبوع ، والا فات أوانها . ونريد الآن أن نطمئن الى أمور ثلاثة ، مساندة ضباطكم وجنودكم للحركة ، ومساندة أفرادكم من الشعب لها دون اعلان عن ذلك . ثم امكانية الطمأنينة الى موقف الانجليز هل نستعد لحربهم أم نتفق معهم سلفاً لنضمن عدم تدخلهم لاحباط حركتنا .

حسن : ( متدخلاً ) ليس هذا ما يعنيني !

جمال : قلت لك لا نتكلم حتى ننتهي من طعامنا .

صلاح : أما مساهمة ضباطنا وجنودنا . ومساهمة أفرادنا . فهذا أضمنه لكم . . أما الانجليز فنحن لا نتصل بهم ولا بغيرهم . . ولكننا نستعد لقتالهم اذا احتاج الأمر .

عبد القادر : أنت تعبر عن رأيك وحدك .

صلاح : ورأيك أنت . . ما هو ؟

عبد القادر : قلت لك مراراً لا بد من انتظار رأي المستشار ، وخاصة أنه أحال هذا الاتصال الى عبد الحي .

عبد الحكيم : صدق عبد القادر . . المهم رأي المستشار .

صلاح : أنا أعرف الناس برأي المستشار . . ولذلك أتكلم مطمئناً .

حسن : ( مقاطعاً ) لا . . بل حتى نعرف رأي زملائكم أيضاً .

جمال : ألن تكف عن المقاطعة .

حسن : ( نـاهضـاً من جلستـه عـلى الأرض ) بهـذا انتهيت مـن طعامي . . ألن تشبع أنت أيضاً . . ؟

جمال : بلى . . لقد شبعت .

( ينهض جمـال . ويحمل الصينية الى عبد القـادر الذي يخـرج بها . . يجلس جمال وحسن متجاورين عـلى أريكة . . يعـود عبد القـادر ، ويجلس بجوار عبد الحكيم ) .

جمال : ما رأيكم فيما قال عبد الحكيم ؟

صلاح : اتفقنا عـلى كل شيء الا الاتصـال بالانجليـز أو غيرهـم من الأجانب .

عبد القادر : اتفقنا بشرط موافقة المستشار .

صلاح : طبعاً الشرط أن يوافق المستشار . . وان كنت أضمن موافقته سلفاً .

جمال : اذن نرجىء بقيـة الحديث حتى نعـرف رأي المستشار . . هـل يمكن ذلك غداً . . ؟

عبد القادر : ان زوجة حسن تلد الليلة . . ولا أعتقد أنه يسافـر قبل ولادتها . . ولا بد من وجوده معنا عند مقابلة المستشار . . فلننتظر الى بعد غـد . . ولكن يحسن أن نلتقي غـداً في المسـاء . . ومعكم من تـريـدون منكم حتى يكون الأمر واضحاً كله . . وبذلـك نعرض عـلى المستشار كـل شيء ، والا فاني واثق أنه لن يعطي رأيه .

جمال : إذن سنرجيء الأمر الى غد ، وسيكون معنا سالم وكمال وعبـد اللطيف . . وقد يكون معنا آخرون . . هل لديكم مانع ؟

جمال : الى اللقاء غداً مساء . . هنا . . باذن الله .

(يخرج جمال وعبد الحكيم ومعهما عبد القادر . . . ويجلس صلاح وحسن صامتين حتى يعود عبد القادر ) .

عبد القادر : أعلم يا صلاح أننا لسنا جزءًا منهم .

صلاح : انما هم جزء منا .

عبد القادر : ألا يمكن أن نكون طرفان يتعاونان .

## ٢ ـ اجتماع ١٩ يوليو سنة ١٩٥٢

جمال : لقد تأخر الصحاب .

حسن : صلاح وعبد القادر في اتصال بأعضاء الجماعة . . فريد وصالح سيكونان هنا قريباً .

جمال : فريد وصالح . . من هما ؟

حسن : نسيتهما . . انهما صديقان من أعضاء الجماعة المسؤولين فيها . . لا بد من وجودهما معنا في عرض الأمر على المستشار .

جمال : وأنت . . ألا يمكن أن تعرض الأمر على المستشار وحدك .

حسن : لا . . أنا لا أكفي فهؤلاء من مجلس الادارة . . وهما من رأينا في كل شيء فاطمئن .

جمال : لقد فاتتنا فرصة مارس الماضي .

حسن : لم يفتنا شيء . . قد كان رشاد مهنا على حق في ذلك الوقت .

جمال : ( كالمناجي نفسه ) ان لنا سبعة عشر ضابطاً في القاهرة الآن .

حسن : وما قيمة اتفاقنا اذا لم يرضه الآخرون ؟

جمال : كلانا كفيل بأن يقنع أصحابه .

حسن : نراك تضمن أصحابك وغيرهم سلفاً . . المهم . . ماذا تريد ؟

جمال : لقد أعد أصحابي كشفاً باعتقال مائتين .

( يدخل عبد القادر ويدخل صامتاً )

حسن : لا نبدأ حركتنا بالاعتقال . . ان الناس سيرحبون بها حتى أعدائنا فالكل ضائق بالوضع الناتج . . فلماذا تضطر الناس الى كراهيتك .

جمال : أنا معك . . لا داعي للبدء بالاعتقال . ولكن من يتولى الحكم في البداية .

حسن : لعلنا اتفقنا من قبل أن يتولاه شخص يطمئن له الناس . . والدول الأجنبية أيضاً .

جمال : الدول الغربية تعني ؟

حسن : علي ماهر تعني . . لأنه يجمع بين الاسم الداخلي والسمعة الخارجية .

حسن : أجل أعينه . . وان كانت ثقتي فيه محدودة .

جمال : أراك لا تثق في أحد ثقة كاملة .

عبد القادر : ( يضحك بصوت عالٍ ويضحك الجميع معه ) .

جمال : ( ملتفتاً الى عبد القادر ) ما كنت أحسبك تشاركنا الحديث .

عبد القادر : والا لتحفظت في كلامك . . على غير عادتك مع حسن .

جمال : لماذا تسيءالظن بي دائماً . . ؟ ألا تعلم أني أحبك .

عبد القادر : ماذا تريد بعد استبعاد الاعتقال واختيار علي ماهر لرئاسة الحكومة . . والمفروض طبعاً أن يعينه الملك . . قبل أن تطلبوا منه التنازل .

# الإخوان بعد المحن الثلاث الى أين ؟

يمكن القول دون شبهة أن الخطأ الرئيسي الذي وقع فيه الإخوان دائماً كان ميكافيلية تكتيكاتهم السياسية ، وهو ما أوقعهم لمرحلة طويلة في خطأ المراهنة على الجانب الآخر للتاريخ ، وقادهم الى مآزق متتالية ساعدت السلطة التي ناصبتهم العداء على تقليص نفوذهم .

وفي دراسة ملفات وأوراق قضية اغتيال محمود فهمي النقراشي ـ زعيم الحزب السعدي ـ على يد ( عبد الحميد أحمد حسن ) طالب الطب الاخواني ، ثم أوراق حادث اغتيال حسن البنا تشير الى أن حملة القمع الوحشية التي شنتها حكومة السعديين ضد الاخوان ، والتي شملت حل جمعيتهم بأمر عسكري ـ كانت الأحكام العرفية آنذاك بسبب حرب فلسطين ـ واعتقال قياداتهم ، وحل كافة تنظيماتهم حتى تلك التي كانت ذات طابع تجاري واقتصادي محض كشركة المعاملات الإسلامية ـ قد دفعت الاخوان المسلمين الى موقف دفاع ، واضطر حسن البنا الى التراجع ، وقبل ـ في هذا الجو الارهابي ـ ان يتفاوض مع حكومة السعديين ، التي اشترطت أن يصدر البنا باسمه بياناً يهاجم فيه قاتل النقراشي ، ومن قام من الاخوان بأعمال مشابهة لما صدر عنه ، وأن يسلم ما لديه من معلومات عن الأسلحة وأجهزة اللاسلكي والأشخاص القياديين المسؤولين عن ميليشيا الاخوان مقابل الافراج عن المعتقلين

السياسيين من جماعته والتفكير في السماح لها بالعودة للعمل .

والأرجح أن حسن البنا الذي أبدى موافقة نظرية على تحقيق هذه المطالب لم يكن ينوي الاستجابة لها ، ولكنه كان يناور ، لذلك أضاع وقتاً طويلاً ملحاً في طلب السماح له بزيارة المعتقلين والاجتماع مع رؤوس الجماعة في سجنهم ، ليستنير بما لديهم من معلومات عن الميليشيا ، وهو ما شكت فيه حكومة السعديين فرفضت الاستجابة له ، وطالت المفاوضات التي يرجح أنها كانت طعماً من السعديين لتدمير الرجل وجماعته ، والتي هيأت المناخ لاغتياله .

لكن مناورة السعديين نجحت في استثمار حرص الرجل على تنظيمه فلم تدفعه فحسب الى قبول المفاوضة معها ، وهو في مركز ضعف ، ولكنها تشددت فانتزعت منه مكسباً هاماً هو البيان الشهير الذي أصدره عقب مصرع النقراشي بعنوان ( بيان للناس ) وفيه هاجم البنا قاتل النقراشي ونفى أنه يعلم شيئاً عن الجريمة ، وذكر انه يبرأ منها ومن مرتكبها مستنداً في ذلك الى أحاديث وآيات .

ولم تمضِ أيام على نشر البيان حتى قام بعض أعضاء الاخوان المسلمين بوضع حقيبة مليئة بالمتفجرات بمبنى محكمة الاستئناف بالقاهرة ، وضغطت الحكومة على الشيخ البنا وكانت المفاوضات تجري بينها وبينه آنذاك بواسطة الاستاذ ( مصطفى مرعي ) وزير الدولة في حكومة ابراهيم عبد الهادي الذي خلف النقراشي[1] فأصدر البنا بيانه المشهور « ليسوا اخواناً وليسوا مسلمين » .

---

(١) الاستاذ مصطفى مرعي من الشخصيات القانونية البارزة في الوطن العربي ، وقد استقيت معظم هذه المعلومات منه شخصياً أثناء وجوده في بيروت طيلة أعوام ١٩٦٠ - ١٩٦٥ - ١٩٦٨ . والاستاذ مرعي لعب أدواراً رئيسية في مصر ، فهو صاحب الاستجواب الشهير في مجلس الشيوخ الذي كشف قصة الأسلحة الفاسدة ، وهو الذي قاد حملة قانونية ضد مذبحة القضاء بمصر ، أما مواقفه ضد الطغيان والديكتاتورية فقد استمرت من عهد فاروق حتى عهد أنور السادات .

كانت النتيجة العملية لهذا الموقف هي انتهاء ما يصفه الاخوان بسنوات المحنة الأولى مما جعلهم يبدأون من موقف ضعف ، فبعد اغتيال البنّا ، اختاروا مرشدهم العام الجديد « حسن الهضيبي » من رجال القضاء المتعاطفين معهم ليرضوا القضاة الذين أثارهم اغتيال الاخوان للقاضي عبد اللطيف الخازندار ، وحرصوا أيضاً على أن يكون المرشد العام الجديد من غير المرفوضين من قبل السراي ، فهو صهر نجيب سالم ناظر الخاصة الملكية آنذاك ، وهكذا شهدت السنوات التي فصلت بين المحنتين الأولى والثانية ( ٥١ ـ ٥٤ ) عودة الاخوان للعمل واضطرارهم ـ حرصاً على دعوتهم ـ مهادنة الملك الذي فرض عليهم معاداة الوفد .

لقد روى الهضيبي قصة لقائه بالملك فاروق ( في حديث صحفي ) فقال ان فاروق قال له : « . . ان هذه المقابلة هي الوحيدة التي تمت لقيادة الاخوان وان الذين سبقوك أرادوا ذلك ، فلم أجبهم . . ان الانكليز سيخرجون من البلاد حتماً ، ولكن الذي يجب علينا أن نقاومه هو الشيوعية لأنها تتنافى مع الدين ، وقال الملك منهياً المقابلة : « بلغ اخوانك تحياتي » .

## مرشد جديد

بعد المحنة الأولى التي تمثلت بحل الاخوان واغتيال البنّا كان الموضوع الأكثر الحاحاً هو : من يخلف حسن البنّا ؟ فبعد وفاته كان طبيعياً أن تنتقل السلطة الى صالح العشماوي نائب البنّا منذ عام ١٩٤٧ ، وكان من المسلم بين الجمهرة الواسعة من الاخوان أن عشماوي سيعين رسمياً ( خليفة ) للبنّا ، على أساس قيادته النشطة للجماعة خلال أيام الأزمة في ظل حكم السعديين فضلاً عن ارتباطه القديم والمخلص بالتنظيم وبالبنّا وما أداه لهما من خدمات . ولقد ثبت أن سير الأحداث كان على خلاف ذلك ، مما كان له نتائجه الخطيرة بالنسبة للجماعة خلال فترة سنين قليلة تالية .

وكان من الواضح أن العشماوي يتطلع الى أن يصبح المرشد الجديد ، رغم انكاره لذلك . وكان هناك منافسون آخرون للعشماوي أبرزهم : ( عبد الرحمن البنّا شقيق حسن البنّا ، وعبد الحكيم عابدين السكرتير العام ، وغيرهم ) وخلال المحنة الأولى برز اسم ( منير الدلة ) وفي منزله اختير الخليفة ( حسن الهضيبي ) وهو قاض اشتغل بالقضاء فترة تجاوزت عشرين عاماً .

لقد كانت هناك صفات ايجابيةفي اختيار الهضيبي أبرزها المساعدة على عودة الشرعية ، انتهت المناقشات بين الأعضاء والمباحثات التي جرت مع الهضيبي في تشرين الأول ( أوكتوبر ) ١٩٥١ بعدها أعلن رسمياً عن تعيينه ، وليس هناك قدر كبير من المعلومات حول حياة الرجل سوى أنه في مقابلة صحفية مقتضبة قال الهضيبي انه ولد لأبوين عاملين من عرب الصوالحة في منطقة شبين ، وانه تلقى تعليمه الأولي في كتاب القرية حيث حفظ القرآن . وفي العاشرة قرر أن يصبح محامياً ، رغم أن والده كان قد قرر ارساله للأزهر . وقد شق الهضيبي الطريق الذي اختاره في النهاية والتحق بمدرسة الحقوق بعد انهاء مرحلة التعليم الثانوي ، ويذكر الهضيبي أنه لم يكن طالباً متفوقاً خلال دراسته وانه كان يتجنب أي مظاهرة طوال فترة دراسته باستثناء جنازة مصطفى كامل ، وتخرج الهضيبي من مدرسة الحقوق ليعمل في مكتب حافظ رمضان المحامي ، والزعيم الثاني ( بعد مصطفى كامل ) للحزب الوطني ، وتزوج بعد حصوله على اجازة مزاولة المهنة ، ولم تكن الأمور تسير على ما يرام في القاهرة ، لذا قرر أن يرحل الى الريف ، الى سوهاج ، حيث تمكن خلال عام من الاستقرار معيشياً ، ولقد عاش وشارك في احداث ثورة ١٩١٩ رغم أن حماسه لم يكن في مستوى حماس المصريين ، ومن ذكرياته تلك كان واضحاً انه يمج العنف واستخدام القوة ، وقد ظل هذا الجانب في شخصيته واضحاً خلال حياته داخل الجماعة ، وفي عام ١٩٢٤ عين الهضيبي في سلك القضاء ،

وأمضى العشرين سنة التالية كقاض تنقل في محاكم مصر .

ويحكي الهضيبي أنه قابل ـ لأول مرة ـ بعض شبان الاخوان عام ١٩٤٤ وانه أصبح خلال فترة وجيزة واحداً من أصدقاء البنّا وأوفى مريديه . وحول أول حديث سمعه من البنا يقول الهضيبي :

« . . . لقد استمعت في حياتي لكثير من الأحاديث ، وفي كل مرة كنت آمل أن ينتهي الحديث أو الخطبة سريعاً . . الا أنني في هذه المرة كنت أخشى أن ينهي حسن البنا خطبته . . ومرت مائة دقيقة وقد جمع في راحتي يديه قلوب المسلمين المنصتين . . وكان يهزها كيفما شاء . .

وانتهى الخطاب ، وأعاد الى مستمعيه قلوبهم . . فيما عدا قلبي الذي بقي في يده » .

وقد دفعته لقاءاته واتصالاته بالبنا الى أن يضع « عقله جنباً الى جنب مع قلبه في خدمة الجماعة » . ومن الواضح أن ذلك لم يكن يعني انضمامه رسمياً لعضوية الجماعة . وعندما أعلن عن تعيينه مرشداً للجماعة قدم استقالته من سلك القضاء .

في عهد الهضيبي بدأت محنة الاخوان الثانية ، وحين دخل الهضيبي السجن مع من دخل من الاخوان عام ١٩٥٤ انطلقت ( حرب التشهير ) بين عبد الناصر والاخوان عبر المنشورات والمطبوعات والبيانات المختلفة ، وواصل تنظيم الاخوان عمله على نحو غير رسمي تحت القيادة المؤقتة لعبد القادر عودة ، واستمر الأعضاء في جمع التبرعات والاعانات لعائلات المعتقلين ومنهم الهضيبي .

ويلجأ عبد الناصر الى مناورة ذكية لتطويق الدعوات لاستئناف الحياة البرلمانية في البلاد فطلب من وزارة الداخلية أن تفرج عن الهضيبي وبعض الاخوان المعتقلين تطبيقاً لقرار صدر بالغاء قرار ١٩٥٣ بشأن منع الأحزاب ، ورفعت الرقابة عن الصحف لمدة خمسة أيام فقط في محاولة

للكشف عن خصوم الثورة من الكتاب ، وفي ليلة الافراج التقى ناصر الهضيبي ، وتم الاتفاق على ضرورة تشكيل لجنة اتصال مشتركة للتفاوض مع الحكومة بشأن نقط الخلاف .

وعلى الرغم من أن ( حالة الوئام ) أعلنت بين الحكومة والجماعة ، فان كلا الطرفين كان يهيء أسلحته سراً واحتساباً لما اعتبره بعضهم في كلا الجانبين حرباً شعواء حتى النهاية .

وهكذا ، اتهمت الحكومة ، بعد فترة وجيزة ، الجماعة بتدبير الاضطرابات في المساجد ، وباعتداء على البوليس ، وأخيراً بالاعداد بتظاهرة احتجاج تنطلق من قلب العاصمة ضمن خطة تستهدف اثارة انتفاضة شعبية تسقط عبد الناصر كما سبق وأوضحنا .

ووصل الخلاف الى ذروته عندما تقرر اعتماد العنف من قبل الجانبين لحسم ( المعركة ) ، وجرى حادث اطلاق الرصاص على عبد الناصر في منشية الاسكندرية ، وصدر قرار باعتقال الهضيبي وأعضاء مكتب الارشاد وجميع أفراد الجهاز الخاص ، وشكل مجلس قيادة الثورة ( محكمة الشعب ) لمحاكمة أعضاء الجماعة ( جمال سالم ، أنور السادات ، حسين الشافعي ) ، وتمت محاكمة ألف من أعضاء الاخوان البارزين وصدر الحكم على خمسين بالاعدام خففت فيما بعد الى الاشغال الشاقة المؤبدة ، باستثناء ستة أشخاص أعدموا فعلاً وهم : « محمود عبد اللطيف ، هنداوي دوير ، ابراهيم الطيب ، يوسف طلعت ، الشيخ محمد الفرغلي ، عبد القادر عودة » ، وخفف عبد الناصر حكم الاعدام بالنسبة للهضيبي الى السجن المؤبد وبذلك تكون حركة الاخوان قد دخلت في اطار المحنة الثانية . .

## المحنة الثالثة

للمرة الثالثة منذ انشاء جماعة الاخوان المسلمين عام ١٩٢٨ ، دفع أعضاؤها عام ١٩٦٦ ثمن ( حياتهم نفسها ) من أجل الدفاع عن

معتقداتهم ، فبعد خروج بعض الاخوان من المعتقلات ، ومن ظلال الحياة الرسمية في مصر عام ١٩٦٥ ، وجهت التهمة من جديد الى اعضاء التنظيم بالقيام بنوع من المؤامرة ضد نظام عبد الناصر . .

وعادت حملة الاعتقالات على أكثر شراسة مما سبق من صيف ١٩٦٥ واستمرت بقية العام وخلال النصف الأول من عام ١٩٦٦ .

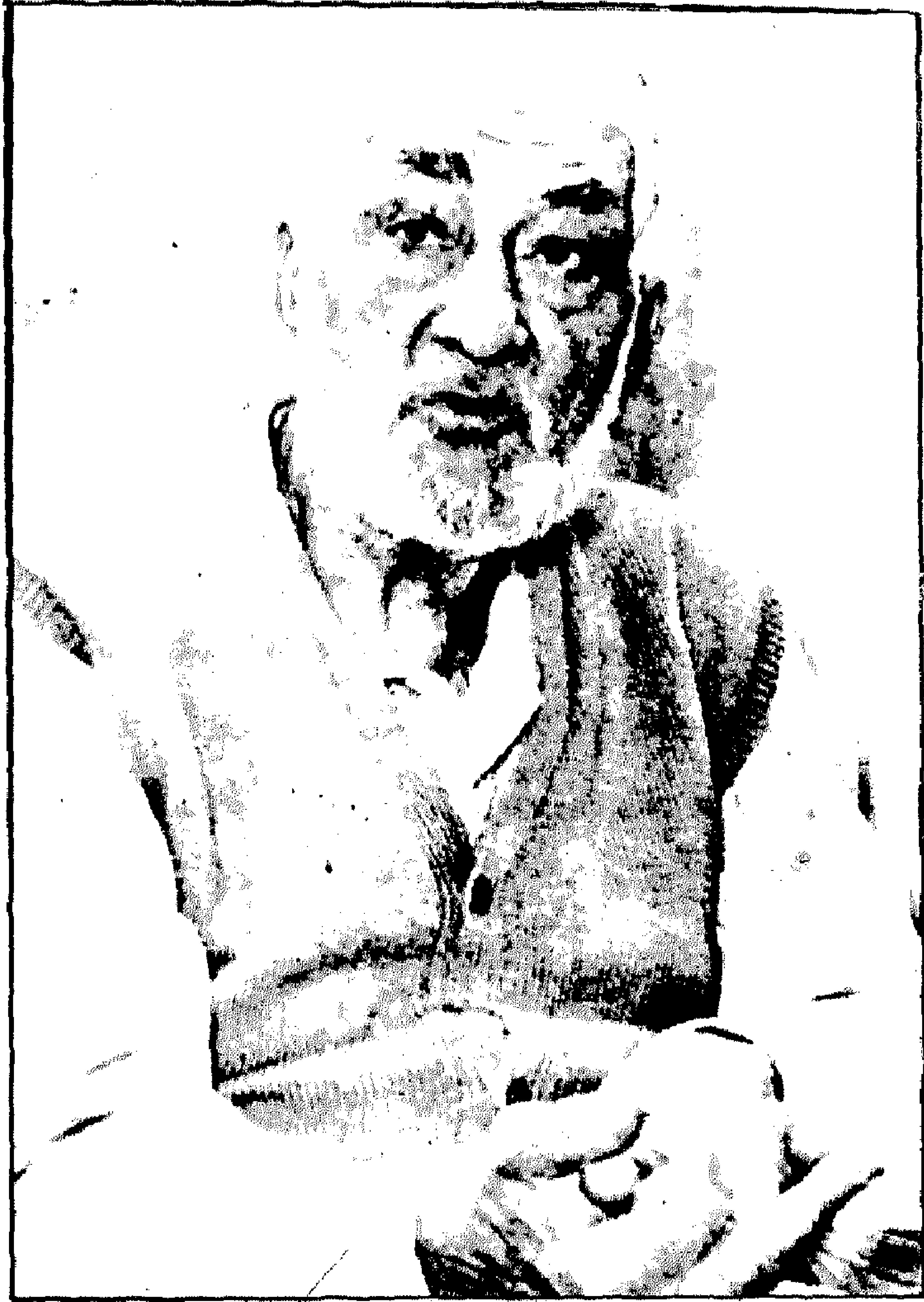
وفي ٢١ (آب ) ـ اغسطس ـ ١٩٦٦ كانت الاعتقالات والمحاكمات قد بلغت ذروتها بصدور أحكام محكمة أمن الدولة العليا بإعدام سبعة من قادة الاخوان شنقاً وبالسجن لمدد مختلفة على مائة أو أكثر . وفي ٢٩ منه خففت الأحكام على أربعة من المحكوم عليهم بالاعدام الى السجن المؤبد ، وتم شنق الثلاثة الآخرين بينهم الشيخ سيد قطب أحد أبرز المثقفين الإسلاميين في الوطن العربي .

ومع مجيء الرئيس الراحل محمد أنور السادات الى السلطة تم الافراج عن المعتقلين من الاخوان المسلمين ، ومنهم ( حسن الهضيبي ) ـ توفي في عام ١٩٧٤ نتيجة مرضه ـ وزينب الغزالي وكثيرون من الاخوان البارزين ، وعاد قسم كبير من الاخوان بقيادة المحامي ( عمر التلمساني ) الى العمل بشكل علني ، وكانت عودة مجلتهم ( الدعوة ) الى الصدور مؤشراً على أنهم يعتبرون نفسهم كياناً سياسياً قائماً ، وقد اعتبرت ( الدعوة ) الافراج عن المعتقلين والمسجونين السياسيين من الاخوان المسلمين اقراراً كاملاً من السادات بظلم الاجراءات التي اتخذت ضدهم في الماضي .

## العهد التلمساني

على هذا النحو نجد أن الاخوان مروا بثلاثة عهود :

- عهد حسن البنّا ( منشىء الدعوة ) .
- عهد حسن الهضيبي ( خليفة البنّا ) .
- عهد التلمساني ( وهو عهد بلا خليفة ) .



الأستاذ عمر التلمساني روب ( كاستور ) وكنزة صوف .

إن عهد التلمساني جاء بعد المحنة الثالثة لانقاذ ما يمكن انقاذه من البشر والسمعة ، ولم تتح له الظروف باجراء انتخاب رسمي لقيادته ، بل تجمع ما بقي من الاخوان حوله بصفته أكبر القادة الأحياء سناً ، وأكثرهم تواضعاً ، ويمكن أن يقال إن الجماعة ما تزال في طور تكوينها من جديد . فهناك ثلاثة تيارات رئيسية تتجاذب الجماعة .

**التيار الأول** : تيار الاعتدال ويتزعمه ( عمر التلمساني ٨٠ سنة ) .

**التيار الثاني** : يتراوح بين العلنية والسرية ويطلق عليه اسم ( البنيون ) نسبة الى البنّا . ومن أبرز زعماء هذا التيار الشيخ صلاح أبو اسماعيل ( ٥٠ سنة ) وهو عضو في مجلس الشعب ومن القائلين بالتحالف مع حزب الوفد ، كما أنه من أشد المعارضين لسياسة السادات والصلح مع اليهود ، وتعبر مجلة ( الاعتصام ) عن اتجاهه .

وينتشر ( البنيون ) في أوساط الحرفيين وخريجي الجامعات على وجه الخصوص .

أما **التيار الثالث** : فهو ( المكفراتية ) ويقسمون بدورهم الى فئتين :

١ ـ القطبيون نسبة الى المفكر الاسلامي الشهيد سيد قطب يستمدون تعاليمهم من وحي سيد قطب ومنها : « ان المسلمين يعيشون في جاهلية القرن العشرين ولا بدّ من اعتماد الأسلوب الثوري في مواجهة هذه الجاهلية » .

٢ ـ أما المجموعة الثانية فهي أكثر تطرفاً ، وتدعو الى اعتماد العنف للخروج بالإسلام من دوامة الأخطار التي تحدق به في جاهلية هذا القرن ، متى سنحت الفرصة وتهيأت الظروف خصوصاً اذا لم تسمح الوسائل السلمية ( ولن تسمح ) بالتغيير .

واذا كان من الطبيعي أن تظهر التيارات المتضاربة وسط جماعة الاخوان الذين يستأنفون نشاطهم بعد المحن الثلاث التي واجهوها ، فان

من المؤكد أن الاستاذ عمر التلمساني الذي يسكن في حي متواضع من حواري حي ( الظاهر ) بجوار أحد مساجد الحي هو الآن المحور الذي يدور حوله شباب الاخوان ، والذين يأملون منه رغم كبر سنه ، أن يعيد التنظيم الرسمي للاخوان بشكل مقبول ومعترف به ؛ وهي مهمة شاقة ولا شك ، ولكن الذين عرفوا التلمساني عن قرب يؤكدون أنه جدير بحمل هذا العبء رغم أنه لم ينتخب مرشداً بشكل رسمي . من هنا كان لا بد من التعرف على آراء هذا الرجل واتجاهاته الفكرية وتطلعاته خاصة وان الرئيس الراحل أنور السادات قد شمله في البداية بعطفه ، ثم سرعان ما شمله بغضبه .

اذا كانت مرحلة البنّا بدأت مع الملك ، ومرحلة الهضيبي بدأت مع عبد الناصر ، فان مرحلة التلمساني بدأت مع السادات .

فقبل اغتيال السادات بأيام كان لدى رجال المخابرات المصرية شكوك حول شيء ما يحاك في الخفاء ضد الرئيس ، وقد أكد تلك الشكوك القبض في الخامس والعشرين من أيلول ( سبتمبر ) على عضوين من أفراد تنظيم ( الاخوان المسلمين ) هما ( نبيل المغربي ) أو الشيخ نبيل كما يطلق عليه رفاقه وعضو آخر يدعى ( سيد محمود السيد ) .

فقد استطاع جهاز المخابرات - على ذمة الصحف المصرية - تصوير تحركات هذين الشخصين وبعدما جمعت كافة المعلومات جلس الرئيس السادات على مقعد وثير داخل استراحته في منطقة الهرم وبجانبه آلة عرض ( فيديو ) حيث شاهد اللقاء الأول الذي تم في ( ٢١ أيلول - سبتمبر ) وتضمن حديثاً بين ( نبيل المغربي ) - لم يكن بين الذين صدرت فيهم الأحكام - وبعض رفاقه عن ضرورة شراء أسلحة وتغيير أماكن التدريبات التي يتلقونها .

وفي اللقطة الثانية والتي صورت يوم ٢٤ منه ظهر ( نبيل المغربي ) وهو يتفحص مدفعاً رشاشاً قائلاً لرفيقه :

( ان أول طلقة من هذا المدفع ستوجه الى صدر السادات .

ومضى السادات ينفث دخان غليونه بعصبية وصار يهدد ويتوعد حين ظهرت اللقطة الثالثة التي ظهر فيها ( الشيخ نبيل ) ومعه رفيقه ـ الذي قبض عليه فيما بعد السيد محمود السيد ـ وهما يتفحصان مدفعاً رشاشاً .

أغلق السادات جهاز ( الفيديو ) وتناول ملفاً أعدّه جهاز مخابراته عن نشاطات ( الجماعات الدينية المتطرفة ) وبدأ يقرأ . .

تقول بعض فقرات التقرير :

**« . . وقد لاحظنا يا سيادة الرئيس أن هذا التنظيم الارهابي يسعى بكل الطرق للحصول على السلاح في وقت تفكرون فيه بزيارة الدقهلية ، وتنوون القاء كلمة أثناء انعقاد المؤتمر العام للحزب الوطني يوم ٢٨ أيلول ( سبتمبر ١٩٨١ م ) » .**

قد يكون في رواية اللقاءات التي تمت بين نبيل المغربي ( طالباً في كلية الألسن ، وموظفاً بالثقافة الجماهيرية في بيت الشرابية ومترجماً في مجلة الاعتصام الاسلامية ) تأليفاً مخابراتياً لاظهار عضلات رجال المخابرات أمام الرئيس السادات ، إلاّ أن مداهمة أماكن الجماعة تمت بالفعل بعد الخامس والعشرين من الشهر نفسه ( أي بعد مرور يوم واحد على مشاهدة السادات لشريط الفيديو[1] . ومنها ثلاثة أمكنة الأولى شقة بالجيزة ـ وسط القاهرة ـ حيث عثر فيها على كمية من الأسلحة والذخيرة وبعض الأوراق التي تضمنت رصيداً لتحركات الرئيس المصري حتى يوم تشرين الثاني ( نوفمبر ) ـ بالاضافة الى مجموعة صور لبعض المسؤولين الرسميين ـ لم يكن بينها صورة حسني مبارك نائب الرئيس يومئذ .

---

(١) أنيس منصور في مجلة أوكتوبر العدد الثالث من شهر ( أوكتوبر ) ١٩٨١ .

وتم العثور في المكانين الآخرين ( زاوية زين الدين ـ الهرم ) و ( مسجد الأنوار بمنطقة عرب الجسر بعين شمس ) على بعض الأسلحة والملابس العسكرية .

وفي الاعترافات التي أدلى بها نبيل المغربي بعد القاء القبض عليه ، كشف عن لقاءات كان يجريها منذ بداية العام ١٩٨١ مع ضابط المخابرات السابق عبود الزمر ( حكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة ) ، وهو الرجل الذي جعل الرئيس السادات يخرج عن لياقته وهو يلقي خطاباً في المؤتمر العام للحزب الوطني قائلاً :

**« . . إن الضابط الهارب اللي سامعني دلوقت مش حيفلت من ايدي . . خليه يسلم نفسه أحسن له » .**

بالإضافة الى اللقاءات التي تمت بين عبود الزمر ، وطارق الزمر ( حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ) كان هناك اتفاق بين الثلاثة بشكل دوري على تشكيل تنظيم سري ، يتولى فيه عبود الزمر شؤون التخطيط والتسليح ، بينما يتولى طارق الزمر أمور الدعوة وتجنيد الأعضاء ، أما نبيل المغربي فيتولى تنفيذ ما يكلف به من قبل عبود لجهة جمع المعلومات عن بعض الأماكن والمنشآت والأشخاص .

هذه الواقعة التي نشرت في مجلة « أوكتوبر » التي يشرف عليها السادات بنفسه تشير الى أن الرئيس السادات انتظر المتطرفين في الباب ، لكنهم فاجأوه بمجيئهم من على المنصة . .

لقد كان السادات أكثر الرؤساء ادراكاً لطبيعة البيئة التي يتحرك فيها المتشددون الدينيون . . اذ كانت تصله تباعاً تقارير سرية عن تحركات هذه الجماعات ، حيث تلقى قبل اغتياله بعدة أشهر تقريراً من جهاز المخابرات المركزية الأمريكية ( السي ، اي ، ايه ) أكّدوا فيه للرئيس السادات ، أن تنامي المجموعات الدينية المتطرفة داخل مصر يهدد النظام ، ويخشون أن

تكون هذه الجماعات المتطرفة تعدّ لشيء ما ( . . . ) الأمر الذي يستدعي الحيطة والحذر[1] . فبعد احداث الزاوية الحمراء ( يناير ـ كانون الثاني ١٩٨١ ) تأكد للسادات ـ بالنظر الى الإجراءات التي اتخذها فيما بعد ـ أن الأمور داخل مصر تجري بما لا يشتهيه أي حاكم فهناك معارضة يسارية متنامية ، وأيضاً معارضة دينية ضد كامب ديفيد ، فما كان منه إلاّ أن أمر بزج الآلاف من الذين اتهمتهم المخابرات بالتطرف بالسجن ، وقام باعتقال العديد من رؤوس الأحزاب اليمينية واليسارية وبعض القادة والمفكرين الوطنيين .

وقيل يومها إن السادات باتخاذه هذه الإجراءات ـ وهي الإجراءات الأولى من نوعها في تاريخ مصر الحديث ـ يحفر قبره بيده من حيث لا يدري .

## علاقة السادات بالاخوان

السؤال الذي يطرح نفسه هنا وبالحاح ، بعد اغتيال الرئيس السادات هو :

هل دفع السادات حياته ثمناً لخلاف جوهري بينه وبين الجماعات الإسلامية المختلفة الاتجاهات ؟

الذين يطرحون هذا التساؤل في مصر وخارج مصر يريدون في الأساس التحدث عن علاقة الرئيس الراحل بالاخوان المسلمين منذ عام ١٩٥٢ ( قيام الثورة في مصر ) . .

فلقد كلف السادات يومئذ من قبل الضباط الأحرار باجراء اتصالات مع جماعة الاخوان المسلمين ونجح الى حدٍ بعيد في اقامة هذه العلاقة ، حتى أنه عندما ساءت العلاقة بين عبد الناصر ( ٥٢ ـ ١٩٧٠ ) وبين

---

(١) موسى صبري ، جريدة الأخبار بعد يوم واحد من اغتيال السادات .

الاخـوان المسلمين ، حـافظ السـادات ( ٧٠ ـ ٨١ ) عـلى شعـرة معـاويـة معهم ، وعنـدمـا تسلم السلطة كـرئيس للجمهـوريـة ، طـرح شعــارات اسلامية متعددة ،معتقداً بذلك انه كسب ولاء الجماعات الإسلامية ، وقد اتخذت تلك الإجراءات شكـل طرد الخبـراء السوفييت واطـلاق سراح مـا بقي حياً من زعماء الاخوان المسلمين الذين سجنوا في عهد عبد الناصر .

وبرز الخلاف الفعلي بين السادات وبين الجماعات الاسـلامية في عـام ١٩٧١ ، أي بعـد تصفيته لجميـع معـارضيـه ، ومن بينهم بعض الـرمـوز الإسلامية ، اذ ذاك تعرض السادات لحملات عديـدة وقاسيـة كان منبـرها المساجد وبعض الصحف الدينية العلنية والسرية .

ولم يخف الـرئيس السـادات أمـام بعض خلصـائـه ( أنيس منصـور ، مـوسي صبري ) ـ مجلة أوكتـوبر ـ جـريدة الأخبـار ـ علي الجمـال جـريـدة « الأهرام » ، وهم الذين ألمحوا الى هذه النقطة بعد اغتياله ، انـه متخوف من بعض المتعصبـين في جماعـات ( الاخـوان المسلمـين ) . وقـد ازداد من تخوفه بعد توقيعه لاتفاقيات كامب ديفيد التي سميت بمجلة الدعوة ، مجلة الاخـوان ( اتفاقيـات اسطبـل داوود ) اثـر زيـارتـه للقـدس التي اعتبـرهـا الاخوان بكافة اتجاهاتهم ( خيانة وكفر ) .

وخلال الاثنتي عشرة سنة التي جلس فيها الـرئيس السادات عـلى قمة السلطة ، شهـدت مصر اعمـال عنف متعـددة كـانت وراء هـذه الأعمـال جماعات دينية تحتمي بعباءة الاخوان المسلمين ، فقد عبرت هذه الجماعات عن آرائهـا في حملة انتقادات للمسؤ ولـين كان أول المستهـدفين فيهـا حـرم الرئيس المصري السـابق ( جيهان السـادات ) على أسـاس أنها كانت ذات سلوك أوروبي في مجتمع اسلامي محافظ ، ومصر شيء وأوروبا شيء آخر .

وقـد لاحظ الـذين كـانـوا يسجلون الصـراع الخفي بـين الســادات والجمـاعات الإسـلامية انـه كل مـا عبرت هـذه الجماعـات عن قناعـاتهـا

بـوسائلهـا الخاصـة ، كل مـا شـدد الـرئيس السادات عـلى الظهـور بمظهـر ( الرجل المؤمن ) والتـركيز عـلى ( دولة العلم والايمـان ) واتخاذ سلسلة من ( الاصـلاحات ) التي تنحـو في هذا الاتجـاه منها ادخـال بعض النصـوص القرآنية على القوانين الوضعية ، واستبدال بعض القـوانين المـدنية بقـوانين شرعية .

وذهـب السادات الى حد الاهتمام المباشر بالـزعامـات الدينيـة ، لكن حبـات السبحة في ( اصـلاحاتـه ) فرطت عنـدما أحبط جهـاز المخـابـرات المصرية في صيف ١٩٧٩ محاولة لاغتياله بالمنيا ، ذلـك انه فـور عودتـه الى القـاهـرة شن حملة عنيفـة عـلى ( الاخـوان المسلمـين ) ، واتهم في لقـائـه التلفزيوني مع عمر التلمسـاني ، الزعـماء السياسيـين ـ وكان قـطب الاخوان المسلمـين منهم ـ عمر التلمسـاني ـ بأنـه عميل للسفـارة الانكليزيـة ، وانه يتردد كذلك على السفارة السوفيتية ، وقد رد التلمساني يومئذ بقوله :

« إنني أشكوك الى الله » . .

أجاب السادات بحدة :

**اسحبها يا عمر . . اسحب كلامك .**

فـما كان من قـطب الاخوان المسلمـين عمر التلمسـاني الاّ أن خاطبـه قائلاً :

**« انما شكوتك الى عادل يا أنور وليس الى ظالم » . .**

فـانفجر السـادات غاضبـاً بعد ادراكـه أن التلمساني سحب من تحتـه البساط أمام مئات آلاف المصريين ممن يشاهدون المناظرة التلفزيونية بينهما ، فعاد السادات يريد تـأكيد ذاتـه بأن قـال في حدة ، وبلهجـة فيها التهـديد والوعيد :

**« بقولك اسحبها . . اسحبها أحسن لك » !**

فتمتم التلمسـاني بعبارات خـافتة ، وعبـارات عـاليـة . . الخـافتـة لم يسمعها أحد أما العالية فتقول :



**محاكمة قتلة السادات**

**« ان كلامك يا ريس حيخليني أعيّ . . » .**

الحقيقة التي لا ينكرها قادة الاخوان المعتدلين والمتطرفين معاً ، أن الحكم بقتل السادات لم يصدر عام ۱۹۸۱ بل صدر عام ۱۹۷۷ ، عندما ذهب الى القدس حيث اعتبروا هذه الزيارة « **قتل شعب آمن جريمة لا تغتفر** » .

ومن المفاجآت التي ظهرت أثناء المحاكمة باغتيال السادات تبرئة الدكتور عمر عبد الرحمن الذي قبض عليه بعد المداهمات التي أعقبت الاغتيال ، وكان يومذاك اتهم بأنه الرجل الخطير في جماعة الاخوان المسلمين .

فلقد أصبح هذا الشيخ الضرير ، كغيره من العلماء المسلمين نجماً شهيراً داخل مصر ، اذ استطاع نظراً الى صوته الجميل الذي يتلو به آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، الدخول الى كل بيت تقريباً عن طريق ( الكاست ) .

وقد تحدثت الصحف المصرية عقب القاء القبض عليه ، انه أصدر

فتوى يستبيح فيها دم الحكام الذين يمدون أيديهم لليهود معتبراً أموالهم غنائم للمسلمين ، أما نساؤهم فتعتبر سبايا . اذا كان كل هذا أصبح ملكاً للماضي والتاريخ ، فان الحاضر والمستقبل يدفعنا لمعرفة كيف يفكر قطب الاخوان المسلمين عمر التلمساني في الحاضر على الأقل .

إن الاستاذ التلمساني لم ينتخب مرشداً عاماً للاخوان حتى الآن ، انه بمثابة ( المرشد المؤقت ) ومع ذلك فلا بد من التعرف على آرائه وتطلعاته، ذلك أن هذه الآراء والتطلعات تعبر عن جمهرة الاخوان المسلمين الذين يتجمعون الآن للانطلاق من جديد .

## الاخوان المسلمون الى أين ؟

ما من شك أن الاستاذ عمر التلمساني يتزعم الآن أقوى التيارات الدينية في مصر فهذا الرجل الهادىء ، الذي تجاوز الثمانين يحرك جموع الشباب المسلم بكلماته . .

يلبس جلابية من ( الكستور ) المصري الرخيص وفوقها صديري قديم من الصوف في الشتاء ، لا يكاد يقيه برد القاهرة . . ويتحدث بطلاقة وبساطة . فحين يسأل عن رأيه باغتيال السادات يجيب :

**« . . إنني بطبيعتي التي نشأت عليها أكره العنف بأي صورة من صوره . . . وهذا ليس موقفاً سياسياً فقط ، ولكنه موقف شخصي يرتبط بتكويني الذاتي . . وحتى لو ظلمت فإنني لا ألجأ الى العنف . . من الممكن أن ألجأ الى القوة التي تحدث التغيير ، ولكني لا ألجأ الى العنف أبداً . . ولم يخطر ببالي في يوم من الأيام أن أشترك في عملية اغتيال ، أو مؤامرة على شخص ما . . مهما كان هذا الشخص . . ولذلك حين سمعت بخبر اغتيال السادات وأنا في السجن ، أحسست بالحزن . . . رغم أن السادات أساء اليّ اساءة شخصية وآذاني بلا سبب . وبعد اعتقالي أخذ يركّز الهجوم عليّ في خطبه لعدة أيام متوالية ، وكل ما قاله عني بعيد عن**

الصحة تماماً ، بل أنه كذب من أوله الى آخره ، ولم يكن أحد يكذبه بل كان هو الذي يكذب في آخر الخطبة ما قاله في أولها .

وفي احدى الخطب بعد قرار الاعتقال قال :

إن المؤتمر الدائم للجماعات الإسلامية قام بدور طيب في القضاء على الفتنة الطائفية في ( الزاوية الحمراء ) ، قال هذا في أول الخطبة . . وبعد عشرين دقيقة بدأ يهاجمني في نفس الخطبة هجوماً شديداً على أساس أنني المسؤول عن الفتنة الطائفية ، علماً بأنني كنت رئيساً للمؤتمر الدائم للجماعات الإسلامية الذي مدحه في بداية الخطاب ، وأشاد بدوره الطيب في القضاء على الفتنة . .

كيف أكون أنا المسؤول عن الفتنة الطائفية ، وأنا أول انسان استنجد به وزير الدخلية - النبوي اسماعيل - يوم أحداث الزاوية الحمراء ، وطلب مني مساعدته لإطفاء الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط .

لقد اتصل بي الوزير الساعة الثامنة والنصف صباحاً وذهبت اليه ، واستدعيت له بعض الشباب من أعضاء الجماعات الإسلامية ، وتحدثنا طويلاً ، وبذلنا كل ما نستطيع من أجل القضاء على فتنة الزاوية الحمراء ( فتنة صدام المسلمين مع الأقباط ) .

وبعد ذلك يأتي السادات ليقول إنني كنت ضالعاً في الفتنة ، أليس هذا كذباً وافتراء ؟

ومن أكاذيب السادات الأخرى أنه قال في احدى خطبه أنه فكر في ادخالي مجلس الشورى ثم عدل عن تفكيره ، وهذا ليس صحيحاً ، الصحيح أنه عرض علي بالحاح أن أدخل مجلس الشورى وأنا رفضت ذلك بالحاح أيضاً . .[1] .

---

(١) لوموند فبراير - ١٣ شباط - ١٩٨٢

وسئل الاستاذ التلمساني من قبل مجلة ( لوبوان ) الفرنسية[1] عن مطالبته بتطبيق الشريعة الإسلامية ، فقال :

أنا حريص على تطبيق الدستور ، لأن المادة الثانية من الدستور تقول :

« ان الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع » . والمصدر الرئيسي لا يمكن العدول عنه أبداً ، واذا كان القرآن قد أحاط بكل شيء علماً فلا يمكن أن نفترض أن هناك أمراً من الأمور يحدث في هذه الدنيا ولا يتصدى له القرآن ويشرحه .

وتسأله المجلة :

ـ لماذا تضع مسؤولية بناء المجتمع الإسلامي على الجمعيات الإسلامية وحدها وتسحب هذه المسؤولية من الحكومة ؟

فأجاب :

لأن الشباب فقد الثقة في الموظفين أيّاً كان نوعهم ، مدنيين أو دينيين . . فكل موظف يتقاضى أجره من الحكومة لا بد أن يجاري الحكومة . . أما اذا قام بالتربية الدينية بعض المتطوعين الذين لا يريدون وظائف أو ألقاباً أو مرتبات بل يدفعون من جيوبهم ، فلا بدّ أن يصبح الأمر مختلفاً .

وسئل الشيخ ما رأيك في الاتهامات التي توجهها الحكومة لبعض رجال الدين من أنهم حادوا عن الدين ؟ .

فأجاب :

لقد سبق لي أن قلت للسادات إن الأئمة الذين تقولون إنهم حادوا عن الدين ، كالشيخ كشك والشيخ محلاوي والشيخ محمود عيد والشيخ

---

(١) لوبوان سبتمبر ـ ١٩٨٢ .

**عبد الرشيد صقر ، هؤلاء الأئمة وحدهم الذين سيربون الشباب تربية إسلامية سليمة لو تركتم لهم الفرصة لذلك ، ورجل الدين اذا جاءه شاب يسأله عن قضية من قضايا الدين أو الدنيا فلا يمكن أن يخالف ضميره ويقول إنها حلال اذا كانت حراماً .**

**والآن وبعد مرور ٥٢ سنة ونيف على نشأة الاخوان المسلمين ، أين أصبحت الجماعة هذه الأيام . . ؟**

لا يمكن لأحد من المتبعين لأخبار ( الاخوان المسلمين ) أن ينكر أثرها البالغ في مصر وخارجها . ففي معظم الدول العربية والاسلامية هناك شعبة للاخوان المسلمين ، وأصبحت هذه الدعوة مدرسة بلغ تلاميذها المئات من الألوف ، يسيرون بها وينشرونها في كل مكان ، بحيث اذا منع قيامها قانون في دولة ما ، تردد أصداء الدعوة في دولة أخرى . . رغم ما أصاب قياداتها من حبس وتشريد ومصادرة واغتيال ، ولا يهم أن تكون هذه الجماعة موجودة قانوناً أو لا ، فالعبرة بالاثر لا بالمظهر . . ان اثر هذه الجماعة في ايقاظ الشعور الإسلامي بالعزة ، اهتماماً بكل نواحي الحياة ، جعل كل العالم المستغِل سياسياً أو اقتصادياً أو فكرياً ، يحارب هذه الجماعة حرباً لا هوادة فيها ، لأن هدف الجماعة في الأساس القضاء على كل أنواع الاستغلال التي تمارسها دول ( الغرب ) ودول ( الشرق ) في هذه المنطقة . ولعلّ موقف الاخوان من دولة الاغتصاب واعتبار كل من يمد يده اليها كافراً وخائناً هو من المعالم المميّزة لهذه الحركة التي ظلت على الساحتين العربية والاسلامية تمارس نشاطاتها رغم كل المحن والأحن .

ونحن هنا نلخص أفكار هذه الجماعة من خلال ما تنشره مجلة الدعوة ـ المجلة الرسمية للاخوان .

يقول الاستاذ عمر التلمساني وهو يرد على الذين يستفسرون عن الحركات الإسلامية الجديدة وهل هي استمرار للاخوان أو هي خروج عنها :

« . . . الحركات الإسلامية الجديدة هي دليل حيوية هذا الدين ، وهذا أمر نقره ونرضاه ، وليس لنا من نقد لها ، الا أن كل جماعة اشتغلت بجانب واحد من جوانب الإسلام ، اقتصادي أو سياسي أو اجتماعي لديها اجتهادها ، ولذلك نحن لا نعارض هذه الجماعات ، ولكننا نطالبها جميعاً ، أن تأخذ الاسلام ككل لا يطغى فيه جانب على جانب تبعاً للظروف والملابسات والأحداث ، ان هذه الجماعات ليست خارجة على الاخوان المسلمين ، ولكنها تتناول جانباً واحداً وتهتم به أكثر من غيره ، أما المبرر لنشوئها ، فلكل منها فهمه واهتمامه ، الذي نقرها عليه ما لم تتعارض مع معلوم من الدين بالضرورة ، ونحن وان كنا ندعو لها بالتوفيق في كل جهد خاضع لتعاليم الإسلام ، فإني أترك للأيام ، ولآثار هذه الجماعات في المجتمع الإسلامي ، أترك تقييم كل هذا للأيام والنتائج » .

وعن علاقة العروبة بالإسلام يقول التلمساني :

« . . الإسلام لا يعترف بالقومية ، ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربّكم فاتقون » ، واتباعاً لتعاليم القرآن فنحن ننكر القومية ، لما تجلبه من خلافات وصراعات بين بني الانسان ، الذين ينتسبون الى أب واحد وأم واحدة ، ونحن نعلم أنه لما كان العالم الإسلامي كله أمة واحدة في ظل الخلافة الإسلامية ، ساد واعتز ، ولما تفرقت شعوبه في ظل حكومات متباينة المشارب صرنا الى ما نحن عليه من شقاق وضعف واحتراب ، زادنا حالنا سوءاً على سوء ، أما علاقة العروبة بالإسلام فهي شعار جديد غير مألوف في عرف الإسلام ، لأن الإسلام لم يأت للعرب وحدهم ولكنه جاء للناس جميعاً « يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً ، ولا أشك في أن الاصرار على كلمة العروبة ، أمر مقصود به ما وراءه من دوافع وأغراض ، اننا مسلمون عرب وغير عرب ، وهذا أدق وأشمل في ترسيخ المودة والألفة والقوة والتقدم بين الجميع » .

وعند تعدد الأحزاب الاسلامية خارج الاخوان يقول التلمساني :

« . . إن كلمة احزاب لا يعرفها الإسلام بل ينكرها ، نظراً لأساليب الأحـزاب في المصارعـة مـع بعضهـا البعض ، والـطرق الشـاذة في الانتخابات ، وحصر الهدف في الوصول الى الحكم بحجة تنفيذ برامجها ، أما الجماعـات الإسلاميـة ، فانها لا تشتغـل بالأمـور السياسيـة ، وتحصر جهـودها في الشؤون الاجتمـاعية ، ولـذلك لن يكـون بين هـذه الهيئـات تـطاحن ، لا بين بعضهـا البعض ، ولا بينها وبـين الاخـوان المسلمـين ، ويـوم أن تـرضى جمـاعـة منهـا أن تكـون حـزبـاً ، فـلا يمكن الحكم عـلى تصرفاتها إلّا بعد أن تقـوم هذه التصـرفات ، وتتبـينّ اتجاهـاتها ، ولـذلك أرى أن الحكم عـلى مثـل هـذه الأمـور سـابق لأوانـه ، ونحن لا نستبق الأحـداث ، وأرى أن تتـرك الحكـومـات الحـريـة الكـاملة للجمـاعــات الإسلامية ، كل في محيط منهاجه ، ومن يخالف القـانون ، فـالقضاء حكم عادل في تلك الأمور » .

وعن تقييمه لحادث اغتيال السادات ، ورأيه بالرئيس مبارك يقول التلمساني :

« . . إن الإسلام لا يقر القتل ، فرداً أو جماعة ، ولو أن المجال فتـح أمام مرتكبي حادث المنصة فقد كان من الممكن أن يتعرف الناس على هذه المبـررات ، وكيف غرست في نفـوس ذلك الشبـاب وكيف مـارسـوهـا ، وكيف وجهتهم ، هذا واني لمع حكم الإسلام في هذا التصرف . .

أمـا موضـوع موقفنـا من الرئيس حسني مبـارك ، فنحن في الاخوان المسلمـين لا ننـظر الى حـاكم لشخصـه ، ولكننـا نـنـظر الى الأعمـال والتصرفات ، وقد بدأ رئيس الجمهورية الحالي بدءاً طيباً بازالة المظالم التي ارتكبها سلفه الراحل ، وكل ما نتمناه أن يسير في هـذا الخط الى منتهاه ، وان يستمتـع النـاس بحـريتهم ، وأن يشيـع الأمن في نفـوس المـواطنـين جميعاً ، ونسأل الله أن يلهمه الصواب في كل ما يقـدم عليه ، ونحن لسنـا

أعداء لحاكم بذاته ولكننا ننظر الى العمل وحده ، فما كان فيه من خير حمدنا الله عليه ، وما كان غير ذلك نصحنا وأبدينا رأينا واستفسرنا . . » .

وعن علاقة الاخوان بأحزاب المعارضة يقول التلمساني :

« . . موقفنا من الأحزاب ، هو موقفنا من الحكومات ، لا نعادي ولا نخاصم ، وأعتقد أننا على صلات طيبة بهم جميعاً ، وتلتقي وجهات النظر منا جميعاً عند نقطة واحدة ، هي المطالبة بالحرية الكاملة ، للكلمة المنصفة ، وعدم الحجر على اقلام الكتاب ، واعادة جميع الصحف والمجلات المحجوبة عن الظهور الى اليوم بلا سبب مشروع ، واختلاف وجهات النظر لا يمنع من تبادل الاحترام بين الجميع ، وأن يتوم انتصار كل واحد لوجهة نظره على البرهان والدليل ، بعيداً عن الشخصيات وتبادل الاتهامات ، فالاسلام ينهى عن ذلك تماماً ونحن مع الاسلام حيث سار ، وأعتقد أن كل مسلم متفق مع كل المسلمين ، حكاماً ومحكومين فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ووجوب رجوع الحق الى أصحابه . . ونحن على استعداد كامل للدخول في حوار هاديء بعيد عن الاستثارة ، مع كل من يريد ، أما مسألة الجبهة الموحدة مع أحزاب المعارضة ، فقد أبدينا رأينا فيها مراراً بقولنا إن الإسلام وحده جبهة دون سائر الجبهات ، فمن أراد توحيد الجهود فعليه أن ينضوي حساً ومعنى الى المطالبة بشرع الله في كل نواحي الحياة ، وعدم رغبتنا في جبهة متعددة النزعات ، مبعثه أن هذه الجبهة اذا نجحت في خطوتها الأولى ، فستتفرق بعد ذلك بسبب اختلاف وجهات النظر في وسائل الاصلاح ، فكأنما أزلنا استبداداً فردياً ، بخلاف جماعي ، وكلا الأمرين ضار ، لا خير فيه . . » .

ويجيب الاستاذ التلمساني سائليه عن ارتباط الاخوان المسلمين بالقضية الفلسطينية بقوله :

« . . لست من القائلين برمي اسرائيل في البحر ، أو أننا سنعلن

النصر في تل أبيب ، فكل هذه شعارات براقة لا يقام لها وزن ، وأني آخذ الأمر على ضـده . . . هل طـرد الفلسطينيـين من أرضهم واحلال اليهـود مكانهم أمر مشروع أو غير مشروع ؟

هـذه هي النقطة الأولى التي يجب أن تصـدر فيها هيئـة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية قراراً محدداً مفصـلاً مدعـماً ، قد يقـال إن هذا قـد قيل مراراً وتكراراً ، ولكني أقـول مؤكداً ومقتنعاً إن هذا لم يقـل ، وإن الذي قيل هو أن دول المنـطقة ومن بينهـا اسرائيـل يجب أن تعيش في سلام دائم شامل . وان القرارات التي صدرت دولياً ليس فيها الا احتجـاجات عـلى تصرفات اسرائيل الجائرة ، ولا شيء غـير ذلك ، مـع بقاء كـل ما فعلتـه اسرائيل أو اغتصبته باق على حاله ، دون أن تعرض لبحث أصل المشكلة واصدار قرار واضح فيه ، بعد هذا القرار تتخذ كـل الوسـائل التي تؤدي الى رد الحق الى أصحابه ، بأية طريقة من الطرق مهما طـال أمدهـا ، وقد علمتنـا الأحداث ، أن الحق لا بـدّ وأن ينتصر مهـما طال الـزمن ، وبغير هذا سيظل في دوامـات وصراعـات لا نهاية لهـا حتى يقضي الله أمراً كـان مفعولاً ، ويوم يجمع حكام البـلاد الإسلامية على رأي واحـد ، حتى ولو كان خطأ ، نكون قد بدأنا فعـلاً ، في السير عـلى الطريق الصحيـح الذي ينتهي بحل المشكلة . .

إن كل المبادرات والمشـاريع والمعـاهدات التي تمت الى اليـوم ، باطلة شرعاً ، اذ ليس فيها أمر واحد يحقق للفلسطينيين حقوقهم كاملة ، ولكنها مخـدرات سياسيـة ، لا ترمي إلاّ الى الاعتـراف بأحقيـة مـا فعلتـه وتفعله اسرائيل دولة الاغتصاب ، لا في أرض فلسطين وحدهـا ، ولكن مع كـل دول المنطقة من حالفها ومن خـالفها ، ومـا أظن أن شيئاً من ذلـك غائب عن فطنة المجاهدين ويوم أجمع المسلمون كلهم في المدينة على عدم محاربـة أهل الردة ، وتسيير الجيوش التي عقد رسول الله ﷺ لواءها قبل وفاتـه ، وقف رجـل واحد هـو أبو بكـر الصـديق رضي الله عنـه ، في وجـه هـذا

الاجماع ، وصمم ونفذ وكان له ما أراد . . . وذلك من عبر التاريخ الخالدة ، وقد حرص القرآن الكريم على عرض صور مختلفة من الأحداث التاريخية لتكون عبرة للمسلمين في تناول الأمور :

« لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » ﴿ ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ، وليس بعد قول الله من قول ، فمن شاء فليعرض ، ومن شاء فليهتد ، والى الله عاقبة الأمور .



سيد قطب بدأ مع حسن البنا
وانتهى من أجل العقيدة .

# عودة الوفد

يستغرب الجيل الجديد ، خارج مصر ، كيف يمكن لحزب مضى على غيابه عن ساحة العمل السياسي أكثر من ثلاثين سنة ، أن يعود بمثل هذا التحدي ؟

مما لا شك فيه أن الناس في مصر قد سعدوا بعودة ( حزب الوفد ) الى العمل الوطني لأسباب عديدة :

**أولها** : ان عودة الأحزاب دليل على عودة الديمقراطية والحرية الى مصر .

**ثانيها** : ان حزب الوفد كان حزباً شعبياً لعب دوره في التاريخ الوطني . . .

وعودة الحزب بعد أكثر من ربع قرن من الاختفاء القسري ، دليل على أن الشعب في مصر لا ينسى تاريخه . . . ودليل على أن الشعب في مصر لا يزال يتطلع الى أول ثورة شعبية عرفها في تاريخه المعاصر ، وهي ثورة ١٩١٩ ، الثورة التي قادها سعد زغلول ورفاقه . وقد جاء على الوفد زمان تحول فيه الى اسطورة من الحب ، حتى قال الناس بصوت واحد : « الاحتلال على يد سعد ولا الاستقلال على يد عدلي » .



**قبلة الوفد القديم على خد الوفد الجديد**

وقالوا أيضاً :

لو رشح الوفد حجراً لانتخبناه . . !

وقد يكون هذا القول في أحد جوانبه شطحة تعبيرية خاطئة تنم عن مشاعر صحيحة ، فان الاحتلال على يد أي انسان لا يكون أفضل من الاستقلال على يد انسان آخر ، ومعنى ترشيح الوفد لحجر ، وانتخاب الناس لهذا الحجر انهم بلا عقل . لأن الوفد كان حزب الأغلبية ، فقد أثرت حكومات الوفد المتعاقبة في حياة الشعب في مصر ، وكانت معظم عائلات الريف من الوفد ، وكانت تتوارث الدفاع عن مبادئه وأفكاره ، وحين كانت تجرى انتخابات صحيحة ، أو حتى نصف مزورة ، كان الوفد يكتسح كل أحزاب الأقلية ، أحزاب الملك ، ويعود الى الحكم ، ولا أحد يقرأ التاريخ ويستطيع أن ينكر أن الوفد كان جماهيرياً صرفاً . وكان عيبه الوحيد هو عدم احتواء أفكاره على مضمون اجتماعي واضح المعالم ، وكان

عذره في هذا انه كان يحارب على عدة جبهات ، جبهة القصر المناوئة لكل اصلاح حقيقي ، وجبهة الانكليز .

صحيح أن حزب الوفد يعود بعد أن تغيرت تركيبة المجتمع المصري ، وتغيرت أفكاره وهمومه وانما الصحيح أيضاً أنه يتميّز عن غيره بجذوره الممتدة في التاريخ ، وسابق خبرته ، سواء في تجارب الحكم أو كراسي المعارضة .

كان الطلاب في مصر حين يتظاهرون يهتفون : ( يحيا الوفد ولو فيها رفق ) ولا يمكن للذاكرة الطلابية أن تنسى أن هذه المظاهرات الشعبية هي التي جاءت بالدكتور طه حسين وزيراً للمعارف ، كما لا يمكن لذاكرة الطلاب من أجيال متعاقبة أن تنسى جو الحرية الجميل والأمان الذي كان الطلاب يحسون به أيام الوفد ، وجو الارهاب والخوف الذي كانوا يختنقون فيه حين يغيب حزب الوفد .

إن عودة حزب الوفد قد استقبلت حتى من خصومه بالأمل ، لأن تجربة حزب الوفد تثبت أن عودة الحرية هي التي تستطيع مقاومة الفساد والافساد الكلي ، وتحقيق القيم ، وفساد عشرة أحزاب لا يساوي طغيان يوم واحد من حاكم مطلق !

ويجدر بنا أن نتذكر أن ظهور حزب الوفد في الساحة الوطنية أحدث في الشعب استبشاراً ، لأن الشعب بنظراته الواعية النابعة من ادراك سليم صقلته خبرة تاريخ قديم وتجارب آلاف السنين ، قد عرف أن شيئاً جديداً قد حدث . . انه عودة الروح الى حياة نيابية ولدت مع ثورة شعبية قامت منذ أكثر من خمسين عاماً على الرغم من سلطان ملكي واحتلال انكليزي . . . وكانت ارادة الشعب هي التي تقرر ، واختياره هو الذي يحقق ، وصوته هو الذي يعلو على كل صوت .

إن مهمة حزب الوفد الآن العمل على دعم الديمقراطية بارساء

تقاليدها السليمة ، وذلك بدراسة مشكلات الشعب الحقيقية .

إن حزب الوفد لم يتألف بقرار جمهوري . . . ولم يعمل بقرار حاكم .

فعندما ألف ( سعد زغلول ) الوفد سنة ١٩١٨ اعترض بعض الشباب على شخصيات انضمت الى الوفد فقال سعد :

« إن يوم تأليف الوفد هو يوم قيامة جديدة، وان كل مصري ولد في هذا اليوم ، واننا نحاسبه على أفعاله بعد دخوله الوفد ، وليس على تصرفاته قبل ذلك ، وان المعارك هي التي ستصفي أعضاء الوفد ، فتصفي المترددين والخائفين والمنتفعين ، ولا يبقى إلاّ المناضلون » .

وهكذا بقي في الوفد الذين نفاهم الانكليز الى جزيرة ( سيشل ) والذين حكم عليهم بالاعدام من المحكمة العسكرية البريطانية ، والذين سجنوا في ( قشلاق قصر النيل ) والذين نفوا الى الواحات .

فالأحزاب يحييها المناضلون والمجاهدون ويقتلها المنتفعون والانتهازيون .

ولم يقتصر الترحيب بعودة حزب الوفد الى العمل الوطني على أبناء مصر فقط ، بل تعداه الى البلدان العربية ، والافريقية ، فقلما نطالع اليوم جريدة أو مجلة عربية أو أجنبية ، ولا نجد فيها مقالاً عن الوفد وعن ماضيه وحاضره ومستقبله . . وهذا الاهتمام يعود الى أن البلاد التي هي حول مصر في افريقيا وآسيا لا بد أن تتأثر بنجاح التجربة المصرية في الديمقراطية[1]، فاذا نجحت ستقوم حياة ديمقراطية من نمط جديد في عدة

(١) قال لي الاستاذ ميشيل أبو جودة رئيس تحرير جريدة النهار وهو يعلق على عودة حزب الوفد الى ساحة العمل الوطني ، في الانتخابات التي جرت في مصر عام ١٩٥٠ كنا نحن « آل أبو جودة » نتحلق حول المذياع بشوق لنتعرف على النتائج النهائية ، فقد كانت عواطفنا باتجاه حزب الوفد ، وكم فرحنا عند اعلان فوزه ، ذلك لأن نجاح حزب الوفد معناه نجاح الديمقراطية ، ولم نكن نحن وحدنا من أنصار الوفد بل كان العديد من اللبنانيين وفي طليعتهم الدستوريين من هذا الرأي . . .

بلاد ، وستستمتع شعوب هذه المنطقة بحقوق الانسان ، من هنا لن تكون مهمة الحزب سهلة . . . اذ لا بدّ أن تقوم في وجهه صعوبات وعقبات ، وستشن عليه حروب علنية وخفية ، وستدس ضده الدسائس ، وستوجه اليه الاتهامات ، وهذا في مصلحة الوفد ، فالحزب الذي يولد في العواصف لا يهزه هبوب الرياح . . . والحزب الذي يقف مع الناس ويضحي من أجل الناس سيجد الأمة كلها تقف معه وتكافح معه . . . . أما الأحزاب التي تولد في أحضان السلطة فتنتهي بنهاية السلطة .

إن الأحزاب التي تولد في أحضان الشعوب تعيش لأن الشعوب لا تموت !

ومن الأوسمة التي علقت على صدور قادة الحزب ذلك الوسام القضائي .

لقد عاد الحزب الى العمل بحكم قضائي .

ومنع العزل السياسي عن رئيسه الاستاذ فؤاد سراج الدين بحكم قضائي ، وقد صدر هذا الحكم بالاجماع ، وكانت قاعة المحكمة المؤلفة من المستشارين :

« عبد الفتاح البسيوني رئيساً ، وحسن حسنين ويحيى الغطريفي أعضاء » .

كانت القاعة قد احتشدت بالناس المتلهفين لسماع الحكم ، ونظرت المحكمة في كل القضايا التي أمامها ، وفي آخر الجلسة نطق رئيس المحكمة بالحكم فدوت الجلسة بالهتاف والتصفيق والتهليل . .

وهتفت الجماهير بحياة القضاء العادل ، وبحياة الديمقراطية ، وبحياة مصر ، وبحياة الوفد .

ودخل أحد الشبان الى غرفة المداولة ، وقال لرئيس المحكمة :

« . . إنني من الاخوان المسلمين ، وأريد أن أقبلك من أجل هذا الحكم العظيم » فقال رئيس المحكمة :

« انني أرضيت ضميري » .

وهكذا تأكد وجود الوفد ، وتهيأ لدخول الانتخابات القادمة ، وأصبحت له جريدة تعبر عن رأيه ، وبدأ نشاطه بالطواف بالأقاليم لشرح برنامجه وأهدافه . .

وبعد ؛

ما هي قصة هذا الحزب التي شغلت دنيا الوطنية والسياسة في الوطن العربي على امتداد نصف قرن ونيف ؟



عبد الفتاح حسن أول أمين
للوفد الجديد في يمان طرة



الدكتور
محمد صلاح الدين

# الوفد بين ربيعين

في ربيع ١٩١٨ ارتبط تاريخ مصر السياسي بحزب الوفد ، فقد قاد هذا الحزب منذ ذلك الربيع كفاح مصر من اجل الاستقلال والحرية ، ووقف صامداً سنين طويلة في وجه الاحتلال والقصر . . . وتاريخ مصر الحديث لم يعرف حزباً لاقى من الشعبية وواجه من المعارضة والمناورات والمؤامرات في آن ، ما لاقاه وواجهه وعاناه حزب الوفد .

فعندما قدم ( نجيب محفوظ ) الوفدي الوجدان ( عيسى الدباغ ) في روايته السمان والخريف ، ممثلاً لمسيرة جيل مصري كامل ، صوّره متدفقاً كالنهر من منبع ثورة ١٩١٩ ، متشكلاً مع شعارات الوفد الوطنية والليبرالية التي أعطاها نبض قلبه ووهج عينيه . . . ثم تركه على مشارف حركة الضباط الأحرار ١٩٥٢ يعيد بناء حياته الشخصية . . . خلّفه بعد الحركة واقفاً داخل قفص محاكماتها متجرداً من كل شيء . . . تاريخه ، مكاسبه ، دوره ، أحلامه ، غير أن ( نجيب محفوظ ) لم يكن يتصور في كل الأحوال أنه سيكون لربيع ( عيسى الدباغ ) ربيع آخر بعد نصف قرن ، تدّب في جسده الذي تيبس ، حرارة النبض من جديد .

فهل عاد ( الدباغ ) لينتقم من أولئك الذين بددوا مكاسبه وأحلامه كأنها عصافير مذعورة ؟ وهل ما يزال دوره ينتظره ، بعد كل هذه السنوات والمتغيرات .

ثم : ماذا بقي لعيسى الدباغ الذي تجاوز السبعين من عمره الآن ، على سطح الحياة السياسية المصرية ليقطفه من جديد ؟

يقول ( عيسى الدباغ ) :

« . . . إن العسكر خطفوا أحلامه ومبادئه ، لأنه كان يمثل القوة الحقيقية في الشارع ، ولهذا قدموه الى محاكم ( التطهير ) وحده وأزاحوه عن طريقهم ، كما يقول كل الوفديين » .

ويقول ( عيسى الدباغ ) :

« . . إن الشارع السياسي المصري هو بيته . . هو حقله الذي ينتظر عودته بفارغ الصبر كما يردد كل الوفديين وكلهم من الجيل الجديد الذي اعتقد البعض أن السجون والمعتقلات وغرف التعذيب قد افترسته . . » .

ومع ذلك ، فلا يمكن لأحد ، مهما بلغت درجة عدائه للوفد وتاريخه ، أن يفصل ( حزب الوفد ) عن دوره السياسي والاجتماعي ، وعن ما بقي من قاعدته الشعبية .

وحتى حركة الضباط الأحرار ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التي نصبت محاكم ( الغدر ) وحلت الدستور ، وقانون الأحزاب لمواجهة الوفد أساساً ( كما يقول محمد نجيب في مذكراته ) لم تنكر أن المناخ الذي أشاعته حكومة الوفد الأخيرة ( ١٩٤٩ ـ ١٩٥١ ) هو الذي مكن الضباط الأحرار من احراز انتصارهم الحاسم على الملكية في مصر ، وان الغاء حزب الوفد لمعاهدة ١٩٣٦ ، وتبنيه للكفاح المسلح ضد الانكليز في القنال ، قد خلق اشكالاً من التعاون بين الضباط الأحرار والحكومة الوفدية كما سيأتي ذكره . .

إن الشيء الذي غاب عن أذهان الذين اعتقدوا أن حزب الوفد قد أضحى بلا ربيع هو الفارق الكبير بين الزعيم الشعبي والسياسي

المحترف ، فقلة من الساسة تملك تلك الجاذبية الخفية القادرة على السيطرة على الجماهير ، واذا كان التاريخ قد أسهب في الحديث عن سعد ، فانه أغفل عن عمد الحديث عن الزعيم الثاني للحزب وهو مصطفى النحاس ، بحيث لم يبق لدينا من تاريخ هذا الرجل ، سوى تلك الاتهامات التي صيغت ضده .

لقد كان مصطفى النحاس قبل أن يكون سياسياً ، زعيماً شعبياً ، ووطنياً مخلصاً في عاطفته ومحبته للناس ، وصادقاً في كفاحه الوطني ضد الاستعمار ورجاله . . ومثلما كان حزب الوفد ، حزب سعد ، كذلك كان حزب مصطفى النحاس .

إن زعامة مصطفى النحاس صنعتها الجماهير ، وعندما قضى نحبه عام ١٩٦٥ شاهدتُ الملايين تخطف نعشه ، فقد ظل حياً نابضاً في وجدان الملايين ، ومن هنا كان وحده بين زعماء مصر الذي تمتد زعامته الى ما بعد مماته في عمق الضمير . لقد حاولوا اغتياله أكثر من مرة ولكن العناية الالهية كانت تحميه من كيد خصومه ومؤامراتهم .

إن محاولات اغتيال النحاس تكررت مراراً طوال فترة زعامته ( ١٩٢٧ ـ ١٩٥٢ ) ولكنه نجا منها جميعها بأعاجيب تقرب من المعجزات ، ولعلّ ذلك يرجع الى أيمانه العميق بالقضاء والقدر .

في أواخر عام ١٩٣٦ أطلق عليه الرصاص شخص يدعى « عز الدين عبد القادر » ، إلاّ أنه أخطأه . .

في أواخر عام ١٩٤٥ ألقى أنور السادات وشريكه حسين توفيق قنبلة على سيارته في شارع « القصر العيني » بالقاهرة ، الاّ أنها لم تصبه ، فقد تصادق قدوم ترام فجأة فضاعف السائق من سرعة السيارة لتحاشي الاصدام به .

وفي عام ١٩٤٩ قام تنظيم ( الحرس الحديدي ) المرتبط بفاروق بتفجير

سيارة ملغومة في منزل النحاس قبيل الفجر ، وكانت كافية في ظن مدبري الجريمة لأن تجهز عليه وهو نائم في فراشه ، الاّ أن غرفة نومه وحدها نجت من الأضرار ، وكل ما أصابها كان شظية صغيرة علقت في كلة ناموسيته وكانت هذه آخر محاولة ملكية لاغتياله .

وعلى الرغم من الغالبية العظمى التي كان يتمتع بها الوفد لدى الجماهير فلم يسمح له بتولي الحكم غير تسع سنوات ، على مدى ٢٩ سنة بدأت باعلان الدستور عام ١٩٢٣ ، وانتهت بقيام حركة الضباط الأحرار ١٩٥٢ . شكل النحاس خلالها خمس حكومات وفديةبعد الانتخابات العامة التي كان الوفد يفوز فيها بالأغلبية المطلقة ، ولكنه أقصي عن الحكم بالاقالة الملكية .

والنحاس كان شديد الايمان بالحقوق الدستورية والديمقراطية للشعب ، وكان حين يلي الحكم يضع الملك في مكانه الدستوري ، رمزاً يملك ولا يحكم ، فالأمة مصدر السلطات ، و ( الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة ) .

تلك الشعارات التي خطها سلفه سعد زغلول مؤسس الوفد ، وأول رئيس له .

كان النحاس يتولى الحكم اثر أزمات وتضييق على الجماهير من حكومات أحزاب الأقلية الملكية ، فكان حكمه يقترن باغلاق المعتقلات ، واطلاق حرية الصحافة ، وتوفير الحريات العامة ، وكان يرافق ذلك رواج اقتصادي ، واستقرار اجتماعي .

نقطة باهرة للنحاس لا يمكن للتاريخ أن يغفلها ، فقد عمل خلال حكومته الأخيرة التي ألغت معا هدة ١٩٣٦ على احكام المقاطعة الاقتصادية للقوات الانكليزية ، ونادى العمال المصريين الذين كانوا يعملون في القاعدة الانكليزية بالقنال بأن ينسحبوا من أعمالهم ويغادروا

منطقة القنال الى القاهرة ، فاستجابوا الى النداء ، وكان تعدادهم مائة ألف عامل تلقتهم مراكز الاستقبال التي أقيمت لهم في القاهرة ، حيث جرى الحاقهم بوظائف حكومية في المصالح والوزارات بجميع أنحاء مصر ، ولم يتعطل منهم أحد ، وتم ذلك في غضون ثلاثة أشهر(1) .

ولم يستطع الملك فاروق أن يقيل النحاس ، الا بمؤامرة حريق القاهرة التي دبرها القصر والبوليس السياسي ، وبينما كان النحاس يكتب مرسوم اعلان الأحكام العرفية ، كان الملك يوجه اليه كتاب الاقالة . وتبقى قصة ٤ فبراير ـ شباط التي نسج حولها اعداء الوفد الحكايات والأساطير ثم سرعان ما ظهر زيفها بعد أن نشرت الوثائق التي أفرجت عنها الحكومة البريطانية والتي ظهر فيها أن النحاس باشا حين استدعي الوفد لتأليف الحكومة بعد الانذار البريطاني للملك ، لم يكن يعرف بالتفاصيل ، وقد أصر على أن يؤلف الحكومة بدون أن يشرك أحد من الأحزاب .

وغادر النحاس الحكم لتتعاقب عليه ست حكومات ملكية خلال ستة شهور ، انتهت بحركة الضباط الأحرار .

إن مصطفى النحاس لم يكن زعيماً شعبياً وسياسياً ، بل كان زعيماً وطنياً بكل معنى الكلمة ، من أجل هذا تهاوت التهم الظالمة ضده واحدة تلو الأخرى ، وبقيت ذكراه في ضمير الشعب ووجدانه .

لقد سبق أن سألت الوزير السابق عبد الفتاح حسن عن ذكرياته حيال النحاس فقال :

**« اذا كان الموت هو خاتمة حياة كل حي ، فان الذكر الطيب هو عمر ثان للانسان .. ولهذا فان عمر كل من سعد زغلول ومصطفى النحاس يعتبر**

(١) نقلت هذا عن الاستاذ عبد الفتاح حسن وزير العمل والشؤون الاجتماعية في كانون الثاني ١٩٧٦ وقد توفي أخيراً ، وكان من بين الذين اعتقلهم السادات في حملة أيلول ١٩٨١ .

عمراً طويلاً ومديداً ، لا بالقياس الى سني الحياة وانما للذكر الحسن ولما بذله من تضحيات ، وتحمله من مشقات ، ولما أداه لوطنه من عمل صالح . واذا كان مثلي لم يدرك سعد زغلول الا وأنا حدث ، ثم طالع تاريخه وأمجاده مسجلة من المقدرين لعظمة الزعماء ، فقد شاء حسن حظي أن يكون لي شرف العمل مع مصطفى النحاس في آخر وزارة تولى رياستها ، فقد تتلمذت على يديه ، ولمست عن قرب مدى ما حباه الله من ذكاء خارق ، وشجاعة نادرة ، وصراحةلا تعرف الالتواء ، وتفان في خدمة بلاده ، والذود عن حقوقها ، واخلاص للواجب ، وتقديس للحرية والديمقراطية . .

وكيف ينسى التاريخ ان مصطفى النحاس حين جاءه ( حسين سري ) - رئيس الديوان الملكي - يحمل اليه يوم ١١ يناير ١٩٥٠ اعتراض الملك فاروق على ترشيح النحاس للدكتور طه حسين وزيراً للمعارف وكان جوابه انه يتمسك به ، ويصر على ترشيحه ، وان الوزارة اما تؤلف وطه حسين وزيراً واما لن يؤلفها ، وانتهى الأمر بنزول الملك على ارادة النحاس . .

وكيف ينسى التاريخ أن مصطفى النحاس طرق مائدة الملك بعنف اهتزت له الأطباق رافضاً قبول الملك قرار الوفد بفصل أحد أعضائه ، ورافضاً تعقيب الملك على اتصالات وزير الخارجية الدكتور محمد صلاح الدين مع بعض السفراء الأجانب في باريس ومنهم سفير تشيكوسلوفاكيا لتزويد مصر بالسلاح .

وكيف ينسى التاريخ أن مصطفى النحاس كان يقف في صف الحرية أيّاً كان موقعها ، وفي صف الديمقراطية دائماً وفي كل الظروف ، وانه دخل الوزارة لأول مرة في سنة ١٩٢٤ وزيراً للمواصلات في وزارة سعد زغلول ، ثم رئس الوزارة عدة مرات . . . وترك دنياه ، ولم يخلف وراءه

مالاً ظاهراً أو مستتراً ، بل معاشاً كان قد استبدل بجانب منه مالاً كان في مسيس الحاجة اليه . ولكنه ترك لنا كنزاً لا يفنى من عمل صالح لبلاده ، وقدوة طيبة لمن يأتون بعد زمانه ، وتاريخاً خالداً لا ينضب معينه » .

أما الدكتور محمد صلاح الدين ، الذي عمل وزيراً للخارجية في مصر ، فقد قال لي حين سألته عن ذكرياته حيال النحاس :

« مصطفى النحاس سيد الناس » هكذا لقبه زعيم الثورة سعد زغلول .

كان اذ ذاك أمين الوفد العام ، وكان في وطنيته وأمانته مضرب الأمثال ، حتى كاد الثائرون على طغيان الانكليز والسراي يدعونه ( الأمين ) .

وقضى سعد نحبه كريماً عظيماً فخلفه النحاس على رياسة الوفد دون مراء ، حتى لكأنما قال فيه أبو العتاهية :

أتته الرياسة منقادة ... اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلاّ له ... ولم يك يصلح الا لها

ومضى في رياسة الوفد بعد سعد حتى قضى النحب بدوره في الثالث والعشرين من شهر ( اغسطس ـ آب ـ ١٩٦٥ ) ويا لها من حكمة إلهية أرادها الناس لمصطفى النحاس أن يموت في نفس اليوم الذي مات فيه سلفه العظيم .

لقد كان للنحاس الفضل الأول في عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ مع الانكليز ، وهي المعاهدة التي لم تكن مصر دون عقدها لتخطو خطوة واحدة الى الأمام في سبيل سيادتها الحقة واستقلالها التام . .

ثم كان الفضل الأكبر في عقد معاهدة ( مونتريه ) التي ألغت الامتيازات الأجنبية ، وهو الالغاء الذي لولاه لما استطاعت مصر أن تخطو

خطوة واحدة في سبيل نموها وكرامتها بين الكرماء المتحضرين المتقدمين .

ثم كان له الفضل الأكبر في الحاق مصر بالمجتمع الدولي الحديث ، فقد انضمت على يديه الى عصبة الأمم ، وكان النحاس بين العرب ، أول عربي خطا خطوات جدية في سبيل وحدتهم المبتغاة حتى قامت جامعة الدول العربية في سنة ١٩٤٥ ، وهو حديث أرجو أن يفتش فيه الباحثون عن أربعة أمور :

كيف بدأ الحوار الجدي في ذلك السبيل ؟

وكيف تطور حتى عقد البروتوكول الدولي العربي المعروف ببروتوكول الاسكندرية صيف ١٩٤٤ .

وكيف قلب النحاس المائدة على الانكليز ، وسحب البساط من تحتهم فيما كانوا يبيتونه من قيام الجامعة العربية على أساس مسخ ناقص ، وتابع لسياستهم لا يحيد . .

ولماذا أقال الملك فاروق وزارة النحاس في اليوم التالي لعقد بروتوكول الاسكندرية ، كما اعتاد أن يقيله كلما حارب طغيانه وأبى مع ذلك أن يستقيل لأن وكلاء الأمة المحقين لا يستقيلون من خدمتها في بلاد جاهد شعبها للحصول على الدستور حتى فاز بالدستور . .

وأرجو أيضاً أن يفتش الباحثون عمّا كابده الرجل من بلاء وعناء لاسترداد حقوق الشعب الدستورية كلما عبث بها العابثون ، وعلى وجه الخصوص لاعادة دستور سنة ١٩٢٣ بعد أن قتلوه بدستور مسخ في سنة ١٩٣٠ .

ولعلّ الجهّال بهذا البحث يعلمون . .

ولعل الحسّاد ينتهون . .

وأخيراً لا آخراً فقد ألغى صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

معاهدته مع الانكليز وقال يومها في البرلمان المصري قوله السديد المجيد :

« من أجل مصر وقعت معاهدة سنة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بالغائها » .

وهو موقف ضخم فخم سأحدثك عنه حين يتسع المجال . .

# وقفة أمام تاريخ حزب الوفد

في مطلع صيف عام ١٩٧٤ قام الاستاذ فؤاد سراج الدين بزيارة خاطفة الى لبنان ، أمضى خلالها بضعة أيام في فندق ( بريتتانيا ـ برمانا ) وهناك وفي حديقةالفندق كنا ـ نمضي الأمسيات في الحديث عن مصر . وما جرى في مصر والوطن العربي على امتداد ربع قرن حافلة بالأحداث الجسام .

وأذكر أن الرجل قال لي :

« . . . لقد باشرت فعلاً في كتابة مذكراتي ، وحين ستصدر سيندم الكثيرون على ما اقترفوا تجاه حزب الوفد من آثام ، وما اخترعوا من أكاذيب ، وحين ستأتي الى القاهرة سأطلعك على المذكرات لتأخذ منها ما تريد » .

ماذا تعني عبارات الرجل ؟

ماذا لدى الاستاذ فؤاد سراج الدين من أسرار جديرة بأن تسجل في كتاب معدّ للأجيال ؟

ووقبل هذا وذاك من هو فؤاد سراج الدين ؟

قد يكون الجيل الجديد خارج مصر لم يسمع بهذا الاسم المقترن بلقب ( باشا ) . . . ولكن الجيل الماضي ، جيل النضال المرير من أجل

الاستقلال والحرية لا يمكن أن يغيب عن سمعه . . . فهـو الاسم المنقوش على صفحات التاريخ العربي المعاصر . . . التاريخ الوطني والسياسي بكل ما فيه من تناقضات وصخب وكفاح وغدر وانسانية !

حين رأيته في مطلع صيف ١٩٧٤ ، وبعد عشرين سنة شعرت وكأنني فارقته بالأمس . . .

القسمات النبيلة الحانية والباسمـة ، والمشوبـة بالنضـارة ما تـزال على حالها . . . وتأكد لي أن النفوس الرضية لا يمكن أن يقتحم حنانها شحوب الزمن ، أو تجاعيد الحياة . . . ولو أن الذي مرّ على الرجل مـرّ على أحـدنا لتحول الى شبح . . . ولكن ( ابن العزّ ) يعرف كيف يواجه الصعاب ويتحداها ويبتسم .

حين دخلنا أحد مطاعم ( الروشة ) بدأت الأصابع تشير اليه من بعيد . . .

انه هو فؤاد سـراج الدين ، بشحمـه ولحمه . . . بخـطواته الـرصينة وابتسامته المرتاحة على وجهه . . . ورأسه المرفوع عالياً . . . عالياً . . !

البعض سلم بـاستحياء ، والبعض الآخـر لم يتمكن من التغلب عـلى شعوره فأقبل يسلم وكأنه يصافح عزيزاً غائباً . . .

وبـالقرب من الشـرفة المـطلة على البحـر جلسنا نتحـدث عن الماضي والحاضر . . . ولم يسعفنا الزمن للحديث عن المستقبل الـذي كان في تلك اللحظات يحتاج الى رمل المنجمين ! !

ولأنني أعرف البحر ، وأعرف السراج المضيء بـاستمرار رحت أنقـل نظراتي بين الاثنين . . .

هذا البحر كم عـرفته ثـائراً يتمـرد كعقل فيلسـوف . . . مياهـه تهدر وتزأر وتنطح الشاطىء ، ويمدّ البحر لسانـه الى الرمـال يلعقها ويحمـل على كتفيه العاريين كل الرمال الزائدة فيعلو بهـا فوق المـوج ، أو يهبط بها تحت

الموج . . . والبحر يبتسم . . . الماء في البحر لا يركد ، ولا يتفضض ، ولا يتحرك في غموض . . . انه في حركته الصاعدة الهابطة أشبه بسطور مكتوبة فوق شاشة السينما . . . كلما حاولت أن تقرأ سطراً اختفى وظهر سطر آخر يختفي قبل أن تقرأه . . .

رنوت الى البحر بحنان ، والى السراج بعيون مبهورة . . . هي عيون ذكرياتي وخلجات نفسي . . .

البحر الساحر العبقري ، فنان . . . اذا لم يجد حوافز خارجية تشحذ صخبه عكف على تأملاته وهدأ واسترخى !

كان حال البحر في تلك اللحظات التي رحنا نحدق في مياهه ، كحال فؤاد سراج الدين . . . والفرق بينهما أن البحر كان في حالة هدوء واستكانة . . . لقد مدّ ذراعيه ، وساقيه واستلقى على ظهره وتدثر بغلالة زرقاء كلون السماء التي بدت من بعيد وكأنها قبة .انغرست جدرانها العريضة في أعماق البحر ، وملأ سقفها رقعة الفضاء ، أما فؤاد سراج الدين فقد نفض عنه الحديث غبار حب قديم ، فتهيأ بكل قلبه الأبيض الى حب جديد . . !

ان أي مهتم بالتاريخ المعاصر في الربع الثاني من القرن العشرين ، لا بد أن يقف طويلاً أمام ( حزب الوفد ) . . . والمفروض أن التاريخ يبدأ بتجمعات الناس العريضة ويتتبع حركاتها . . . لهذا لا بد من الحديث عن الحزب ، للوصول الى الحديث عن رجاله ومن هؤلاء الرجال فؤاد سراج الدين . لقد حفل التاريخ الحديث بأخبار الوفد ورجاله حتى قيام حركة الضباط الأحرار عام ١٩٥٢ ، وبعدها اسدل الستار على الوفد وتاريخه !!

اذا كان قد أطلق على منزل سعد زغلول ( بيت الأمة ) فقد كان الوفد أكبر بيوت الشعب سنين طويلة ، فلم يكن الوفد قيادة فحسب ، كان تجمعات من مختلف الفئات والاتجاهات ، ولم يكن في تاريخه سلطة

فحسب ، بل وقف في المعارضة زمناً طويلاً لا يجد له قوة غير قوة الناس ، كل الناس . . .

حين أعلنت الهدنة اثر الحرب العالمية الأولى ، الاثنين ( الحادي عشر من نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩١٨ ) بادر سعد زغلول وأصحابه الى طلب المقابلة من السير ( ريجنالد ونجت ) معتمد الدولة البريطانية ، أو نائب الملك كما كانوا يسمونه في عهد الحماية ، فضرب لهم موعداً للمقابلة قبيل الظهر من يوم الأربعاء التالي . فذهب اليه سعد زغلول وصاحباه ( علي شعراوي باشا ) و ( عبد العزيز فهمي بك ) ، ووقع الاختيار على هؤلاء الثلاثة لأنهم كانوا أول من اشترك في الوفد من أعضاء الجمعية التشريعية ، وفيهم الكفاية لتمثيل الوفد برئيسه وعضوين يمثلان الأعيان وذوي الأعمال الفكرية . . .

تلقاهم السير ريجنالد بعد التحية والتهنئة بعقد الهدنة بقوله :

« إن الصلح اقترب موعده والعالم يفيق بعد غمرات الحرب التي شغلته زمناً طويلاً ، وإن مصر سينالها خير كثير وان الله مع الصابرين » .

فرد عليه سعد العظيم :

« . . . ان الحرب كانت كحريق انطفأ ولم يبق الآ تنظيف آثاره . وإني أظن أنه لا محل لدوام الأحكام العرفية ولا لمراقبة الجرائد والمطبوعات . والناس ينتظرون بفارغ الصبر زوال هذه المراقبة كي ينفسوا عن أنفسهم ويخففوا عن صدورهم الضيق الذي تولاهم أكثر من أربع سنين » . .

وبعد مناقشة حامية قال السير ريجنالد :

« اذن أنتم تطلبون الاستقلال ؟ » ،

فأجابه سعد :

« نعم . ونحن أهل له ، وماذا ينقصنا ليكون لنا استقلال كباقي الأمم المستقلة » ؟

طلب المعتمد البريطاني أن يبقى هذا الحديث سراً ، ريثما يسأل حكومته . . . ولكن سرعان ما أصبح هذا الطلب ، طلب الاستقلال الكامل الناجز الرافعة التي استند اليها ( الوفد المصري ) في نضاله الطويل مع الانكليز ومع السراي . .

قبل هذه المقابلة كان الوفد قد انتهى من تكوينه ، ووضع قانوناً للسير جاء في مادته الأولى :

« . . . تألف وفد باسم « الوفد المصري » من حضرات سعد زغلول باشا وعلي شعراوي باشا وعبد العزيز فهمي بك ومحمد علي بك ، وعبد اللطيف المكباتي بك ، ومحمد محمود باشا ، وأحمد لطفي السيد بك ، واسماعيل صدقي باشا ، وسينوت حنا بك ، وحمد الباسل باشا ، وجورج خياط بك ، ومحمود أبو النصر بك ، ومصطفى النحاس بك ، والدكتور حافظ عفيفي بك » .

وجاء في مادته الثانية ان « مهمة هذا الوفد السعي بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعي سبيلاً في استقلال مصر استقلالاً تاماً » .

وفي المادة الثالثة ان « الوفد يستمد قوته من رغبة أهالي مصر التي يعبرون عنها رأساً أو بواسطة مندوبيهم بالهيئات النيابية » .

وفي المادة الخامسة « لا يسوغ للوفد أن يتصرف في المهمة التي انتدب لها ، فليس للوفد ولا لأحد من أعضائه أن يخرج في طلباته عن حدود الوكالة التي يستمد منها قوته : وهي استقلال مصر استقلالاً تاماً وما يتبع ذلك من تفاصيل » . .

وفي المادة الأخيرة : « يعين الوفد لجنة تسمى باللجنة المركزية لجمع التبرعات ومراسلة الوفد بما يهم من شؤونه » .

ومما تقدم يتبينّ كيف أن جميع الهيئات التي كانت نائبة في ذلك الحين قد فوضت الوفد بالتكلم باسم أهل مصر .

وإذا كان اسم مصطفى النحاس قد اقترن بعدها باسم سعد زغلول ، فان اسم فؤاد سراج الدين قد اقترن باسم مصطفى النحاس ، وكلاهما شغل منصب الأمين العام للحزب ، فقد كان النحاس أميناً للحزب في عهد سعد ، وكان فؤاد سراج الدين أميناً للوفد في عهد النحاس . . .

هذه البداية الكبيرة تفسر لنا الجهد الذي بذلته أحزاب الأقلية ( أحزاب الملك ) لهدمه . . .

كان الوفد المصري ظاهرة غير مرغوب فيها ، وفي بقائها ، لا في أيام الملك فؤاد ولا في أيام الملك فاروق . . . فمجرد وجود بناء تسكنه كتل كبيرة من الناس ، ويقوم بوظيفة الجامع لها ، وان يوجد رباط يحيل الأفراد الى مجموع ، لهو في حد ذاته تهديد لسلطة أي قوة تعادي أكثرية الشعب . . . هو نوع من الحشود تخشاها القوة الطاغية ، ولن يزول الخطر عليها بموقف الهدوء وحده . . . لن يزول إلّا بأن ينفرط العقد ويتحول الجمع الى أفراد مشتتين متناثرين . . . فقد تتحول المجموعات المحتشدة داخل الوفد الى قوة ضد النظام برمته . . . وليس شرطاً أن يبدأ هذا التحول من قيادة الوفد ، بل قد يحدث ، على الرغم منها ، من قواعد الحزب التي تعلمت ( الحرية ) من قادتها . . .

لهذا أعدت أحزاب الأقلية كل أسلحتها لتصفية الوفد ، وتصفية رئيسه وقادته ، وبدأت بتجميع القوى المعادية له .

وكانت هذه السياسة المعادية لأهداف الأكثرية الكاثرة سبباً في بقاء حزب الوفد قوياً ونافذاً . . . وكان الهجوم عليه يأتي من قوى وعناصر تبغضها الأكثرية الشعبية . . .

لقد نشأ الحزب في ثورة ١٩١٩ ، والتف حوله الناس ، كل الناس ، معبّراً عن مطالبها في الاستقلال والحرية . . . نشأ في ظروف تاريخية ، دولية ، ومحلية فرضت عليه فرضاً أن يقود الكفاح الشعبي . . .

كان حزب التجمعات العريضة وقائدها في كفاحها من أجل الحرية والجلاء . . . وقد تحدد جهاده الديمقراطي في اطار دستور ( ١٩٢٣ ) . . . وتحدد جهاده الوطني في استثمار كافة الامكانيات والضغوط المحلية والدولية وصولاً إلى جلاء المحتل بشتى الطرق ، ومنها طريق المفاوضة ، باعتبارها أحد الأساليب المتوفرة في ذلك الوقت . . . واحتفظ الوفد بجماهيريته باعتبارها السند الأقوى . . . وخاض حزب الوفد المعارك ضد الاحتلال البريطاني بنجاح . . . وبذلك كان الحزب الذي حمل الثورة الحقيقية ، ثورة ١٩١٩ على كتفيه . وكانت معاهدة ١٩٣٦ ، هذه المعاهدة التي اختلف المؤرخون في تقييمها . . . فمنهم من هاجمها ، ومنهم من اعتبرها الحل الممكن والمؤقت . . . ولأن حزب الأكثرية هو الذي وقعها . . . لم يستطع المعارضون لها أن يمضوا طويلاً في معارضتها . . .

في تلك المرحلة ، دخل الى حزب الوفد من الباب العريض ، الشاب الثوري فؤاد سراج الدين ، ابن العائلة الكبيرة ، والوجيهة . . . وتزايد نفوذه على قيادة الحزب خلال الأربعينات فأصبح الأمين العام للحزب ، المنصب الذي يلي منصب زعيم الحزب . . . وما ان انتهت الأربعينيات وبدأت الخمسينيات حتى كان هو المسيطر الرسمي على الحزب وقواعده وقيادته . . . وبدأ نجم فؤاد سراج الدين يسطع . .

الخصوم قبل الأصدقاء اعترفوا بأن الشاب الذي قفز من أسفل سلم حزب الأكثرية الشعبية الى القمة . . . طَموح . ولو لم يكن الطموح من صفاته لما رفض التعاون مع ثورة ٢٣ يوليو ، لمجرد أن الثورة علقت الدستور . . . ودخل السجن مثنى وثلاث ورباع ولم يستسلم . .

أذكر ذلك ولا أنساه . . .

كنت مراسلاً لكبرى صحف الثورة « الجمهورية » ، وبهذه الصفة استطعت حضور بعض جلسات محاكمة فؤاد سراج الدين .

كانت حركة الضباط الأحرار قد تمت ومصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين في اجازة صيف بسويسرا . . . وصلوا الى جنيف يوم ( ٢٤ ) يوليو ـ تموز ـ بعد قيام الثورة ، وبعد رحلة بالباخرة ، وفور وصولهما اتصل بهما بعض أعضاء الوفد طالبين منهما العودة . . . وعاد النحاس وسراج الدين بالطائرة ، وكانت هذه أول مرة يركب فيها النحاس طائرة في حياته . . .

تحركت الطائرة من جنيف عصر ٢٦ يوليو ( تموز ) قبل أن يعلموا بعزل الملك ، وقد عرفوا ذلك من الطيار الذي أبلغهم به فور سماعه من الاذاعة . . .

وصلت الطائرة الى القاهرة بعد منتصف ليلة ٢٧/٢٦ يوليو . . . وفي المطار طلب منهم الاستاذ أحمد أبو الفتح رئيس تحرير ( المصري ) ـ جريدة الوفد ـ زيارة رجال القيادة ، وهم بانتظارهم .

وافق النحاس بعد استشارة فؤاد سراج الدين . . .

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحاً حين وصل النحاس وسراج الدين الى مبنى القيادة حيث كان بانتظارهما اللواء محمد نجيب وبقية أعضاء مجلس قيادة الثورة . .

رحب نجيب بمصطفى النحاس واحتضنه . . . وكان هذا اللقاء الأول والأخير بين مصطفى النحاس وأعضاء مجلس قيادة الثورة . . . بينما تعددت اللقاءات مع فؤاد سراج الدين بعد ذلك . . .

كان مصطفى النحاس مقبلاً بقلبه على الثورة ، سعيداً بعزل الملك الذي طالما أقال وزارته ، واعتدى على الدستور ، معتقداً أن الحركة قد تمت في اطار الدستور وانها لن تلبث أن تعيد البرلمان الذي حله فاروق . . . لتعيين مجلس الوصاية ، ثم تجري انتخابات جديدة . . .

لمس النحاس أثناء المقابلة ترحيباً خاصاً من جمال عبد الناصر وخالد

محي الدين ويوسف صديق . . . ولكن هذا الترحيب كان يخفي في طياته الادراك بأن الوفد يمثل الخطر الحقيقي على سلطتهم الوليدة . . .

كان فؤاد سراج الدين قد طلب تحديد موعد من اللواء نجيب عقب عودته مع النحاس من أوروبا ، ولكن أحد أقربائه ( اليوزباشي عيسى سراج الدين السفير فيما بعد ) دعاه الى منزله في الزيتون لمقابلة جمال عبد الناصر وقد امتد اللقاء من الخامسة مساء حتى ما بعد منتصف الليل . . .

لم يكن هذا اللقاء مرتجلاً ، فقد كان لا بد منه ، بعد استيلاء الضباط الأحرار على السلطة ، وبدأ الحوار السياسي بينهم وبين حزب الوفد . . .

في الساعة السادسة من مساء ٢٠ اغسطس ـ آب ـ ١٩٥٢ تم اللقاء الأول بين الطرفين ، وكان الحاضرون وفق رواية أحد الحضور « ابراهيم طلعت » :

« من جانب الضباط : جمال عبد الناصر ، عبد الحكيم عامر ، صلاح سالم ، أحمد شوقي .

من جانب الوفد : فؤاد سراج الدين ، أحمد أبو الفتح ، ابراهيم طلعت » .

أما صاحب البيت « عيسى سراج الدين » فلم يحضره رغم أنه من الضباط الأحرار .

لقد كتب الكثير عن هذا اللقاء التاريخي . . . ولعلّ أصدق الرواة هو الاستاذ ابراهيم طلعت النائب الوفدي الذي تحمس للثورة وكان مع صديقه الاستاذ أحمد أبو الفتح من بين العاملين المجدين لجمع حماس الضباط مع حكمة رجال الوفد . . . كان الاخلاص لمصر رائدهما في تحركهما ، فمع انهما كانا من الملتصقين بحركة الضباط الأحرار ، ومن شباب الوفد، إلاّ أنهما لم ينفصلا عن ضمير الشعب الذي طالما ضحى في سبيل الحرية . .

بعد حوار قصير بين الحضور ترأس الاجتماع جمال عبد الناصر بناء على طلب من سراج الدين ، فقال :

« . . . الأخ صلاح سالم أثار موضوعين . . الأول موقف الوفد من مشروع قانون تحديد الملكية الزراعية ، والثاني مقدار ما يمتلك فؤاد سراج الدين باشا . . . ونطلب من فؤاد باشا أن يتكرم أولاً بالكلام عن الموضوع الثاني علشان نتخلص منه ، بعد ما روت الشائعات أن الباشا يمتلك عشرين ألف فدان ببلدته ( كفر الجرايدة ) . .

قال فؤاد سراج الدين :

- الصحيح أنني أمتلك مع أسرتي حوالي ٣٠٠ فدان ، جزء منها امتلكها بالميراث ، والجزء الآخر من الأراضي البور سبق أن استصلحتها . . . وأنا على استعداد لأن أتنازل للدولة عن أي قدر من الأراضي تزيد على ذلك ، وتستطيعون التأكد من واقع المكلفات الزراعية عن هذا . .

جمال عبد الناصر : أنا متأكد من ذلك ، ويعتبر هذا الموضوع منتهياً .

بعد ذلك بدأ الحوار حول قانون تحديد الملكية الزراعية فقال سراج الدين :

- نحن في حزب الوفد نوافق من حيث المبدأ على هذا القانون .

وأنصت الجميع لحديث الرجل وهو يتناول هذا الموضوع باسهاب . . ويبدي ملاحظاته على ضوء تجاربه وقال :

« أريد أن أنبهكم الى أمرٍ ، وهو أنني مع ٩٠ ٪ من أعضاء الوفد لا نتضرر من هذا القانون » .

بعد ذلك انطلق جمال عبد الناصر يتحدث فقال :

« . . إن بعض الأشخاص من الأعضاء البارزين في الأحزاب السياسية لم يكونوا في الماضي على مستوى المسؤولية في النزاهة والسلوك الوطني ، وانه على الأحزاب أن تتخلص من هؤلاء ، وخصوصاً الوفد .

لأن المفروض بأن الوفد هو الذي سيتولى الحكم بعد اجراء الانتخابات ، فيجب أن يكون قادته فوق كل الشبهات . . » .

وهنا تدخل عبد الحكيم عامر في الحديث وقال :

« . . أحب أن أقول لاخواننا المدنيين أن احنا جادين في تسليم البلد لأصحابها ، وليس لنا أي مطمع في الحكم . فنحن عسكريون ولا نعرف أساليب السياسة ، وليست لنا أية خبرة تؤهلنا لتولي الحكم . . . وقد طلب منا كثيرون أن نتولى الحكم بواسطة وكلاء الوزارات ، ووافق بعض زملائنا في مجلس القيادة ، ولكننا كما قلت جادون في اعادة الحياة الدستورية ، والعودة الى ثكناتنا للتفرغ لانهاء الاحتلال البريطاني بعد خروج الملك . .

وشكر سراج الدين لهم حسن نواياهم بالنسبة للحياة الدستورية ، وغيرتهم على مستقبل البلاد . وأضاف بأنه من الطبيعي أن تفرض الظروف بعض الشخصيات على الأحزاب ، خصوصاً اذا كانت تتولى الحكم . .

وثار نقاش حاد حول أعضاء الوفد ، وضرورة التخلص من بعضهم . واعتذر سراج الدين عن عدم استطاعته وعد الحضور الآن بشيء في هذا الأمر الا بعد الرجوع الى النحاس باشا ، ومناقشة هذا الموضوع معه ، ولكنه أكد بالحاق الشبان المشهود لهم بالوطنية والكفاءة بعضوية الوفد . . ( عضوية الوفد معناها المجلس الموسع لأبرز الوفديين ) .

بعد هذا الحوار الذي طال وتشعب بدأ جمال عبد الناصر يفسر مطلبه بتنظيف حزب الوفد من الشوائب من خلال تحليل سياسي طويل انصت اليه فؤاد سراج الدين بامعان واهتمام ، لأنه كان يرسم صورة تفصيلية لتفكيره وقتها . . . وللوضع السياسي كما يراه . .

وكان يشاركه في رسم الصورة عبد الحكيم عامر .
قال جمال عبد الناصر :

« . . . إن علي ماهر ( كان يومها رئيساً لوزارة الثورة ) يحاول الانفراد بالسلطة ، كما كان يحاول تأجيل عودة الحياة الدستورية للبلاد . وكان يعتقد أنه السياسي الوحيد الذي يستطيع أن يقود السفينة في العهد الجديد ، بدليل أن الاختيار قد وقع عليه لتأليف الحكومة عند قيام الحركة ، مع اننا اخترناه علشان يغطي الحركة ، لأنه طول عمره كان رجل السراي الأول . استحوذ على الملك وهو طفل وأسرع باعطائه سلطاته الدستورية وانهاء سلطة مجلس الوصاية عليه ، وبذلك أصبح الملك مديناً له، ومنحه ثقته الكاملة. وكانت هذه فرصة علي ماهر لتحقيق مطامحه . فاعتقد أنه أصبح هو ملك البلد ، وبدأ يتصرف على هذا الأساس ، ولولا حزب الوفد وتمسكه بالدستور ، وخوف الملك وعلي ماهر من الشعب ، لكان علي ماهر طغى أكثر . . . والحقيقة يا اخوانا أن دي فضيلة الوفد . . . الدستور وحكم الشعب . وعلشان كده احنا النهار ده بنتكلم بقلب مفتوح مع فؤاد باشا باعتباره ممثل الوفد ، وبالعربي احنا عاوزين نتعاون باخلاص ، لأن تعاوننا مع الوفد يحل مشاكل كثيرة . . .

ومضى عبد الناصر يتحدث عن الأوضاع السائدة في مصر ، وأهمية الاستقرار للحركة وقال :

إن الطريقة الوحيدة للاستقرار هي أن نتعاون مع الوفد ، لأن الوفد هو أكبر تنظيم جماهيري ديمقراطي ، فيه المسلم والمسيحي ، والعامل والفلاح ، والغني والفقير ، يعني فئات الشعب المختلفة . . وطبعاً احنا علشان نسلم الأمانة للوفد ، لازم نكون مطمئنين الى أن قيادته فوق مستوى الشبهات . . صحيح أن أكثر زعماء الوفد مشهود لهم بالنزاهة والوطنية ، لكن برضه فيه قلائل يعرفهم الباشا جيداً ، واحد أو اثنين أو

ثلاثة أو أكثر ، الاشاعات حواليهم كثير . . . وأنا طبعاً مش عاوز أذكر أسماء لأنكم تعرفوهم أكثر منا . . وده السر في اننا بنقول إن الأحزاب تطهّر نفسها علشان الشعب يطمئن الى السياسيين اللّي في الحكم . .

وأنهى جمال عبد الناصر تحليله هذا بقوله :

« . . . أحب كمان أقول إن فيه ناس كثير من الملتفين حولنا الآن بيقولوا لنا أنتم لو عملتم انتخابات ، الوفد حينجح ١٠٠٪ طيب وما له لما ينجح الوفد ؟ ولكن بأه دول يهمهم الحكم الديكتاتوري ، ودول خصوم الوفد اللي الباشا عارفهم كويس . . . وأحب أقول كمان إن خصوم الوفد دول بيشيعوا في البلد اشاعات كثيرة ، خصوصاً بعد ما نجحوا في أنهم يخلو مجلس الدولة الذي أفتى بعدم دعوة آخر برلمان للموافقة على ما حدث . واحنا مالناش دعوة بالحكاية دي ، لأن أعلى سلطة في القضاء هي اللي قالت كده . وخصوم الوفد انتهزوا فرصة نجاحهم في الحكاية دي وبيشيعوا عننا اننا ضد الوفد . واحنا لا ضد الوفد ولا حاجة ، والا ماكناش عملنا الاجتماع ده .

وأحب أن أؤكد للباشا اننا جميعاً في مجلس القيادة بنحب النحاس باشا وبنعتبره زعيم كبير ووالد للجميع . . .

وكمان أحب أقول ـ مش لأن فؤاد باشا موجود ـ ان نزاهة فؤاد باشا ووطنيته فوق كل شبهة ، وان له فضل كبير على حركة الكفاح ضد الانكليز بعد الغاء المعاهدة . واعتقد أني أنا قلت كل حاجة بصراحة ونحب نسمع فؤاد باشا رأيه أيه في الكلام ده ؟

ورد فؤاد باشا شاكراً لجمال عبد الناصر واخوانه ثقتهم في النحاس وفيه ، وأردف بأن ما قاله جمال عبد الناصر هو كلام ممتاز وتحليل دقيق للأمور . . وقال انه يرجو أن يكون الوفد عند حسن ظن الشعب به ، وانه يرجو في ظل هذه الثقة أن يؤدي الوفد واجبه الوطني نحو قضية البلاد

مؤكداً أن الوفد يوافق على مشروع قانون تحديد الملكية الزراعية ، ويرحب بصدور مثل هذا القانون . وانه من الآن يوافق على المبدأ وسوف يقدم بما عسى أن يكون هناك من اقتراحات موضوعية لا تمس جوهر القانون حتى لا تنشأ صعوبات في التطبيق . . . وانه سيتحدث مع النحاس باشا في اقصاء بعض أعضاء الوفد والهيئة الوفدية ، لأن النحاس باشا ، بما له من سلطة أبوية على الجميع ، هو القادر على اقناعهم بأن يقصوا أنفسهم بالاستقالة ، أو أن يأمر باقصائهم . .

وتم الاتفاق على التعاون بين الوفد ورجال القيادة ، على أن يكون رائد الطرفين الصالح العام والصراحة الكاملة ، وان الوفد على استعداد لحضور أي اجتماع مع رجال القيادة لمناقشة أي أمر بناء على طلب أعضاء مجلس القيادة .

وانتقل الحديث بعد ذلك الى شخصية من يتولى رئاسة حكومة محايدة لاجراء الانتخابات بعد اخراج علي ماهر . وقال جمال عبد الناصر :

إن مجلس القيادة يرشح واحداً من اثنين : الدكتور السنهوري أو الدكتور وحيد رأفت .

وقال سراج الدين : انه يفضل الدكتور وحيد رأفت ، بالرغم من ثقته في السنهوري أيضاً .

وانفضّ الاجتماع ، حيث بدأت الأحداث تتعاقب بسرعة مذهلة أدت الى الوقيعة بين الوفد والقيادة . .



سراج الدين يرافع في محكمة الثورة



لقاء حار بين الملك فاروق والنحاس .



في آخر حفلات القصر : الملك فاروق يداعب الياس
اندرواس .. ومن خلفه الأميرة فايزة والأميرة فائقة مع المدعوين .

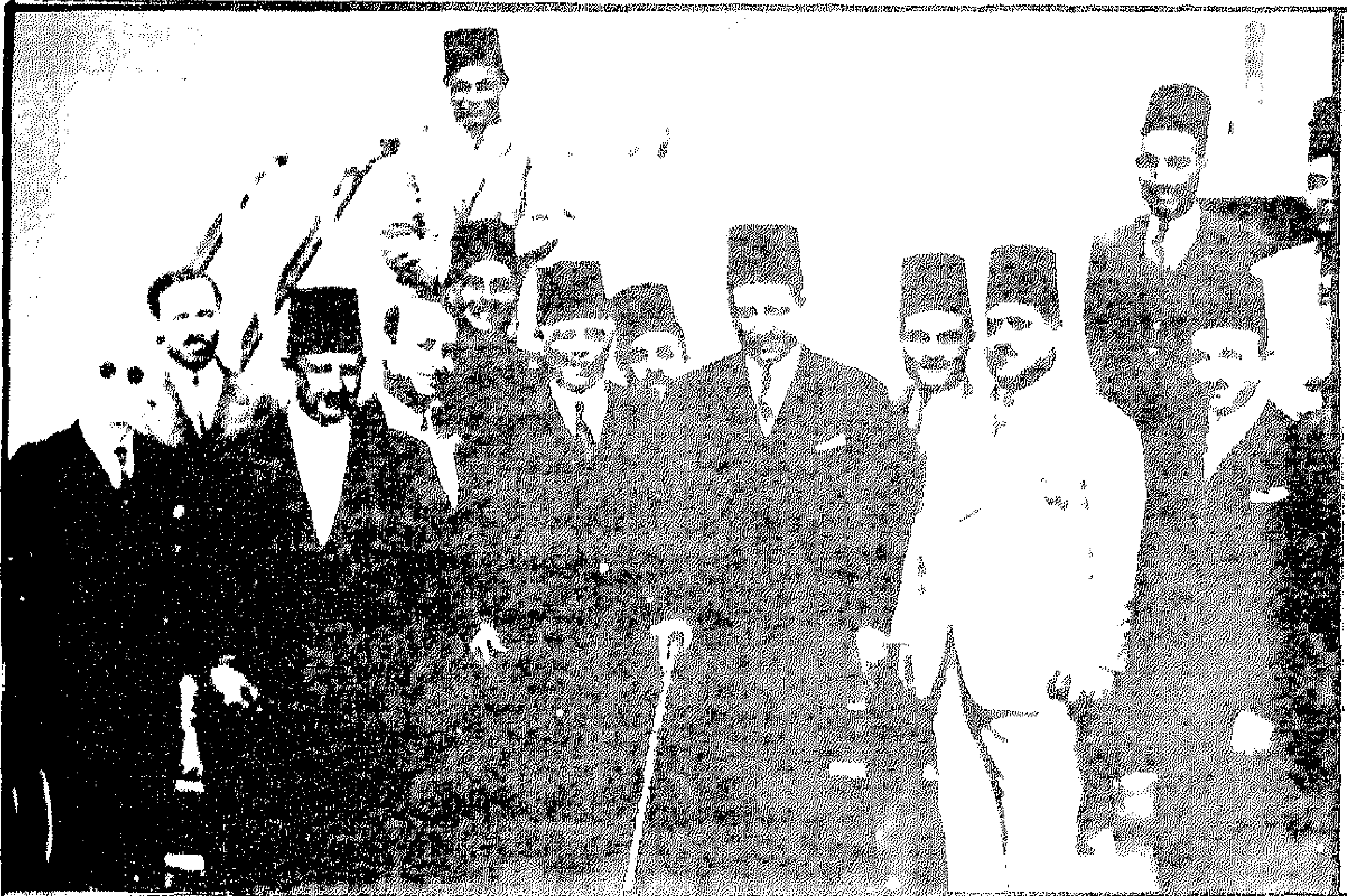


سراج الدين
حين تولى الوزارة
لأول مرة .





أول اجتماع لحركة الضباط الأحرار في مكتب الرئيس محمد نجيب



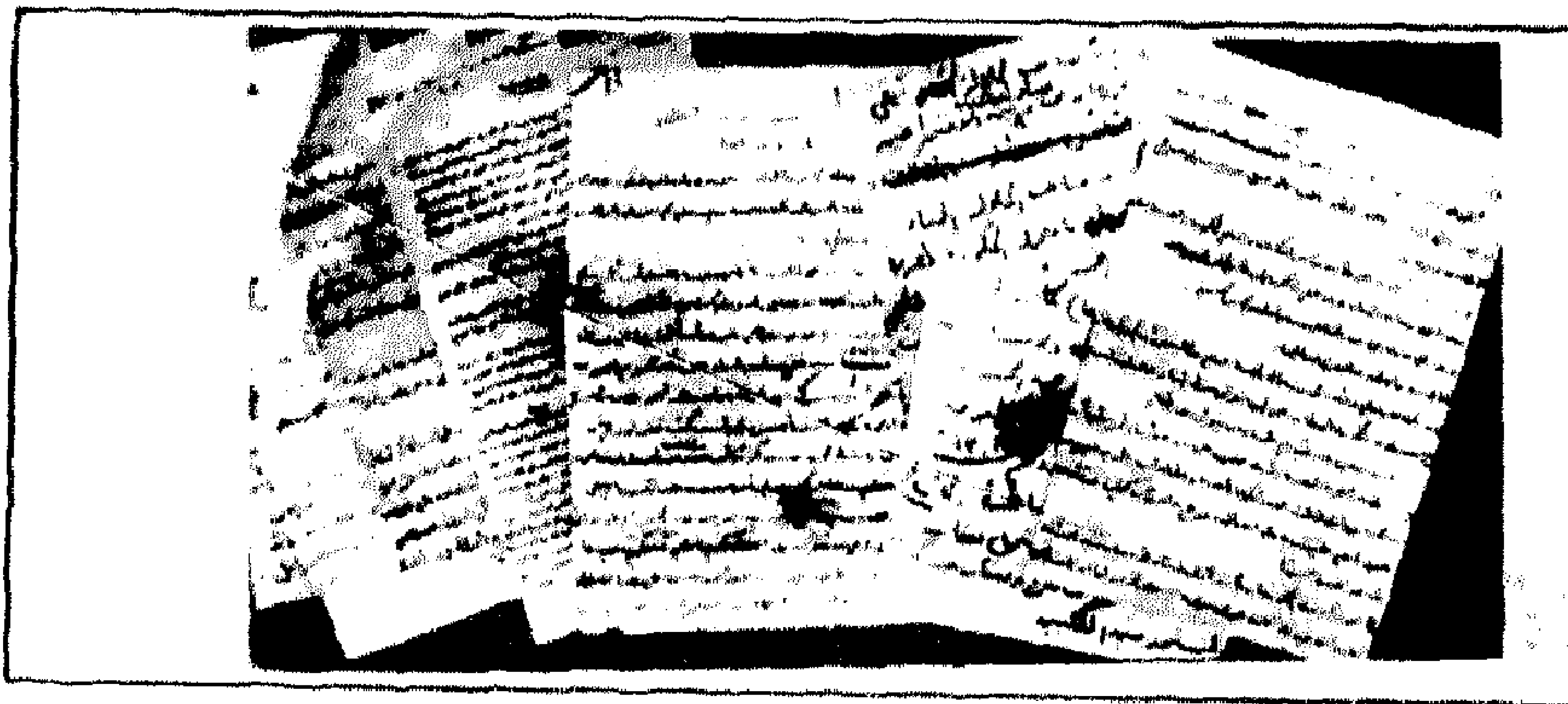
مصطفى النحاس ( الثالث من اليمين ) والى يمينه مكرم عبيد سكرتير الوفد مع سائر أعضاء الوفد المصري في مطار لندن عام ١٩٣٠ لبدء المحادثات مع بريطانيا لتأمين وحدة مصر والسودان . المحادثات أخفقت في البداية ، ولكن النحاس توصل الى معاهدة مع بريطانيا عام ١٩٣٦ ، ثم عاد فألغى المعاهدة بنفسه في أوائل الخمسينات .



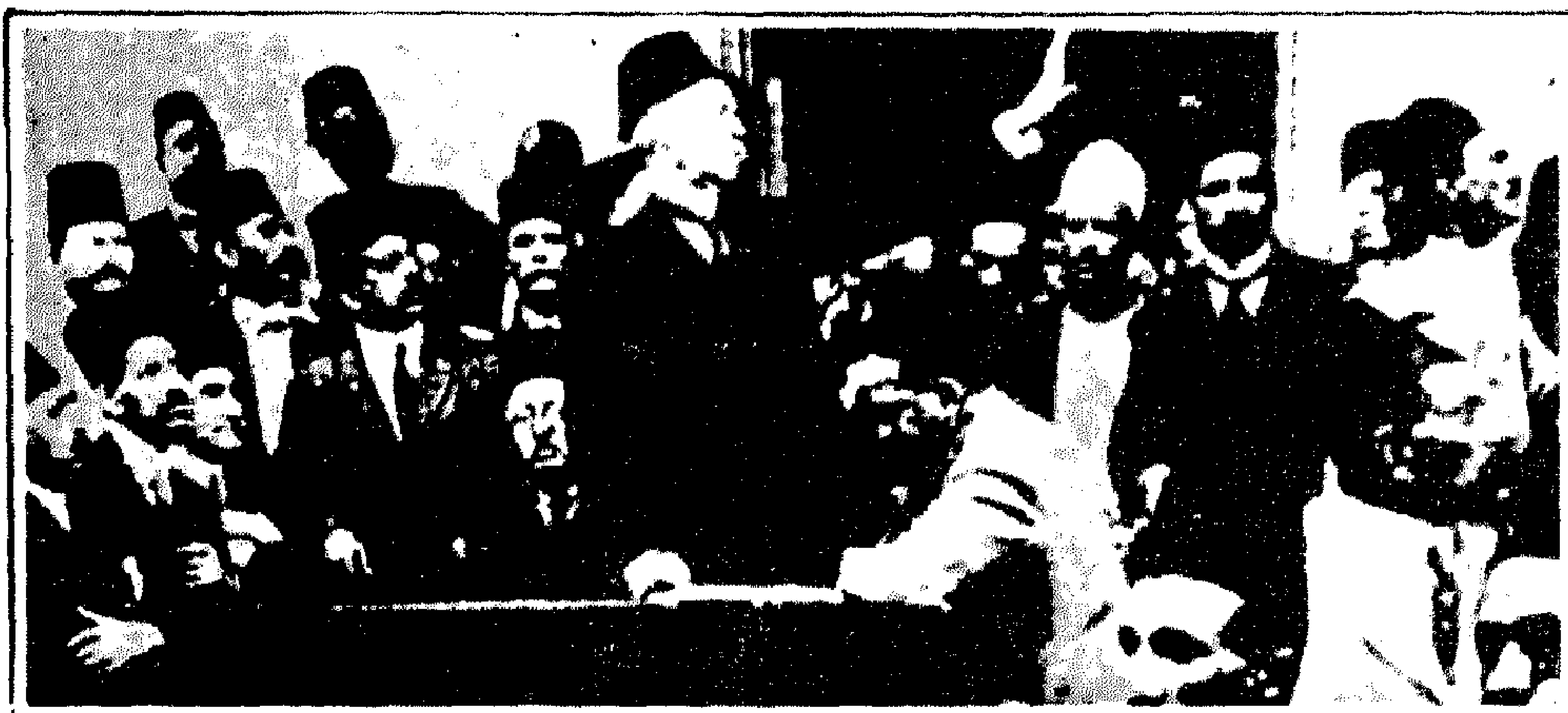
الدكتور عبد الرزاق السنهوري رشح لرئاسة الحكومة بعد علي ماهر ثم استبعد



الدكتور وحيد رأفت نائب رئيس حزب الوفد الحالي ، وقد سبق أن رشح لرئاسة الحكومة من قبل الثورة بعد علي ماهر ثم استبعد .



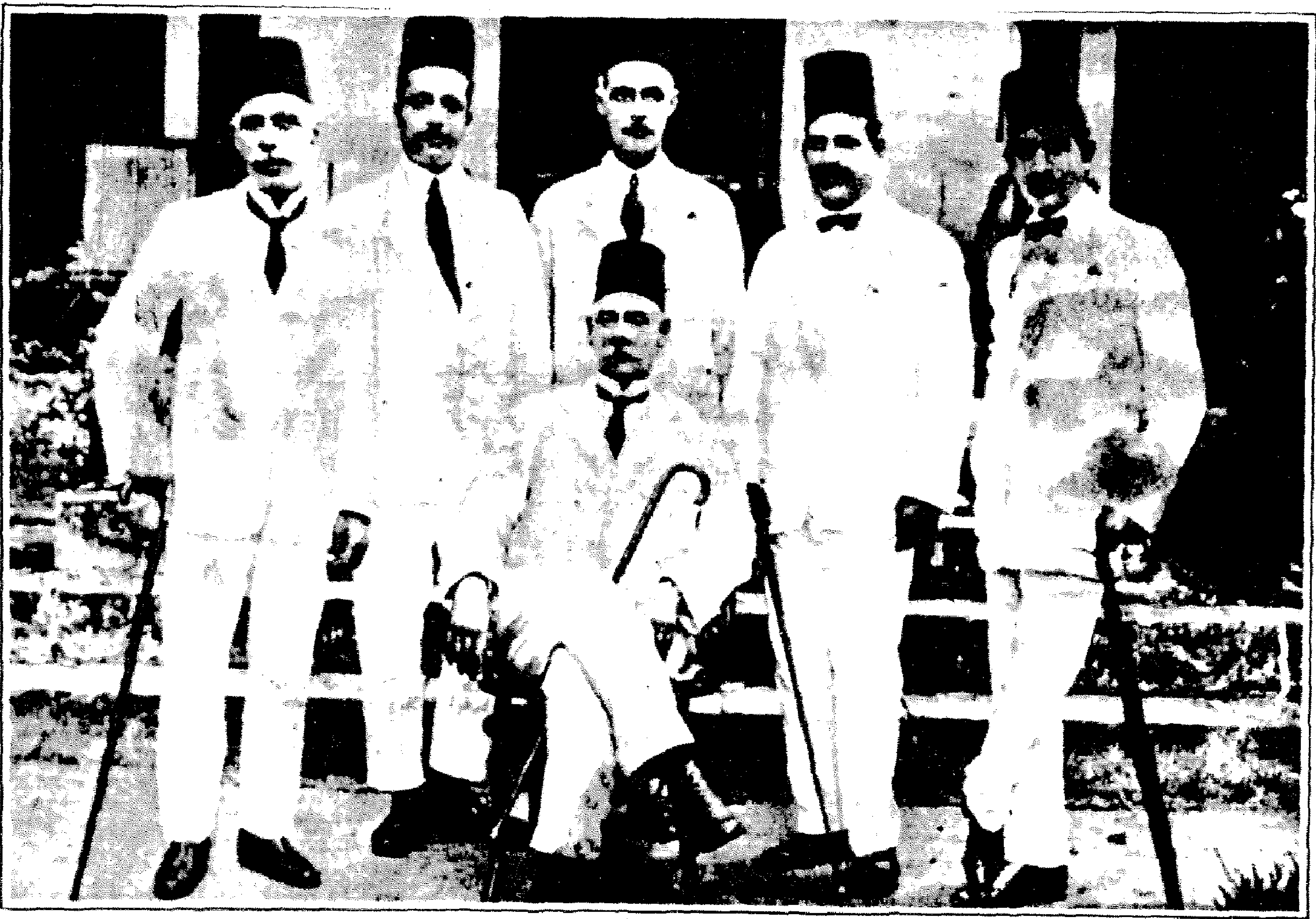
وثائق تاريخية هامة حول معاهدة ١٩٣٦ بخط مصطفى النحاس



صورة تاريخية لسعد زغلول وهو يخطب وحوله أقطاب الوفد وبدا مصطفى النحاس الى يسار سعد متكئاً على المنبر يسجل بعض الملاحظات .



صورة تاريخية تجمع النحاس ورياض الصلح وسعد الله الجابري



صورة تاريخية تجمع أعضاء الوفد المؤسسين

# جمال عبد الناصر وحزب الوفد

وفي اليوم المحدد للاجتماع الثاني ، وفؤاد سراج الدين في طريقه من الاسكندرية للقاهرة لحضوره قرأ خبراً نشره مصطفى أمين في ملحق ( آخر لحظة ) التابع لمجلة ( آخر ساعة ) وفيه يقول إن فؤاد سراج الدين قد صرح بأنه ( وضع ضباط القيادة في جيبه ) وتوقع فؤاد بعد قراءته للخبر الغاء الاجتماع وقد كان . . .

كان مصطفى أمين قد دسّ هذا الخبر ليبعد حزب الوفد عن الثورة ، وأدرك الرجل الغاية من نشر الخبر فسرعان ما أدلى سراج الدين بتصريح لجريدة المصري يوم ٦ سبتمبر ـ أيلول ١٩٥٢ قبل تولي نجيب الوزارة ، وقبل اعتقاله بأيام قال فيه :

« إن الوفد وافق على مبدأ تحديد الملكية الزراعية من حيث المبدأ وله ملاحظات وتعديلات على المشروع الذي نشر وقد سبق أن أبلغنا تلك الملاحظات الى الجهات المسؤولة في أسرع وقت . . . اننا وافقنا على المبدأ الذي هو من صميم المشروع ، أما ملاحظاتنا فهي مقصورة على التفاصيل فقط دون الجوهر . . .

بعد ذلك اعتقل فؤاد سراج الدين نتيجة الحملة التي شنتها عليه صحيفة أخبار اليوم . وهو في السجن صدر قانون تنظيم الأحزاب . . .

فقد كانت المعركة الرئيسية مع الوفد وحوله ، ذلك أن الأحزاب الأخرى لم تكن تشكل القوة الضاغطة . . . فجميع الأحزاب التي كانت قائمة قد تساهلت في موضوع الدستور ، ما عدا حزب الوفد وأمينه العام فؤاد سراج الدين الذي أرسل من سجنه استقالته من الوفد ومن مجلس الشيوخ قال فيها للنحاس : « انني أستقيل اخلاصاً للوفد ولشخصكم » . .

وتنفيذاً لقانون الأحزاب أصدر الوفد برنامجه يوم ٢١ سبتمبر ١٩٥٢ باعتباره « هيئة سياسية ديمقراطية اشتراكية لتحقيق الاستقلال والوحدة ورفض جميع صور الدفاع المشترك . . . » .

ونص البرنامج على ما يأتي :

- التمسك بعروبة فلسطين .
- دعم مجموعة الدول الافريقية والآسيوية وتأييد سياستها في الدفاع عن قضايا الحرية .
- اقرار حد أدنى للأجور عموماً ، وللعمال الزراعيين خصوصاً .
- صدور قانون معاقبة الوزراء .
- صدور قانون التأمين الاجتماعي للعمال وتعميمه .
- استصدار قانون تأمين صحي للعمال وأفراد أسرهم .
- تجديد القرية المصرية خلال عشرين عاماً .
- حد أدنى لأجر العامل الزراعي .
- الانتهاء من تعميم المياه الصالحة للشرب خلال خمس سنوات طبقاً لمشروع وزارة الوفد الذي أقرته عام ١٩٥١ .
- جعل التعليم الديني اجبارياً .
- تحريم الخمر والميسر .
- الموافقة على مشروع تحديد الملكية باعتباره يهدف للعدالة الاجتماعية ويقرب بين الطبقات .

وتشاء الصدف أن يشترك في الهجوم على الوفد صحف ( أخبار اليوم ) والصحف الأمريكية ، فقد اتهمت هذه الصحف النحاس بالتطرف . . فكيف التقت صحف « أخبار اليوم » مع الصحف الأمريكية ؟

تجمع أعداء الوفد حول الثورة ، ورغم البيان الذي أصدره مصطفى النحاس بالقبول بأن يكون زعيماً شرفياً للوفد ، فإن أعضاء الوفد اجتمعوا وأصدروا يوم ٢٧ سبتمبر البيان التالي :

« نظراً لما صح في يقين الوفد المصري من أن المقصود هو محاربة الوفد ومحاولة هدمه والتخلص منه قرر الوفد المصري باجماع الآراء ألاّ يقدم الى وزير الداخلية إخطاراً باعادة تكوينه » . .

لقد شعر زعيم الوفد مصطفى النحاس منذ اعتقال فؤاد سراج الدين بأن الثورة تناصب الوفد العداء لتمسكه بالدستور ، فضم الى هيئة الوفد محمد صلاح الدين وابراهيم فرج الذي عين أميناً للوفد مؤقتاً لحين الافراج عن سراج الدين الذي لم تقبل استقالته . . .

وكتبت « المصري » مقالاً افتتاحياً يقول :

« الشعب الذي يحبك يقول : عاش النحاس زعيم الشعب ، ولا وفد إلا برئاسة مصطفى النحاس . . . » .

كان مجلس الدولة حتى هذه اللحظة يعتبر سنداً للحريات والديمقراطية . . . لهذا قدم ٢٥ من المعتقلين السياسيين قضية أمام مجلس الدولة لبطلان قرار الاعتقال ، وكان الرد هو حبسهم انفرادياً . . .

وتشكلت محكمة الثورة برئاسة قائد الجناح عبد اللطيف البغدادي ، وحددت اقامة مصطفى النحاس وزوجته السيدة زينب الوكيل . . .

كانت هذه المحكمة موجهة أساساً ضد الوفد ، وكانت محاكمة فؤاد

سراج الدين هي أطول المحاكمات اذ استمرت ٤٥ جلسة . . .

ولكن لماذا قدمت ثورة ٢٣ يوليو فؤاد سراج الدين للمحاكمة ؟

هنا لا بد من التوقف قليلاً عند هذا السؤال الكبير . . . طالما أن الحديث يتناول أحد أركان الوفد المصري في تلك الحقبة وهو الاستاذ فؤاد سراج الدين .

كنت بحكم عملي الصحفي أتردد كثيراً على القاهرة ، وكانت علاقتي بالمرحوم صلاح سالم جدّ وثيقة . . ولم يكن من السهل على أي صحفي معرفة الأسرار . . . وبسبب علاقتي بالصاغ سالم وبغيره من الضباط الأحرار تحولت الى مركز لتجميع الأسرار ، هذه الأسرار التي تكاد تكون محجوبة عن الأنظار في تلك الأيام . . . ولعلّ من أبرز هذه الأسرار في ذلك الحين حقيقة علاقة الثورة بحزب الوفد . . .

مصطفى النحاس ، حددت اقامته في منزله ، وكذلك فؤاد الدين ، قبل تقديمه الى المحاكمة . . كانت اقامته محددة في منزله المواجه لمنزل النحاس . . . وابراهيم فرح الابن الروحي للنحاس في السجن نفاذاً للحكم الصادر ضده ، ومحمود سليمان غنام رجل الوفد الطيب لزم بيته بعد الحكم عليه بالسجن ١٥ سنة مع ايقاف التنفيذ . . .

وقد سمعت الصاغ صلاح سالم يردد أمامي عبارة قالها جمال عبد الناصر أمام رفاقه وهي :

« ان النحاس راجل طيب ، واللي ييجي عليه ما يكسبش » .

ولذلك ، لم تستطع الثورة بكل ثقلها تقديم مصطفى النحاس للمحاكمة ، أو توجيه أي ادعاء ضده . . حتى أن أمر اعتقال النحاس في منزله لم ينشر في الصحف ، ذلك أن الثورة لو أساءت الى هذا الزعيم الشامخ ، ما كانت لتطمئن الى عاقبة الأمور . . . فقد كانت الثورة تخشى

أن تتحين جماهير الوفد أية فرصة للظهور ، وربما للانقضاض عليها اذا جد من الأمور ما يتيح لها ذلك . . .

في هذه الأيام المضطربة بدا في أفق السياسة المصرية أن أحداثاً خطيرة سوف تتمخض عنها الأيام القادمة ، أهم هذه الأشياء ان الثورة كانت قد بدأت تستعد لمفاوضة الانكليز من جديد بخصوص الجلاء ، وذلك بعد أن توسطت الولايات المتحدة الأمريكية لعودة المفاوضات بين الطرفين بعد اعلان توقفها بضعة أشهر .

وهذا هو الذي دفع مصطفى النحاس الى الخروج من عزلته ، ومهاجمته الثورة لأول مرة . . . سواء في الخطاب الوطني الذي ألقاه في ضريح سعد زغلول في يوم ذكراه ، أو عندما أدى صلاة الجمعة في مسجد أبي العباس بالاسكندرية . . . وقد ظهر جلياً لجمال عبد الناصر بالذات ( وفق رواية صلاح سالم ) أن الجماهير العريضة لا تزال على ولائها للرجل وايمانها بزعامته . .

وما دامت الثورة مقبلة على أشياء لها خطرها كعودة المفاوضة مع الانكليز وابرام معاهدة بخصوص الجلاء ، فمن مصلحتها ألاّ يرتفع صوت بالنقد أو المعارضة . . . وبدلاً من أن تترك الثورة الفرصة للناس لكي يهاجموا الثورة ، لمفاوضتها مع الانكليز ، بادرت هي لاشغالهم بتقديم قوافل السياسيين للمحاكمة . . . وكان من أخطر هؤلاء فؤاد سراج الدين . . .

ولم تكن خطورة الرجل تتمثل في أنه كان أميناً عاماً لحزب الوفد المصري ، أو وزيراً للداخلية والمالية في عهد حكومته ، ولكنه لأنه كان أهم شخصية في هذا التجمع الوطني .

. . انه الرجل الثاني في الوفد . . . ولا أذيع سراً إذا قلت هنا بأن جمال عبد الناصر ظل طوال حياته يرقبه بحذر . . . فاذا كان جمال عبد

الناصر قد استمد قوته في بداية الثورة من القوات المسلحة بعد أن عصف بالدستور الذي كان يجد فيه الناس ملاذهم وأمنهم ورجاءهم . . . فان فؤاد سراج الدين كان الرجل الثاني لثورة قديمة قادها الشعب سنة ١٩١٩ وظلت تسير بقوة الاندفاع الذاتي ، رغم ما اعترضها من انتكاسات ، مستندة الى ضمير الشعب ووجدانه . . . حتى جددت شبابها سنة ١٩٥١ باعلان الكفاح المسلح ضد الاحتلال . . . وجمال عبد الناصر يعلم حقيقة العلم أن سراج الدين حمل العبء الأكبر في هذا المضمار عندما ارتفعت به الأحداث الى مكان الزعامة الثانية للحزب ، على أساس أن الزعامة الأولى هي للنحاس ( زعيم الأمة ) .

وأجدني هنا مسوقاً لكي أكشف النقاب عن واقعة سمعتها من المرحوم صلاح سالم ، وآمل أن نقرأ تفاصيلها في مذكرات فؤاد سراج الدين . . . وليعذرني الرجل اذا سمحت لنفسي بروايتها هنا بعد أن تأكدت من صحتها . . .

حدث أثناء العدوان الثلاثي على مصر أن عقدت هيئة قيادة الثورة اجتماعاً بكامل أعضائها جرى فيه البحث حول أهداف العدوان وضرورة التصدي لها . . . وفي هذا الاجتماع جرى صدام مباشر بين جمال عبد الناصر وصلاح سالم حين طلب الأخير من جمال عبد الناصر الاستقالة وتسليم نفسه للسلطات البريطانية . . . وقد تم الاتفاق بعدها على تقسيم أعضاء مجلس الثورة الى ثلاثة أقسام ، الأول يترك مصر ويسافر الى السودان لقيادة الثورة من هناك ، والثاني الذهاب الى الأرياف للاشراف على مسيرة الثورة الشعبية ، والثالث الاختفاء داخل القاهرة للبقاء في ساحة الصراع . . . وحين سأل البكباشي أحمد أنور مدير البوليس الحربي آنذاك عن المكان الذي سيختبىء فيه قسم البقاء في القاهرة أجاب جمال عبد الناصر :

« المكان هو منزل فؤاد سراج الدين ، فهذا الرجل على رغم ما بيننا

وبينه ، فانه المؤهل وطنياً وتاريخياً لكي يتصدى للاحتلال البريطاني الجديد » . . . وذهب أحمد أنور الى منزل سراج الدين واجتمع به وأطلعه على قرار مجلس الثورة فرحب به وأعلن أنه «سيقود مرحلة الكفاح ضد المحتل مهما بلغت التضحيات . . . » ومن المفارقات أن جمال عبد الناصر اعتقل سراج الدين بعد فشل العدوان . . .

ولعلّ مواقف الرجل الوطنية هي التي جعلتني أحرص على حضور بعض جلسات محاكمته، هذه الجلسات التي كانت الثورة ترهبها، وكان جمال عبد الناصر يظل ساهراً الى أن تأتيه التفاصيل من حسين الشافعي . . . فهو يعلم أكثر من غيره أنه لم يكن في سلوك سراج الدين كانسان أو كحاكم ثغرات يمكن النفاذ اليه من خلالها . . . كما أن جمال عبد الناصر كان يرهب أن تنتهي المحاكمة الى نتيجة عكسية قد تكون سبباً في أن يستعيد فؤاد المزيد من شعبيته أمام الرأي العام ، ويثبت من المحاكمة سلامة الديمقراطية في عهد حكومات الوفد ، وسلامة موقفها من الانكليز والملك ، وخاصة من الأقباط الذين انصهروا في الحركة الوطنية تحت زعامة سعد ومن بعده النحاس .

كما أن جمال عبد الناصر كان يخشى من نتائج المحاكمة ، خصوصاً مع رجل مثل سراج الدين لا يزال يملك رصيداً كبيراً من الشعبية ، وهو فوق ذلك ثالث ثلاثة حملوا على أكتافهم عبء الغاء المعاهدة ، واعلان الكفاح الشعبي المسلح ضد قوات الاحتلال . . . هؤلاء الثلاثة هم :

« مصطفى النحاس ، فؤاد سراج الدين ، محمد صلاح الدين » .

ومن أجل هذا عارض بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة في اجتماعاتهم، مجرد التفكير في محاكمة سراج الدين ، خاصّة ، جمال عبد الناصر لأنه يعلم دور سراج الدين أيام التصدي لطغيان السراي ، ودوره في الكفاح الوطني ، وقد سبق لسراج الدين أن بسط حمايته على العديد من

الضباط الأحرار أيام حكومات الوفد ، وكان يضغط لاعادة السادات الى الجيش حين كان السادات يفصل بسبب نشاطاته الوطنية . .

ومن المفارقات التي ما تزال بحاجة الى تفسير أن جمال عبد الناصر لم يكن من بين أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين أشاروا بمحاكمة سراج الدين ، بل كان يعارض في هذا الاجراء ، فقلة من أعضاء مجلس القيادة هم الذين طالبوا بتقديم سراج الدين للمحاكمة . . . وهذه القلة لم تكن فعّالة في حينه . . .

وليس غريباً أن يرهب معظم أعضاء مجلس الثورة تقديم سراج الدين للمحاكمة ، فقد كان أصغر أعضاء الوفد سناً ، وأكثرهم نشاطاً وحيوية ، وكان أقربهم الى قلب مصطفى النحاس ، ومع ذلك فانه كان يتمتع بذكاء خارق وذاكرة حديدية صافية ، وأعصاب هادئة ، وشعبية كبيرة . . .

انه يعرف جميع عائلات مصر . . . بتكوينها الطبقي والاجتماعي ، ويعرف رؤساء هذه العائلات وميولهم السياسية والاجتماعية ، وعاداتهم ، وتقاليدهم ، وما يرضيهم أو ينفرهم . . .

. . يعرفهم من أقصى الصعيد ، الى الاسكندرية وبور سعيد . .

كان يملك المال والنفوذ ، لقد لمع نجمه فجأة حينما اختاره مصطفى النحاس وزيراً للشؤون الاجتماعية في سنة ١٩٤٢ لأول مرة . . لم يكن معروفاً قبل ذلك بين جمهرة الناس ، الا أنه أحد أبناء الذوات . . . لقد ترك منصبه القضائي المرموق لكي يشرف على زراعة الأراضي الكبيرة التي كانت تمتلكها الأسرة . . وذهل الناس حينما حقق هذا الوزير الشاب نجاحاً اسطورياً في وزارة الشؤون الاجتماعية التي أنشأها وأرسى قواعدها . . . لم يكن أحد يتوقع هذا النجاح من شاب يتولى الوزارة لأول مرة ، فقد كان العهد الآ يتولاها الا رجال قد اشتعلت رؤوسهم شيباً . ويوالي سراج الدين انتصاراته بجهده وذكائه واستقامته . . . لقد أصبح

هـذا الفلاح الشـاب المع نجـوم الوزارة الحـاكمة ، تـولى وزارة الـداخليـة فأدارها بكفاءة نادرة ، واستحـوذ على ثقـة جميع أجهـزتها المعقـدة . . . ثم عهد اليه مصطفى النحاس بأن يتولى عنـه منصب الحاكم العسكـري العام في أخطر السنوات التي مرت بمصر أثناء الحرب العالمية الثانية . . . ونجـح في ذلـك نجاحـاً انتزع اعجـاب الخصوم قبـل الأصدقـاء ، والأعداء قبـل الوفديين . . .

كان أصغر أعضاء الوفد المصري ( أعلى هيئة في الحزب ) سناً . .

وفجأة ، بعد أن ترك مكرم عبيد أمانـة الوفـد ، والوفـد نفسه ، قفـز فؤاد سراج الدين الى هذا المنصب الخطير . . لقد كانت أمانة الوفـد أخطر منصب سياسي شعبي في مصر كلها . . وقد تولى هذه الأمانة بموافقة جميع أعضائه وكانوا جميعاً أكبر منه سناً ، وأقدم في الانتماء .

لم ينجح الرجل في ادارة الوزارات الحسـاسة التي وليهـا فقط ، ولكنه نجح أيضاً كأمين عـام للهيئة السيـاسية الكبيـرة في اجتذاب عـدد كبير من خصوم الوفد التقليديين الى صفوف الوفد ، وخصـوصاً الشبـاب . . وكان من المسلم به أن فؤاد سراج الدين هو الخليفة المنتظر للنحاس ، وقد شهد للرجل بالكفاية كبار قادة الثورة ومنهم جمال عبـد الناصر . . ولكن الثورة هي الثورة ، فلما اتسعت الهوة بين الثورة والـوفد ، وأصبـح الخلاف بينهـما أمراً واقعاً ، بدأت الثورة في هدم قلاع هذا الحزب الكبير ، مستخدمـة في ذلك كل ما تملكه من نفوذ وقوة . .

وبمـا أن الثـورة قـد استبعـدت نهائيـاً محـاكمـة النحـاس ، لم يبق الاّ فؤاد . . الرجل الذي يعتبر تجاهله ضعفاً من الثورة . !

وعرف سراج الـدين من خلال الهجـوم المركـز عليه من قبـل صحف ( أخبار اليوم ) أنه سيقدم الى المحاكمة ، وصدرت الصحف صباح الاثنين ٧ ديسمبر ( كانون أول ) ١٩٥٣ والخبر الـرئيسي بها تقـديم سراج الـدين

لمحكمة الثورة بعد يومين والادعاءات المقامة عليه .

وكان الرجل قد قرر أن يتولى هو الدفاع عن نفسه ، وأخذ يتصفح التهم التي وجهت اليه ، فوجد أكثرها ليست له بهاأية صلة ولا يعرف عنها شيئاً . . . .

في يـوم الأربعاء ٩ ديسمبر ـ كـانـون اول ـ بـدأت محـاكمـة الـرجـل الكبـير ، ولم تنته الا في يـوم السبت ٣٠ ينايـر ـ كانـون الثـاني ـ ١٩٥٣ ، حيث استغرقت المحاكمة حوالي شهرين كانت تنعقد خلالهـا المحكمة كـل يـوم تقريبـاً . . صمد فؤاد سـراج الدين أمـام المحكمة كـأروع ما يكـون الصمود ، ودافع كأشرف ما يكون الدفاع . . لقـد أرادت الثورة أن تـدين الوفد في شخصـه . . . كان المقصـود أن يغتال فؤاد سـراج الدين اغتيـالاً سياسياً ، وعلى يد الشهود الذين كـانوا من ألـدّ أعداء حـزب الوفـد . . . وأثبت الرجل أنه كان على مستوى المسؤوليـة السياسيـة كأمـين لأكبر هيئـة سيـاسية في البـلاد . . . كما ثبت من المحـاكمة أنـه كان من أكـثر الوزراء اقتداراً على تسيير الأمور في الوزارات التي تولى مسؤوليتها . . .

كما ثبت للناس هذه المرة أن اختيار مصطفى النحـاس له في المنـاصب السياسية أو الوزارية التي وليها لم يكن وليد الصـدفة أو بسبب الاستلطاف أو الصداقة ، ولكن كان ذلك بسبب قدرته ومواهبه وطاقته .

لقـد تحولت سـاحة المعـركة الى حلبـة صراع بـين سراج الـدين وبين خصومه الـذين حاولـوا تجريحـه والنيل منـه ، ولكنه ، وبمنتهى البسـاطة ، صرعهم جميعاً وعراهم من أحقادهم . . . لهذا فرض الرجل احترامه عـلى الذين حاكموه ، وحتى الذين جلبتهم الثورة ليكونوا ( الكورس ) المؤيد لها أثناء المحاكمة تحولـوا الى معجبين بـالرجـل وبقدرتـه على ممـارسة كبـريائـه الأصيلة . . .

في أثناء المحاكمة ، يوجه له البغدادي رئيس المحكمة القول :

ـ المحكمة تريد أن تخرج من هنا وأنت طاهر الذيل . !

وعندما يحاول الرجل أن يتحدث في موضوع مالي أثاره الادعاء . . يطلب منه رئيس المحكمة التجاوز عن الحديث في هذا الأمر ، لأن نزاهته ليست موضع شك ، وأن المحكمة لن تحكم بأي تعويضات مالية . !

واذا رفعت الجلسة للاستراحة ، يهرع الصحفيون اليه يصافحونه ويقبلونه ولسان حالهم يقول : فليسعد النطق ان لم يسعد الحال . . ! حتى الصحفيين الذين كانوا يمثلون صحفاً عرف عنها الخصومة الملحة للرجل وحزبه لم يستطعوا كتم عواطفهم تجاه المتهم البريء . .

لقد استطاع أمين الوفد أن يقدم كشف حساب عن جميع أعماله خلال السنوات العشر السابقة للثورة والتي تربع فيها على قمة العمل السياسي في مصر . . سواء كان في الحكم أو المعارضة . . . وصحت نبؤة جمال عبد الناصر حين قال : ( فؤاد حيكسب كثير من المحاكمة ) . . وفعلاً كسب كثيراً من تقديمه الى المحاكمة السياسية أمام محكمة الثورة . . . صحيح أن المحكمة قد أصدرت في النهاية حكماً بسجنه ١٥ سنة ، الا أن هذا الحكم كان حكماً سياسياً . . . وكان يخالف حكم الناس ، كل الناس . . . فبعد أن كان بعض الناس يشكك في قدرة الرجل ، أثبتت المحكمة من خلال الحوار أنه أهل للثقة التي أولاه اياها حزب أوسع الجماهير . .

لقد كشفت المحاكمة أن فؤاد سراج الدين كان يقرض الحكومة من ماله الخاص عشرات الألوف من الجنيهات لعمل مشروع حيوي لا يحتمل التأجيل لحين صدور الميزانية واقرارها ، ويستردها بعد ذلك . . . ثم يتضح أنه اقترض المبلغ من المصرف بضمان مركزه المالي الوطيد . . .

أما اتهام الرجل بانه كان يهادن الانكليز أثناء توليه الوزارات ، فقد كان من أبرز طلبات الدفاع ، طلب خاص بكتاب كانت السفارة

البريطانية قد أرسلته الى وزارة الخارجية المصرية في عهد حكومة علي ماهر التي أعقبت حكومة الوفد بعد اقالتها اثر حريق القاهرة وطلبت فيه اعتقال فؤاد سراج الدين وآخرين ومحاكمتهم ، ولكن علي ماهر لم يرد على هذا الخطاب . . فلما استقال علي ماهر وتولى نجيب الهلالي رئاسة الحكومة استجاب الى هذا الطلب وأمر باعتقال سراج الدين . . .

وأثناء محاكمة الرجل وقف الدكتور محمد حسين هيكل ( رئيس مجلس الشيوخ وأحد خصوم الوفد ) كشاهد ادعاء وقال :

« إن هناك اثنين تفخر بهما الحياة النيابية في مصر ، أحدهما « يوسف الجندي » وقد توفاه الله ، والثاني هو « فؤاد سراج الدين » .

قبل أن تصدر المحكمة حكمها على سراج الدين فوجىء الرجل بدخول الصحفي ( مصطفى أمين ) الى غرفته بالمعتقل حاملاً رسالة من أعضاء مجلس قيادة الثورة تقول انهم على استعداد للافراج عنه اذا تنازل عن قضيته أمام مجلس الدولة بأن اعتقاله لم يكن قانونياً . . . ولكن فؤاد سراج الدين رفض فكرة التنازل قائلاً :

« اذا أفرجوا عني سقطت القضية وأنا لا أساوم على حريتي » .

كانت محكمة الثورة تنعقد خلف باب رفعت عليه هذه الآية :

﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ . . . وكان زكريا محي الدين يمثل مكتب الادعاء ، وكان المتهمون يواجهون المحكمة بلا تحقيق ، ويوجه الادعاء التهمة كنوع من المفاجأة . . .

كانت المفاجأة المذهلة حين صدر الحكم على فؤاد سراج الدين وجاء في الحيثيات :

« المحكمة تعيب وتأسف على موقف الحكومة الوفدية التي كان فيها فؤاد سراج الدين وزيراً للداخلية ، الموقف المرتجل من معركة التحرير

بالقناة وعدم الاستعداد لها » . . . وهكذا تحول الموقف الذي يستحق الفخر في تاريخ الوفد . . . الى موقف يجلب له العيب والأسف . .

ومن مفارقات هذه المحكمة أن التهمة التي وجهت الى ابراهيم فرج هي الاتصال بدولة أجنبية . . .

ولأنني أعرف حقيقة هذه التهمة وكنت شاهداً عليها ، أرويها للتاريخ .

كان الزعيم الهندي « جواهر لال نهرو » قد أرسل رسالة حملها السفير الهندي يطلب فيها مقابلة مصطفى النحاس أثناء زيارته لمصر بدعوة من جمال عبد الناصر . . . ولما حاول النحاس الاعتذار عن عدم المقابلة منعاً للحرج ، أبلغه السفير بأنه اذا لم تتم الزيارة فان نهرو لن يقبل الدعوة . . .

وكان النحاس قد التقى بنهرو قبل ذلك مرات ، ولذا كان نهرو حريصاً على أن يظهر في مظهر الوفاء للزعيم الذي احتل مركزه عن طريق الديمقراطية التي يؤمن بها نهرو ايماناً راسخاً والتي كانت موضع حديث دائم بينه وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة في كل مناسبة كان يلتقي بهم فيها . . .

وصل نهرو الى القاهرة بعد قيام الجمهورية بخمسة أيام . . . وقبل أن يتوجه الى السلام على رئيس الجمهورية والوزراء قام بزيارة مصطفى النحاس في منزله ، وكنا ثلاثة صحفيين في رفقته من المطار الى منزل النحاس .

لم يكن النحاس يتوقع الزيارة ، وكان قد أصيب بأزمة نفسية جعلته يمتنع عن استقبال أحد .

قال نهرو وهو ينحني أمام النحاس بالسلام الهندي :

« . . . لا أنسى علاقتك بوالدي موتيلال ، وإنني أعتبر الحركة الوطنية في الهند ابنة الحركة الوطنية التي قادها حزبكم العظيم ، حزب الوفد تحت قيادتكم » . .

أجاب النحاس :

« . . إنني سعيد لأنني عشت حتى اليوم الذي أعلنت فيه الجمهورية بمصر . . . وأنا لا أخفي عليكم بأنني أكره الحكم العسكري وأرى من واجبي مقاومته حتى يعود الدستور والديمقراطية والحرية » .

هذه هي التهمة التي حوكم بموجبها « عضو الوفد » ابراهيم فرج . . . والتي حكمت عليه المحكمة بسببها لأنه كان على اطلاع بهذه الاتصالات الأجنبية التي جرت بين نهرو والنحاس ولم يبلغ السلطة بذلك . . .

وحدث أن ذهب بعض أصدقاء فؤاد سراج الدين إلى أعضاء مجلس الثورة وذكرهم بمواقف سراج الدين منهم ، يوم أعاد بعضهم الى الجيش رغم معرفته بنشاطاتهم « الثورية » . . . وكانت للرجل صلات وثيقة مع العديد من أعضاء مجلس الثورة سيأتي الحديث عنها في مذكراته . . . وقد التقوا بكلمات مجاملة أو اعتذار عن عدم المقابلة ، عدا جمال عبد الناصر الذي صارحهم بأنه لا بد من الحكم عليه ، وانه لا بدّ من التصديق على الحكم قائلاً لهم :

« إن فؤاد سراج الدين كرجل سياسي يعرف لماذا حكم عليه . . . ومتى سيخرج » . !!

والذي علمته من صلاتي بصلاح سالم وجمال سالم أن هناك سببين لموقف الثورة من الرجل ، احدهما خارجي وهو عودة الأحزاب في سورية بعد الاطاحة بحكم أديب الشيشكلي ، والسبب الثاني داخلي يتعلق بتاريخ الرجل السياسي والنضالي . . . ولا أستطيع الآن البوح بما سمعته من الرجلين عن سراج الدين ، فقد كانا يؤكدان خطره اذا خرج من السجن

بريئاً . . . فالنحاس قد كبر ولم يعد بامكانه قيادة النضال السياسي من جديد ، أما سراج الدين فهو وريثه ، لهذا لا بد من الحجز عليه مؤقتاً . . .

كانت الأحزاب في سورية قد توقف نشاطها أربعة أعوام منذ عام ١٩٤٩ ، ولكنها عادت للتشكيل فوراً بعد القضاء على الشيشكلي . . . وهو الأمر الذي كان يؤرق رجال الثورة بصفة عامة ، وجمال عبد الناصر بصفة خاصة . . . لأنهم كانوا يدركون أن مجرد وجودها يشكل خطراً على سلطتهم في لحظة زمنية معينة تحت ظروف مؤاتية . . .

وهكذا بعد أن كانت تجربة سورية تبعث الحذر من تكرار الانقلابات العسكرية . . . أصبحت تبعث الحذر أيضاً من عودة الأحزاب السياسية . .

أفرج عن فؤاد سراج الدين بعد ذلك ، ولكنه سرعان ما عاد الى السجن بتهمة جديدة . . . ولكنها هذه المرة لا تتعلق بسوء الاستعمال للسلطة ، بل بسوء الاستعمال لشيء آخر . . .

لقد قبض على الرجل بتهمة الضحك في محل عام .

نعم ، لقد شوهد وهو يضحك . . . هكذا اتهموه . . . والغريب أن هذه الواقعة كاذبة من أساسها . . .

كان فؤاد سراج الدين يحدثنا في مطعم ( الروشة ) عن الأيام التي عاشها في ظل الثورة وكأنه يسرد قصة لا يمل السامع من سماع دقائقها مهما طال الوقت . . . قال :

« . . . سجنت في عهد الثورة ست مرات خلال ١٨ عاماً ، بلغت أيامها ( ١٠٨٠ ) يوماً . عشت خلالها منقطعاً عن الدنا تماماً ، ولا يمكنني أن أنسى ما حييت أنني سجنت مرة لأنني ضبطت وأنا أضحك فقادوني الى

السجن متلبساً بهذه التهمة » . .

وسألته :

ـ وكيف كان ذلك ؟

هذا السؤال الذي رميته أمام الرجل دفعه لأن يروي لي القصة . . قال :

« رن جرس الهاتف في مكتب وزير الداخلية البكباشي زكريا محي الدين ، فأمسك بالسماعة ليسمع من يخاطبه بقوله :

ـ انت قاعد بمكتبك وفؤاد باشا قاعد بنادي الجزيرة بيضحك ؟

ـ اعمل أيه يا فندم اذا كان فؤاد باشا بيضحك ؟

ـ يا سلام ، هو بعد كل اللي جرى له بيضحك . . . لازم في حاجة مستخبية عليك يا زكريا . . !

ـ بكره يا فندم نشوف الحكاية أيه . . مش ممكن تكون الحكاية تلفيق ضد الرجل ؟

ـ تلفيق !يه . . . وبكره ايه . . . الليلة لازم تشوف الحكاية وتوضبه . . . ده مش كان بيضحك بسّ . . . كان بيدخن سيجار يا زكريا . . . شافوه بالعين بيدخن سيكار . . . هوه بيجيب الفلوس منين ؟ ويمضي الرجل في روايته فيقول :

بعد ساعة من هذا الحوار الهاتفي ، كان ثلاثة من ( زوار الفجر ) يتجمعون في منزلي ويطلبون مني اصطحابهم الى السجن الحربي . . . » .

في اليوم الثاني لدخول فؤاد سراج الدين السجن بتهمة الضحك وشرب السيجار ، صدرت جريدة أخبار اليوم وهي تحمل هجوماً خاصاً على فؤاد سراج الدين الذي بدأ يتحرك حسب ادعائها لضرب الثورة . . .

جميع الذين أرّخوا هذه الفترة تعرضوا باسهاب الى الهجوم السافر الذي شنته صحف ( دار أخبار اليوم ) ضد حزب الوفد ورجاله ، وخاصة

مصطفى النحاس زعيم الوفد وفؤاد سراج الدين رجل الحزب القوي . . . وقد ظلت هذه الصحف على موقفها من الوفد ورجاله أيام الملك ، وأيام الثورة ، ولكن القدر الذي يسخر أحياناً سرعان ما يتدخل ليعطي كل ذي حق حقه . . . وينصف المظلوم من الظالم !!

ومن سخريات هذا القدر أن الاستاذ مصطفى أمين أحد صاحبي هده الدار ، والذي قاد حملة التجني على الوفد ورجاله سرعان ما وجد نفسه في السجن بتهمة خطيرة . . . فاذا به يكتب وهو في سجنه حين بلغه نبأ وفاة مصطفى النحاس ، هذه الكلمات :

« . . . سجن القبة . . . نوفمبر سنة ١٩٦٥ :

. . . عرفت وأنا في سجن المخابرات أن مصطفى النحاس قد توفي الى رحمة الله . وحزنت كثيراً عليه . وأسفت أنني لا أستطيع أن أكتب رثاء له ، لقد أحببت هذا الرجل وحاربته . وسجنت من أجله . وفصلت من المدارس من أجله . واختلفت معه في الرأي وهاجمته وهو رئيس حكومة . فلم يفكر أن يضعني في السجن !

ولو كتبت اليوم عن سكرتير أحد الوزراء ما كتبت عن رئيس الحكومة مصطفى النحاس ، لشنقوني ، أو أعدموني رمياً بالرصاص !

ولقد قبض عليّ في عهد النحاس سنة ١٩٥١ ستا وعشرين مرة ، ولكني كنت أدفع كفالة ، وأخرج من السجن ، ولم يفكر النحاس أن يدبر لي تهمة ، أو يحاكمني على جريمة أنا بريء منها .

ومن حق النحاس عليّ أن أشيد به وأنا مسجون وأن أذكره كرجل قاد كفاح هذه الأمة ، وضحى في سبيلها . ونفي من أجلها ، وحمل الزعامة بعد سعد زغلول . وكانت نهايته هي نهاية الديمقراطية .

ولقد أسعدني أن الملايين خرجت لتشييع جنازته ، وحزنت أن الصحف لم تخصص الصفحات للحديث عن تاريخ هذا الرجل وأمجاده ،

التي هي تاريخ شعب مصر وأمجاد شعب مصر . .

وشعرت أن الزبانية هنا فزعوا من خروج الشعب كله لتحية الزعيم الكبير الراحل . واعتبروا هذه الجنازة الشعبية الهائلة ثورة على النظام ، وانقضاضاً على الحكم . وقد قال لي أحدهم إن الأمر صدر بالقبض على كل من سار في المظاهرة ! قلت له ساخراً :

هل ستقبضون على ثلاثة ملايين ! ان السجون والمعتقلات مزدحمة ولا يوجد فيها أماكن خالية !

قال لي :

هل كنت ستشترك في تشييع الجنازة .

قلت :

لولا أنني مسجون لسرت في الجنازة !

قال ضاحكاً : وكنا قبضنا عليك !

ثم ذكر لي الزبانية أشياء أذهلتني ! قالوا إن الأوامر صدرت بالقبض على مئات من الوفديين المعروفين بتهمة انهم مشوا في الجنازة ! ولم أكن أعلم أن الوفاء أصبح جريمة في هذا البلد . !

وقال لي الزبانية إن الذين قبض عليهم لن يخرجوا من المعتقلات أحياء ! وان القرار يقضي باعتقالهم الى الأبد !

قلت : انتم لا تملكون الأبد ، الله الذي يملك الأبد . . . » .

هذا ما كتبه مصطفى أمين في السجن عام ١٩٦٥ . . . ولكن ماذا كتب عن النحاس وسراج الدين وبقية رجال الوفد عام ١٩٤٤ وما بعده ؟

لقد لعب مصطفى وشقيقه علي دوراً بارزاً في التصدي لحزب الوفد ورجاله ، منذ أن برزا على المسرح الصحفي في مصر . . . فهل كانت خطتهما تحطيم حزب الوفد لمصلحة الملك فاروق ، وأحزاب الأقلية فقط ، أم أن لهما هدفاً أكبر من ذلك بكثير ؟

# صراع الوفد مع الملك

في أواخر عام ١٩٤٤ صدرت الصحيفة الأسبوعية ( أخبار اليوم ) وجعلت هدفها الأساسي من البداية مساندة قوى السراي ، وعلى رأسها الملك ، والدعاية لسياسة مهادنة أمريكا ، وكان من خطتها كما ظهر بشكل جلي هدم الوفد ، لهذا شنت عليه أعنف ما وجه اليه من حملات في تاريخه ، بالنسبة لماضيه وحاضره ومواقفه الوطنية والدستورية ، وبالنسبة لزعامته ، واتخذت من نفسها منبراً لكل من يعاديه ، وكانت القوى التي تساندها لا تفوت على نفسها فرصة في الهجوم على الوفد ومصادرة صحفه ومحاصرة نواديه ومنزل زعيمه مصطفى النحاس . وقد نال فؤاد سراج الدين القسط الوافر من الهجوم ، خاصة بعد الحادثتين المشهورتين . . . حادث ٤ فبارير يوم طوقت القوات البريطانية قصر فاروق أيام الحرب العالمية الثانية وأجبرت فاروق على الاتيان بحزب الوفد ليحكم . . . والحادث الثاني هو حادث حريق القاهرة الذي مهد لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . . ولأننا هنا لا نؤرخ القضية المصرية بكاملها ، ولكننا نتحدث عن رجل من رجال حزب الوفد سنبتعد عن حادث ٤ فبراير للمؤرخين . . . ونقترب أكثر فأكثر من حادث حريق القاهرة . . . هذا الحادث الذي ما يزال موضع أخذ ورد . . .

لقد تكلم الجميع عن هذا الحادث ما عدا الرجل الوحيد الذي يملك وحده مفتاح السر . . . فقد ظل صامتاً لماذا ؟

كان الملك فاروق على خلاف دائم مع حزب الوفد ، يرجع ذلك الى العداء التقليدي بين القصر وبين حزب وطني ينادي دائماً أن تكون الأمة مصدر السلطات . . . وكانت للطريقة التي فرضت بها حكومة الوفد على القصر ٤ فبراير ١٩٤٢ اثرها لا في تفاقم العداء فقط ، ولكن في ادراك القصر لما كان يمكن أن ينجم عنه من خطر شديد على نفوذه من جراء تنفيذ مخطط الحزب الاصلاحي . . . فما ان ابتعدت الحرب عن الشرق الأوسط وقاربت على الانتهاء ، حتى بادر القصر الى طرد الوزارة ، والذي يبرىء حكومة الوفد من التهم التي انهالت عليها من الملك وأحزاب الأقلية بسبب حادث ٤ فبراير أن الانكليز لم يعترضوا على طرد حكومة الوفد . . . اذ لم تعد لهم حاجة الى ما أسمته نشرة ( داخل الامبراطورية البريطانية ) سياسة الاصلاح التقدمية التي اتبعها الوفد . . .

ولكن الوفد سرعان ما عاد الى الحكم نتيجة انتخابات نال فيها الأكثرية المطلقة . . . ولم يغفر الانكليز للوفد اقدامه على الغاء المعاهدة المصرية ـ البريطانية ١٩٣٦ . . .

ففي اجتماع للبرلمان ٨ اكتوبر ١٩٥١ ألقى مصطفى النحاس بياناً أعلن فيه باسم الشعب الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي السودان المبرمتين بين مصر وبريطانيا في ١٨٩٩ واللتين نظمتا الادارة الثنائية المصرية البريطانية للسودان رسمياً وأوقعتا السودان تحت السيطرة البريطانية وحدها فعلياً . . . وقد كان هذا الاجراء عملاً وطنياً جسوراً يليق بحزب تعلقت به الآمال الوطنية للجماهير سنين طويلة . . . وبهذا أدى الوفد كحزب للكفاح الوطني البرلماني مهمته ، واستعمل وسيلته السلمية المشروعة في أقصى ما يمكن أن تصيغه وهي تقرير عدم شرعية وجود الاحتلال وشرعية

كل ما يتخذه الشعب لمواجهة العدوان السافر . . . وأعلن بالوسيلة المتوفرة لديه بداية العمل المسلح ، واستجاب لحركة التاريخ ، فكان عمله تكثيفاً لكل ايجابياته التاريخية ، وكان كذكر النحل أعطى حياته كلها في عمل مخصب . .

واذا كان التاريخ المعاصر قد تناول أخطاء الحزب في الحكم والمعارضة ، وأخطاء رجاله ومنهم فؤاد سراج الدين . . .فإن هذا التاريخ لا يستطيع أن يغفل هذا الموقف المشرف لحزب جماهيري . كان فيه الحزب القدوة للكفاح ليس في مصر وحدها ، بل في الشرق قاطبة . . . باعتراف نهرو !

وفور إلغاء المعاهدة أصبحت مدن القنال من أكثر مناطق مصر التهاباً . . . وأصبح من مهام وزير الداخلية في حكومة الوفد تنظيم الكفاح المسلح . . .

تنادى الكثير من التنظيمات السياسية والشعبية الى تكوين الكتائب ، واعداد الفدائيين وانشاء المعسكرات لتدريب المتطوعين على استعمال السلاح وحرب العصابات ، وافتتح الكثير من مكاتب التطوع لهذه الأغراض الحربية ولتكوين لجان قادرة على تنظيم المقاطعة الشعبية للبضائع والمنشآت الانكليزية . . . والتهبت المدن المصرية بالحماس . . .

زاد من تفجير الموقف اصطحاب حركة تكوين الكتائب باشتعال المظاهرات في المدن المصرية كلها ، وخاصة في القاهرة ، تهتف ضد الملك وتدعو للجمهورية بقيادة النحاس وحزبه . . . وكان هذا بداية ليوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ . . . اليوم الذي أحرقت فيه القاهرة . . . . واليوم الذي سقط فيه نظام الملك فاروق شعبياً . .

في صباح ٢٦ ديسمبر ١٩٥٢ نشرت جرية « التايمز » اللندنية مقالاً في صدر صفحتها الأولى تقول فيه :

« إن أعصاب الجنود الانكليز قد أصبحت شديدة التوتر ، وانهم « أي الجنود » يتساءلون عن جدوى الاحتفاظ بقاعدة عسكرية فقدت كل قيمة عسكرية لها نتيجة للشعور الوطني المعادي . . . ويبدو واضحاً أن حرب العصابات التي يقودها فؤاد سراج الدين وزير الداخلية من شأنها أن تشكل خطراً على المصالح البريطانية . . . ان مستقبل هذه المصالح قد أصبح الآن مظلماً . . . فاما جلاء مخجل عن مصر ، واما اشتباك عسكري وفترة طويلة من المعارك في ظل الأحكام العسكرية . . . » .

في تلك الأيام العصيبة من تاريخ الكفاح المصري وصل الى القاهرة نجيب الراوي موفداً من قبل نوري السعيد رئيس وزراء العراق حيث قابل فؤاد سراج الدين في مكتبه وقال له :

«إن الانكليز قد أفلسوا تماماً ، وهم يطلبون حلاً يحفظ ماء الوجه . . . وهم مستعدون للموافقة على كل شيء على شرط ايقاف أعمال الكفاح المسلح في القناة . . . » .

فأجابه فؤاد سراج الدين :

« إن الموقف قد وصل الى الحد الذي يفرض على الانكليز الجلاء . . . وعلينا تأمين ظهرهم أثناء الرحيل » .

وفي هذه الفترة كانت خطة تخلص الملك من الحكومة الوفدية تتحرك في نشاط . . . وقد دلت الوثائق التي صودرت من القصر الملكي عقب قيام الثورة ، على أن الملك قد أصدر أوامره الى كبار ضباط البوليس السياسي في ذلك الوقت ، بأنه تقرر التخلص من الحكومة الوفدية ، وأن عليهم أن يهيئوا أنفسهم لذلك . . . وقد وجدت هذه الأوامر موجهة من الملك الى « بوليس القصور » أيضاً .

وعند محاكمة كريم ثابت امام محكمة الغدر ، واستدعاء حافظ عفيفي باشا كشاهد اثبات قال :

« إن الملك أبلغني أنه يريد التخلص من حكومة الوفد فقلت له ان المعركة دائرة مع الانكليز ولا يمكن اخراجها الآن ، وأنه لا بد من حدوث شيء هام لاخراجها » .

فسأله رئيس المحكمة معلقاً :

« وأظن يا باشا وجدتم في حريق القاهرة الحاجة المهمة » .

# حريق القاهرة أحرق النظام

منذ ذلك اليوم حتى حزيران ١٩٧٤ واسرار الحريق ، الذي أحرق النظام ، مطوية في صدر فؤاد سراج الدين ، وزير الداخلية وسكرتير حزب الوفد المصري . . .

انه الشاهد الأول على هذا الحريق التاريخي . . .

كان وزير الداخلية المسؤول يوم وقع الحريق ، وبهذه الصفة رأى وسمع وتابع وعرف كل شيء . . . وعندما حاول ـ بعد الحريق ـ أن يفتح فمه ، صادروا صحيفة المصري ، صحيفة حزب الوفد التي كتب فيها . . . وعندما وجد فرصةأخرى للكلام ، في تحقيقات النيابة ، أمروا بجعل التحقيق سرياً . . .

وسكت الرجل من ذلك اليوم الأسود ٢٦ يناير ـ كانون الثاني ١٩٥٢ . . . الى يوم ٢٦ حزيران ١٩٧٤ اليوم الذي اجتمعت به في « فندق برنتيانيا في مصيف برمانا ـ لبنان ـ » .

لقد أمضيت أكثر من عشرين ساعة مع الرجل وأنا أصغي اليه وهو يروي لي أحداث ذلك الحريق . . .

لم يكن الفندق في ذلك اليوم قد امتلأ بالوافدين . . . وبين حديقة الفندق وصالة الطعام كانت الأسرار تتدفق تبحث عمن يسجلها !

ولعله نسي في تلك اللحظات أنني صحفي ، وأنني سأحفظ في ذاكرتي أهم أجزاء مذكراته . . . لهذا راح يتحدث . . . وأنا قلق على الوقت الذي يمضي . . وكان الشاهد على هذا الحديث الدكتور محمد حلمي مراد قطب المعارضة الآن .

« حريق القاهرة جرى لصالح الانكليز والسراي و . . . . » .

هكذا افتتح الرجل حديثه . . . ثم قال :

« ثلاثة مسؤولين كانوا وراء هذا الحريق هم :

« اللواء امام ابراهيم (بك ) ، رجل البوليس السياسي الشهير ، ورئيس ( القلم السياسي ) في ذلك الوقت

ـ اللواء أحمد عبد الهادي ( بك ) مدير عام البوليس . .

ـ الضابط عبد الهادي نجم الدين . . . ضابط بلوكات النظام في البوليس .

كان هؤلاء قد تلقوا الأمر من السراي بتدبير المؤامرة لاسقاط حكومة الوفد . . .

كنا نعيش أياماً بلغ فيها الشعور الوطني أقصى حالات احتدامه . . .

ففي اليوم السابق ضرب الانكليز محافظة الاسماعيلية ، وقتلوا خمسين شهيداً من رجال البوليس فيها . . . بعد مقاومة ضارية تمكنوا أثناءها من قتل ٢٢ جندياً انكليزياً . . .

وقبلها بأسبوع تصدى الجيش الانكليزي في ( الاسماعيلية ) أيضاً لمظاهرات تطالب بالجلاء عن أرض الوطن ، وقتل سبعة أشخاص ، وجرح أربعون . . .

وقبلها زحف الجيش الانكليزي على قرية اسمها ( كفر عبدة ) ، مستخدماً ٦ آلاف جندي ، و ( ٢٥٠ ) دبابة ، و ٥٠٠ مصفحة ، وعدداً

من الطائرات الحربية . . لكي يهدم القرية التي لا يزيد عدد بيوتها على مئة وخمسين بيتاً . . .

كان الشعور معبأ ضد الانكليز . . . وكان متوقعاً أن تنشب المظاهرات في القاهرة وغيرها بعد جريمة هدم محافظة الاسماعيلية ، وبعد المذبحة الدموية التي ارتكبها الانكليز فيها . .

ولم يكن غريباً في الصباح التالي أن يغلي بالغضب رجال ( بلوكات النظام ) الذين هم زملاء لشهداء الاسماعيلية . . . ولكن كيف عبروا عن هذا الغضب ؟

في ثكناتهم بالعباسية ، قادهم أول الرجال الثلاثة :

الضابط عبد الهادي نجم الدين . . . وخرج على رأس ( ٣٠٠) منهم . . . متجهاً الى الجامعة في الجيزة . وهناك حاول الطلبة تهدئة الجنود ، ولكن الضابط قاوم المحاولة من باب ( التطرف في الوطنية ) . . . وغادر الجامعة بجنوده وقد انضم اليهم بعض الطلبة . .

ونجح الطلبة في أن يجعلوا هدف المظاهرة مجلس الوزراء . . . وان يمنعوا أي تطور آخر لها . ولكن . .

في نفس هذا الوقت كانت قد بدأت تندلع في القاهرة ، وبعيداً كل البعد عن المظاهرة ، بعض الحرائق المفاجئة . .

ووصلتني الأنباء ولكن متأخرة كثيراً . . . .

لقد وقع تمرد بلوكات النظام ( البوليس ) في الساعة السادسة صباحاً ، ولكنني أنا وزير الداخلية لم أبلغ عنها الاّ في الساعة السابعة والنصف . . . ولم أعرف الا بعد التاسعة أن المتمردين وصلوا فعلاً الى الجامعة . .

ولم أعرف الاّ بعد الثانية عشرة والنصف أنه قد بدأ حريق في ( سينما

أوبرا ) ، وان المتظاهرين منعوا رجالا الاطفاء عن العمل ، ومزقوا خراطيم مياههم بالسكاكين . .

وأسرعت على الفور باصدار الأمر بضرب الرصاص في الهواء لتفريق المخربين ، واتصلت بوزير الحربية حيدر باشا لإمداد قوى البوليس بقوات من رجال الجيش . .

وهنا يجيء دور الرجل الثاني . امام ابراهيم . .

فقد دار الرجل على مناطق الاضطراب والحرائق يبلغ أمراً مخالفاً لامري ، ويمنع رجال البوليس من التعرض للمخربين بأية صورة من الصور . . .

وانتشرت الحرائق بسرعة جنونية . . .

وتكررت أوامري بصفتي وزيراً للداخلية بالضرب بالمليان . . . ولكن امام ابراهيم ترجمها الى ( عدم المساس بالمتظاهرين ) على أساس أن هذه كلها مظاهرات « وطنية » . . !

وعندما صممت على طلب الاستعانة بالجيش ، فوجئت بعد قليل ببلاغ تلفوني من مدير الأمن العام يقول لي انه قد تبلغ أن الحالة هدأت ، وان ( امام بك ) قد أبلغه بأنه فرق المتظاهرين وانتهى الأمر . . .

وصدقت خبر مدير الأمن العام ، واتصلت بحيدر باشا وزير الحربية وطلبت منه عدم انزال الجيش . . . ولم أكن أعلم أنه في تلك اللحظة كانت الحرائق قد شلمت قلب القاهرة التجاري كله . . . ومعها أوامر امام بك بألّا يتعرض أحد لها . . !

في هذا اليوم الأسود كان موقف اللواء أحمد عبد الهادي ينطوي على تقصير جسيم يكاد يصل الى حدّ العمد . . .

١ - لم ينتقل الى جنود ( بلوكات النظام ) الذين تمردوا وتركوا ثكناتهم إلّا

في ساعة متأخرة . . . فرغم انهم تركوا الثكنات في حوالي الساعة السادسة صباحاً فهو لم ينتقل الا قبيل الساعة التاسعة .

٢ ـ لم يتوجه اليهم لمقابلتهم وهم في الجامعة ، بل انتظر في مكتب مدير الجيزة حتى تركوا الجامعة مع بعض طلبتها وساروا في مظاهرة ، ومروا على المديرية في طريقهم الى القاهرة . .

٣ ـ عندما مرت به المظاهرة بعد خروجها من الجامعة ، كان معه الاستاذ محمود عبد القادر حمزة مفتش الداخلية الخاص بالجيزة ، فحاول أحمد عبد الهادي تغطية مركز الضابط عبد الهادي نجم الدين الذي يقود التمرد ، والدفاع عنه ، في حين أنه كان في هذه اللحظة محمولاً على اكتاف جنود ( البلوكات ) ويهتف هتافات عدائية .

وقد لفت مفتش الداخلية نظر عبد الهادي بك الى الضابط المذكور وهتافاته ، فكان رد عبد الهادي بك أن الضابط يحاول تهدئة الجنود . .

٤ ـ استمر يرافق هذه المظاهرة فترة من الزمن ، لم يحاول اخراج جنود ( البلوكات ) منها . . . أو على الأقل سحب ضابط البلوكات منها .

٥ ـ ذهب الى رئاسة الوزراء وكانت المظاهرة هناك وفيها الجنود وفيها الضابط ، فلم يبذل أي مجهود في سحب الجنود أو الضابط من رئاسة مجلس الوزراء . .

٦ ـ ترك جنود ( البلوكات ) وضابطهم في المظاهرة التي كانت برئاسة مجلس الوزراء ، وترك عبد الفتاح حسن باشا يخطب فيهم للتهدئة . . . وتوجه الى سراي عابدين لحضور مأدبة الغداء بمناسبة مولد ولي العهد . . في حين كان في استطاعته أن يعتذر عنها لهذا الظرف الطارىء كما فعل حكمدار البوليس . .

٧ ـ بعد انتهاء المأدبة الملكية لم ينزل الى المدينة وهي مضطربة ليشرف على

الحالة ، أو يعاون على قمع الفتنة وهو أكبر ضابط بوليس موجود بالوزارة . أو حتى يبحث عن مصير جنوده وضابطهم المتمرد ، بل توجه الى داره ليستريح وينام بعد الغداء الملوكي . . . وقد علمت أن بدوي خليفة باشا وكيل الوزارة اتصل به في منزله حوالي الساعة الخامسة مساء فوجده نائماً !

٨ ـ اتصلت به حوالي الساعة الواحدة صباحاً ، بعد الحوادث في داره ، فوجدته نائماً أيضاً في حين أن جميع الضباط الكبار والمحافظ كانوا بحديقة الأزبكية وفي الطريق يشرفون على الحالة . . فسألته بعدما استيقظ عمّا اتخذه من اجراء ازاء جنود بلوكات النظام وضابطهم الذين تمردوا ، فتبيّن لي أنه لم يتخذ اجراء ما . . . ولم أفهم منه أنه انتقل الى البلوكات بعد أن عاد هؤلاء الجنود المتمردون اليها .

٩ ـ لم يتخذ أي اجراء بعد ذلك مع هؤلاء الجنود المتمردين أو مع ضابطهم حتى مجرد التحقيق والسؤال لم يقم به مع واحد منهم . .

وكان الأمر بالنسبة لهذا الرجل أخطر . . . لأنه كما علمت أصدر أمراً الى مساعدي الحكمدار ومفتشي البوليس صباح يوم الحوادث بعدم تفريق المظاهرات ، مخالفاً بذلك تعليماتي الصريحة الواضحة . . فقد علمت أن الحكمدار مراد بك الخولي كان قادماً حوالي الساعة ١١ صباحاً من شارع ابراهيم باشا ، فرأى مظاهرة تسير والبوليس لا يفرقها ، فدهش للأمر ، حيث أن التعليمات تقضي بالتفريق ، فسأل الحكمدار مساعده صادق لمعي بك عن سبب عدم تفريق المظاهرة ، فقال المساعد ان امام بك أمر بعدم تفريق المظاهرات في ذلك اليوم . .

كما علمت من المحافظ بالنيابة بعد الحوادث أن عبد العزيز بك علي ( مفتش فرقة ب ) أخبره أنه رأى ميدان عابدين ممتلئاً بالمتظاهرين . . . ولما أراد تفريقهم قيل له إن امام بك أمر بعدم تفريق المظاهرات . كما قدمت

الي مذكرة من زكريا أفندي راكد عمّا شاهده من حوادث في ذلك اليوم ، تنطق بوضوح بالموقف المزري المريب الذي اتخذه امام بك . .

كنا قد أعلنا ( حالة الطواريء ) منذ فجر اليوم ، وهو كوكيل للحكمدار اشترك في اصدار هذا القرار . وفي اعلان ( الحالة ج ) ، وهذا في حد ذاته نذير كاف لكل ضابط بوليس باحتمال وقوع خطر ، ولا يمكن الجمع بين السماح للمظاهرات ، أيّاً كان نوعها ، وبين اعلان حالة الطوارىء في المدينة .

وقد أخبرني شقيقي عبد الحميد سراج الدين بأنه علم أن مدير ( أجنس فورد ) أخبر الدكتور الفونسي عبد الباقي شقيق حرم موريس دوس بك ، بأن امام بك نصحه في صباح يوم ٢٦ يناير بنقل سياراته من المحل ، حيث انه ستحصل مظاهرات في هذا اليوم ، وفعلاً نقلها كلها ، وكان ( الاجنس ) موجوداً في شارع عدلي باشا أمام ( الترف كلوب ) النادي الانكليزي الذي أحرق فعلاً في ذلك اليوم . .

كما أخبرني شقيق عبد الحميد أيضاً بأن الوجيه منير الياس ، خال موريس بك ، أخبر عبد الحميد بأنه علم من الضابط علي حسين نائب مأمور قسم الجمالية أنه يوم الحوادث المذكورة علم بأن حريقاً نشب في سينما ( ريفولي ) ، فأراد أن يأخذ عساكر ( البلوكات ) الموجودين في القسم ، فرفضوا القيام معه ، فأخذ حوالي ٣٠ عسكرياً من بوليس مصر كانوا بالقسم ووصل الى سينما ( ريفولي ) ، وأخذ في تفريق المتظاهرين ورأى أحد المتظاهرين يحاول قطع خرطوم المطافىء . وأخذ زميله الضابط الذي انتقل معه في ضرب هذا الشخص . . . وفي هذه اللحظة وصل امام بك وكيل الحكمدار فطلب منهما ترك المظاهرة والذهاب معه الى حديقة الأزبكية . فذهبا معه ظناً منهما أنهما سيتلقيان أوامر هامة هناك . ولكنه لم يصدر اليهما أية تعليمات . . . وقد طلبا منه أكثر من مرة الأذن لهما

بالذهاب الى مكان المظاهرات ، ولكنه كان كل مرة يطلب منهما الانتظار . . . وأخيراً اضطرا الى تركه والعودة الى مكان الحوادث . .

أما بالنسبة للضابط عبد الهادي نجم الدين فموقفه وقيادته لهؤلاء الجنود المتمردين ثابت من شهادة المحافظ بالنيابة ومن مفتش الدخلية المختص بمديرية الجيزة ، ومن رؤية عبد الفتاح حسن باشا له وسماعه أقواله في رئاسة مجلس الوزراء . . . ومن أقوال الطالبين بالجامعة السيد قاسم وعبد اللطيف ذاكر ، المبينة بهذه المذكرة التي أرسلاها اليّ بعد الحوادث عن موقف هذا الضابط وتصرفاته . . .

وجاء في المذكرة :

إني أقدم هذه المذكرة لسعادتكم ، على أن ملف خدمة هذا الضابط وسلوكه في منطقة القنال ( مدينة السويس ) أثناء الحوادث الأخيرة وطلب اللواء مصطفى متولي بك قائد البوليس هناك نقله من السويس ، كل ذلك يقطع بأنه من المشاغبين الخطرين ويمكن سؤال مصطفى متولي بك عن أسباب طلبه نقل هذا الضابط . .

على أن هذا كله لم يكن الاّ الفصل الأول من قصة حريق القاهرة . . . فما كاد الحريق يخمد ، وتتم اقالة الوزارة ، ويقبض على كل الفدائيين الذين كان يضيق بهم الانكليز . . حتى بدأت حملة جديدة ، لاستثمار الحريق ضد القيادات الوطنية . . . ويمضي فؤاد سراج الدين في حديثه فيقول :

كنت حريصاً منذ وقعت هذه الحوادث على أن ألتزم الصمت التام احتراماً لحرمة التحقيق الذي يجري بشأنها ، ولكن الصحف المعارضة للوفد ، وعلى رأسها مجلات دار أخبار اليوم وصحيفة ( الاساس ) ، دأبت منذ اليوم لاقالة الحكومة الوفدية على اثارة هذه المسائل ، وتوجيه التهم الى شخصي ، واتهامي بأني المسؤول عن حريق القاهرة . . . وقد بادرت بعد

صدور عدد مجلة أخبار اليوم في يوم السبت ٢ فبراير وفيه أنباء غير صحيحة تحت عنوان : ( هل صحيح ) ؟ بادرت بالاتصال بالياس اندراوس باشا ، وأنا أعلم أنه وثيق الصلة بصاحبي هذا الدار ، فزرته في بنك مصر . . وتحدثت اليه في أمر نشر هذه الوقائع المكذوبة ، وفي ضرورة ترك هذه المسائل للتحقيق الذي تجريه النيابة لتحديد المسؤوليات فيه ، وطلبت منه أن يستعمل نفوذه عند صاحبي هذه المجلة في ايقاف هذا التيار ، والا سأجد نفسي مضطراً اذا استمرت هذه الحملة للدفاع عن نفسي ودفع هذه الأكاذيب ، وقد وافقني تماماً على وجهة نظري ، ووعدني أنه سيتصل بهما ، وان شيئاً من ذلك لن ينشر بعد اليوم . . فشكرته على ذلك وقلت له سأبقى صامتاً ولن أرد على ما نشر في ذلك العدد . . .

وقد سبب لي هذا النشر متاعب كثيرة ، فانهالت الأسئلة من جميع الناس . . ومن أعضاء البرلمان عن صحة ما ورد في المجلة . . فكنت دائماً عند وعدي الذي أعطيته . . . وكان ردي الوحيد انه لم يحن بعد وقت الحديث طالما كان التحقيق مستمراً . . .

ولما رأيت أن جريدة ( الأساس ) ومجلة ( آخر لحظة ) دأبت على نشر هذه الأخبار وتحميلي مسؤولية الحوادث التي وقعت والمطالبة بمحاكمتي ، أوعزت الى جريدة المصري فنشرت كلمة مطولة تستهجن فيها هذه الحملة وتدعو الى احترام التحقيق وتشير صراحة الى أنني ملتزم الصمت ازاء هذه الاتهامات الكاذبة احتراماً للتحقيق . .

ولكن هذه الكلمة أيضاً لم تكن لتمنع هذه الحملة من الاستمرار ، رغم تعليمات الرقابة بعدم التعرض لحوادث ٢٦ يناير مما جعلني أعتقد أن هذه التعليمات التي صدرت منذ اللحظة الأولى من اعلان الأحكام العرفية قد عدل عنها . . .

وصبرت على هذه الحملة حتى كان يوم السبت ٩ فبراير ١٩٥٢

فخـرجت ( مجلة أخبار اليـوم ) وفي أعلى صفحتهـا الأولى بـأكبـر الحـروف وباللون الأحمر العبارة التالية :

( سرّ حريق القاهرة ) وعلى نفس الصفحة صورتي الفوتوغرافية وتحتها عبارة :

( تكلم أيها الوزير المقال ) . . !

وتحت الصـورة مقـال آخـر بعنـوان : ( من المسؤول عن حـريق القاهرة ) ؟

ونشرت بقيته في الصفحة الثالثة تحت عنوان كبير بطول الصفحة :

( فؤاد سراج الدين يرفض الاستعانة بالجيش مرتين ) . !

وفي نفس العدد نشرت المجلة مقالاً تحت عنوان :

( هيكل باشا يتهم الوفد ) . .

وقد تضمنت كل هذه الأخبار والمقالات التي انصبت على حوادث ٢٦ يناير ، وقائع مكذوبة وبيانات مختلقـة ومضللة وخطيـرة عن تصرفـاتي ازاء الحوادث . . .

وانهالت علي الأسئلة من جميع النواحي والهيئات ، وحتى من زمـلائي الوزراء الوفـديين السـابقين ، ومن أعضـاء الهيئة الـوفديـة يستفسـرون عن صحة هذه الوقائع ويستغربون سكوتي عليها ان كانت كاذبة . .

ولما شعرت بالأثر الخـطير الذي تـركه هـذا النشر ، والـذي سمح بـه الرقيب ، عولت على ترك الصمت الـذي التزمتـه قرابـة اسبوعـين ، وعلى مضض مني ، رعاية للصالح العام . .

ولقد دفعني الى التصدي لذلك عدة عوامل :

أولاً أني لست آمن الخطر الـذي تتعرض لـه حياتي شخصيـاً من ترك هذه الأنباء الملفقة الكاذبة دون تصحيح ، اذ لا يستبعد أن يندفع أحد ممن

اصابهم ضرر بسبب هذه الحوادث الى الانتقام من شخصي بالاعتداء على حياتي أو مالي تحت شهوة الانتقام ممن يعتبره مسؤولاً . . .

كما أنني شعرت ثانياً أن سكوتي بعد هذا سيصيب الهيئة السياسية التي أنتمي اليها بأضرار أدبية وسياسية جسيمة ،خاصة وأنا أشغل مركزاً هاماً فيها، هو الأمانة العامة للوفد المصري . . .

كما أن هذا السكوت ثالثاً سيصيب سمعة الحكم المصري عامة بأفدح الأخطار ، اذ سيسجل على أحد الذين تولوا الحكم أخرق التصرفات وأسوأ التقديرات . . .

رأيت نفسي مدفوعاً بكل هذه العوامل ومضطراً الى وضع الأمور في نصابها ، والى تصحيح الوقائع ، تاركاً للرأي العام أن يحكم فيها . . . ولا أنكر أنني بعد فراغي من كتابة بياني ترددت في نشره ، واستشرت في ذلك بعض من زارني في تلك اللحظة من زملائي . . . ولكن أحداً ممن أستشرتهم لم يخالفني في وجوب النشر ، رعاية لكل هذه الاعتبارات . . . ورغم ذلك ظللت متردداً في النشر الى ما بعد منتصف الليل ، وأخيراً استقر رأيي على النشر، وأرسلت البيان الى جريدة المصري . .

وكان عجبي كبيراً عندما علمت في الصباح ان الحكومة قد صادرت عدد المصري الذي تضمن هذا المقال . . . كما منعت صحف المساء من نشره . . . اذ كيف تتيح الحكومة لهذه الصحف ولمدة تقرب من أسبوعين ، نشر هذه الاتهامات الصريحة والخطيرة ، وهذه البيانات الكاذبة . . . وتصادر دفاعي عن نفسي ازاء هذه الحملة وردي عليها . . .

# ... واختار سراج الدين الحزب

ما عرضه فؤاد سراج الدين عن يوم الحريق يشرح لنا بوضوح أسرار ما جرى في هذا اليوم . . . ويمكن القول إنه في هذا اليوم لم تكن هناك سلطة في مصر ، أو في العاصمة على الأقل . . . وان الدولة توقفت يومها . . . كان جهاز ( البوليس ) - بولكات النظام - قد انشق جزئين ، أحدهما انضم الى المظاهرات ، والآخر - الموالي للملك - امتنع عن العمل وحفظ النظام . . . وكان الجيش قد احتجز كبار ضباطه في مأدبة القصر التي أشار اليها فؤاد سراج الدين في حديثه ، ساعات كانت هي الفترة الحاسمة ، وأفلت الآخرون من الولاء للنظام بحيث خشي حيدر باشا قائد الجيش اذا نزل الجيش الى الشوارع أن ينضم شبابه الى الجماهير . .

ويتضح من حديث الرجل ، أن حكومة الوفد قد شلت عنها سلطة التقرير والتنفيذ تماماً . ولم يبق في هذا اليوم الا عنصران تفتت السلطة بينهما ، وعملا معاً من خارج الدولة والمؤسسات القائمة :

أولهما ، الحركة الشعبية المساندة لحكومة الوفد تعبر عن نفسها بالمظاهرات بغير أن تجد مقاومة من الدولة بوصفها سلطة ، وانجذب الى هذه الحركة الشعبية قسم من رجال الأمن ، بل بعض قادة الأمن تنفيذاً للمؤامرة باسقاط حكومة الشعب . .

وثانيهما ، الملك والقوى المتآمرة التي عملت على شل ما بقي من فاعلية أجهزة الأمن لينطلق نشاطها من قيود النظام ، فلجأت هذه القوى المتآمرة الى العمل ( غير المشروع ) أي العمل الاجرامي البعيد عن أجهزة الدولة بوصفها دولة . . .

والحاصل من كل هذا أن انفلات السلطة يوم الحريق ، أشاع من الاضطراب والانزعاج لدى الجميع . . .

أما حكومة الوفد فقد أقيلت بعد أن أعلنت الأحكام العرفية ، وجاءت حكومة علي ماهر ليواجه بها الملك ما بعد الحريق . . . ثم استقالت . . .

وهكذا الى أن قامت حركة ٢٣ يوليو صباح ذلك اليوم لتحسم الموقف . . .

فماذا جرى لحزب الوفد وسكرتيره العام ؟

إن رجلاً بنفوذ سراج الدين وثروته ومنصبه الكبير لم يخل من خصوم وأعداء . . . كما أنه لم يخل من أخطاء أضرّت به وبحزب الوفد . . . ولست هنا في معرض سرد تاريخ محدد للرجل وأخطائه . . . ولكني أمام وقائع أحاول أن أعرضها على الطبيعة . . .

كانت صلتي بالضباط الأحرار قوية ، قبل الحركة ، وفي أيامها الأولى . . . وقد أتاح لي عملي الصحفي الاتصال بقادة الثورة عن كثب . . . ولعلّي لا أجانب الحقيقة حين أقول هنا ان معظم الضباط الأحرار كانوا يتمنون من صميم قلوبهم أن يربحوا الرجل الى جانبهم . . . ولكنه رفض وبعناد . . . لماذا ؟

لقد أجمع الذين عرفوا الرجل عن قرب ، انه كان ذكياً . . . فحين بدأت الثورة تتصل به ليترك حزبه وينضم اليها ، اختار الرجل



**فؤاد سراج الدين في قصره**

الحزب . . . ووقع الصدام الذي بدأ خفيفاً في أول الأمر . . . ثم أخذ يتسع . . . ولعلّنا سنقرأ قريباً في مذكرات الرجل قصة صلاته بالضباط الأحرار قبل الثورة ، وبعدها . . . فقد كانت هناك صلات بالفعل أعرف تفاصيلها الكاملة . . . ولا أحب هنا أن أقتحم غابة الأسرار لأكثر من سبب . . . ولعلّ في طليعتها أن جروح فؤاد سراج الدين لم تلتئم بعد . . . وأقصد بالجروح ، ( الجروح ) النفسية العميقة . . .

لم يكن فؤاد سراج الدين ذكياً فحسب ، بل كان قديراً وانساناً . . . ولو لم تكن اللباقة من صفاته لكان وفدياً يحبه الوفديون وحدهم . . . ولكننا نجد أن الكثيرين من خصوم الوفد يحبونه بدورهم . . لأنه كان في حياته السياسية معقولاً . . . معقولاً في تفكيره ، وفي نظرته للأمور . . .

حين قفز الى أعلى المناصب ، شهد له الجميع ، بمن فيهم خصوم الوفد ، بأنه صاحب مدرسة شعارها : ( تعاط الحزبية بمقدار ) . . !

كان أحد قلائل خرجوا على ألف باء الحزبية ، ولم يفهموا الحزبية على

أنها مهاترة وتطاول وقلب للحقائق . وقد تمثل هذا في تصرفاته يوم كان عضواً في مجلس الشيوخ ، فلقد كان دائماً على استعداد لأن يفهم ، وأن يقتنع وأن يشكر الحكومة ـ أية حكومة ـ اذا لمس في تصرفاتها ما يستوجب الشكر . . .

ولعلّ هذه السياسة المرنة قد أكثرت من خصومه ومحبيه على السواء . . . كان المتهم الأول في كل مرة يهادن فيها الوفد الملك . . . ولأن زعيم الوفد مصطفى النحاس قربه واصطفاه ناله من التجريح ما لم ينله أحد من أقطاب الوفد . . . ولكن هل جميع القصص التي رويت ضد الرجل ـ وما أكثرها ـ كانت صحيحة ؟

حادثة واحدة أسوقها هنا لأني سمعتها من ( بطلها ) . . . وهذا ( البطل ) هو الاستاذ أحمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة ، ( رحمه الله ) . . . خصم الرجل ، وخصم حزبه . .

وقد صادف وجود أحمد حسين في ( سوق الغرب ) ، أثناء وجود فؤاد سراج الدين في ( برمانا ) . . وقد حملني أحمد حسين تحية خاصة لسراج الدين وقال لي :

« ليتني أستطيع أن أزور فؤاد سراج الدين حيث يقيم في فندق برنتانيا لاعتذر اليه . . . لقد أحسن الرجل اليّ كثيراً ، وكنت أسيء فيه الظن ، الى أن تكشفت الأسرار فأدركت غلطتي مع الرجل » . .

وسارعت بنقل ما سمعته من أحمد حسين الى سراج الدين الذي اتسعت ابتسامته وأردف :

« من حق أحمد حسين أن أسعى اليه لزيارته ، فهذا الرجل قدم الكثير لبلده مصر وكان من أبرّ رجال مصر بمصر » . . .

فلماذا يطلب أحمد حسين الاعتذار لسراج الدين بعد أكثر من

عشـرين عامـاً ، وبعـد أن مـلأ الـدنيـا ضـده هجـومـاً ونقـداً و . . . . . اتهامات ؟

في عام ١٩٤٢ عاد الوفد الى الحكم ، وعـاد فؤاد سراج الـدين وزيراً للداخليـة ، وكان الـرجل القـوي في الحزب والحكم . . . وكـانت الحرب العالمية الثانية في أوجها ، وروMل على الأبواب . . .

وبـدأ الحكم الوطني في مصـر يواجـه مداخـلات الانكليز . . . وكـان هنـاك العديـد من القادة العـرب اما في السجـون أو المعتقلات . . . وإمـا مطاردين من سلطات الاحتلال . . .

بين هؤلاء كان أحمد حسين يواجه مصيره . . .

كـان أحمد حسـين مسجونـاً ، وقد استـطاع الهرب . . . واختفى عن الأنـظار . . . وانطلقت مخـابرات الانكليـز تبحث عنـه دون جـدوى . . . وحين تألفت حكومة الوفد اطمأن الهارب المختفي ، فسرعان مـا ذهب الى منزل فؤاد سراج الـدين وزير الـداخلية ونـائب الحاكم العسكـري ـ وعلى الأصـح الحاكم العسكـري ـ واحتمى فيه رغم مـا بين الـرجلين من عـداء سياسي مستحكم . . . وهناك جرى الحوار التالي بين الوزير والهارب :

ـ جئت أحتمي في منزل فؤاد سراج الدين . . .

ـ أهلاً بك في بيتك . . !

ـ أنت شفيعي أمام مصطفى النحاس باشا . . .

ـ أنت لست بحـاجة الى شفيـع . . . ان حكومـة تقبل بمـطاردتـك ليست حكومة وطنية . . .

أبقى سـراج الدين ضيفـه المحتمي في منـزلـه ، وذهب الى مصـطفى النحاس في مكتبه . . وهناك جرى الحوار على هذا النحو :

ـ يـا بـاشـا أحمـد حسـين في منـزلي . . . وأنت تعـرف أني فـلاح ،

والضيف عند الفلاح محترم ، ولا يمكن بشكل من الأشكال أن يخرج ضيف الفلاح الى السجن مهما كانت الأسباب . . !

ـ ولكن يا فؤاد الانكليز عاملين دوشة عشان أحمد حسين ، وأنت عارف . . . شوف لنا حل ثاني غير حماية ضيفك ؟

ـ لا يا باشا ما فيش حل ثاني ، فيه حلّ واحد هو أن يذهب أحمد حسين الى منزله . . . أو يبقى في منزلي . !

ـ اللي تشوفه يا فؤاد !

وخرج أحمد حسين من منزل فؤاد سراج الدين الى منزل استأجرته الدولة على نفقتها ليكون تحت رقابتها .

هكذا عاش الرجل حياته السياسية ، يحسن الى من أساءوا اليه . . . ويتغاضى عن أخطاء خصومه لأنه رجل . . !

من المآخذ الكثيرة التي أخذت على الرجل ثراءه الفاحش . . . ولكنه ورث الثراء عن عائلته ولم يقتنصه من الحكم . . . لهذا عاش حياته يرفل في الحرير . . . ويلمع في أحد أصابعه خاتم من الماس ، فاذا أخرج ( الولاعة ) من جيبه بهر عينيك وهج الذهب . . . وبعد أن أخذ منه الحرير والذهب ، وتحول الى سجين لم يفقد أناقته التي اشتهر بها . . . كما أنه لم يفقد كرمه أيضاً . . . لهذا لم يتنكر له الناس العاديون في نكبته . . . فكان يقدم القهوة بنفسه في بيته يوم كان أميناً للوفد وعضواً في مجلس الشيوخ ، وزعيماً للمعارضة فيه ، ووزيراً للداخلية . . . وهكذا ظل يفعل حين تحول بعد الثورة الى مواطن غير مرغوب فيه ، ما ان يخرج من السجن بتهمة ظالمة ، حتى يعود اليه بتهمة أظلم . . .

أعترف ولست أنكر ، أن الذي جذبني الى الرجل هو رعايته للأدباء وحدبه عليهم . . .

وحبه للأدباء منحه سمعة لم يكن يجاريه فيها أحد من رجال

السياسة . . . وكان فقيد الظرف والأدب محمد مصطفى حمام لا يذكره ، الا ويذكر قصص كرمه مع الأدباء . . . لهذا أحببته من بعيد . . . وتعلقت بسيرته . . .

وكنت أنقل تفاصيل محاكمته الى فقيد العربية عباس محمود العقاد الذي كان يدونها بتفاصيلها . . .

فقد كان العقاد من خصوم سراج الدين السياسيين ، ولكنه كان خصماً شريفاً . . . وحين كان يسمع مني العقاد تفاصيل جلسات المحاكمة وموقف سراج الدين المشرف فيها ، كان ينهض ويسير في غرفته بخطاه الوئيدة المتزنة ويقول :

( هذا رجل . . . هذا رجل ) . !

في منزل العقاد كان حمام يروي لنا ذكرياته الأدبية عن فؤاد سراج الدين والأدباء . . . منها :

جاءه يوماً الشاعر البائس عبد الحميد الديب وكان وزيراً للشؤون الاجتماعية ، فاقتحم عليه مكتبه وقال له :

« أزاي يا باشا تكون وزيراً وأنا مشرد لا أملك قرشاً واحداً . . . هوه يصح أنك تسبح بالذهب وأنا أسبح في الجوع ؟ » . .

قال الوزير وهو يضحك :

« لا ما يصحش . . . يكفي عشرة جنيه » ؟

ويقول حمام وهو يغالب دموعه :

هذه هي المرة الأولى التي يتعرف فيها الديب على ورقة نقد بعشرة جنيه . . . فهو لم يملك في حياته أكثر من قروش . . .

بعد ذهاب الديب أصدر الوزير قراراً بتعيين الديب في وزارة الشؤون الاجتماعية . . .

في اليوم التالي ذهب الديب الى الوزارة منتفخ الأوداج ، بعد أن مرّ على بيت سراج الدين و ( استلف ) - على حد تعبيره - بزة ( أبّهة ) تليق بموظف عند الباشا . . . ولم ينس أن ( يستلف ) العصا أيضاً . وذهب الى الوزارة ليستلم الوظيفة . . . ولكن سكرتير الوزير أفهمه أنه موظف بدون وظيفة . . فما كان من الشاعر الاّ أن سحب القلم من جيبه ويعث الى الوزير ببطاقته وعليها بيت الشعر التالي :

بالأمس كنت مشرداً أهلياً    واليوم صرت مشرداً رسمياً

ثمن هذا البيت من الشعر كان عشرة جنيهات أخرى ، بالاضافة الى الوظيفة التي سرح منها الشاعر بعد خروج سراج الدين من الوزارة . . .

هكذا كان سراج الدين يعامل الأدباء . . .

# الوفـــد والإخوان

في قصـر الاستاذ فؤاد سـراج الـدين بجاردن سيتي ، وفي الصـالـون الـواسع الـرحب الذي شهـد الأحداث التـاريخية قبـل ثلاثـين عامـاً . . . وبالرغم من الجو الشاعري الـذي يشيعـه الرجـل وهو يتحـدث الى زواره تحسّ بالتاريخ يتكلم اذا نظرت في كل شيء بدقة . . . ورحت أطرح مـع غيري الأسئلة على الرجل وننتظر جوابه .

لم أكن وحـدي في هـذا اللقـاء . . . كـان هنـاك استـاذ الجـامعـة ، والضـابط في الجيش ، والموظف الكبـير ، والنـائب السـابق ، والنـائب الحـالي . . كانـوا يتكلمون وأنـا أحدق بتلك الصـورة الزيتيـة التي رسمت لمصطفى النحاس باشا ! ومن خلال النظرة الفاحصة تشعر أن القصر . . . والمكان . . . حتى السكان تعرضوا لأحداث غير عادية . . اللوحات أثرية . . الجـدران تتـطلع بصمت الى الأحـاديث التي تجـري . . قـطع الأثـاث والسجاجيد الغالية ألوانها ما تـزال زاهية . . . كـل شيء قديم ومـع ذلك تشعر بجمال القديم وروعته اذا ما ظل محافظاً على كبريائه . . . كـل شيء قديم كما لو كان ذلك لوحة رسمها القدر لحزب الوفد وآثاره !

طرح أحد الضيوف ، وكان معمماً قصة الـوفد مـع الاخوان المسلمـين وانتظر أن يأتيـه الجواب وافيـاً ، لا أذكر اسم السـائل ، ولكن من صيغـة سؤ اله يشعرك أنه يعرف الأسرار .

كـان ذلك في أوائـل عام ١٩٧٦ ، وكـان اسم فؤاد سراج الـدين قد أخذ يطفو على السطح وعاد ليتردد على ألسنة ملايين المصريين . .

ولأن السائل يريد الجواب الواضح على سؤاله انطلق صاحب القصر يتكلم .

كان حديث فؤاد سراج الدين في تلك الساعة شهادة تاريخية تشم فيه رائحة الصدق ، وتسمع من خلال ابتسامته المتفائلة ما يدل ويشير الى أن الحياة تعود الى المكان كله بعد أن أصبح الدور الأول من القصر المقرّ المؤقت لحزب الوفد . . . للاجتماعات التي تبدأ من الصباح وتنتهي في ساعة متأخرة من الليل ، لوضع اللمسات الأولى للحزب الذي سيعلن عن استئناف نشاطه قريباً بعد استكمال وسائل إعلانه .

تكلم سراج الدين على مدى ثلاث ساعات ، كان السائل يتدخل أحياناً ويصحح بعض التواريخ ويعقب على بعض العبارات .

بحق كان المكان قديماً . . ولكن الذي كان يتحدث ويشرح جعل الحضور يعيشون مع الحاضر وينصتون الى المتكلم .

قال فؤاد سراج الدين :

سألني فضيلة الشيخ عن علاقة الوفد بالاخوان ، وأريد هنا أن أوضح وجهة نظري لا كمواطن فحسب ، بل كمسؤول سبق له أن تولى المناصب الوزارية ، والجلوس طويلاً في مقاعد المعارضة ، لا شك أن فضيلة الشيخ يريد مني معرفة رأيي بالاجراءات التي اتخذها الاستاذ ابراهيم عبد الهادي ( رئيس الحكومة التي جرى اغتيال البنا في عهده ) .

فيما يختص بالاجراءات التي اتخذها ابراهيم باشا مع الاخوان المسلمين ، كانت من وجهة نظره لها ما يبررها . . فقد تولى الحكم عقب اغتيال رئيسين للوزارة هما المرحوم أحمد ماهر ، وقد قتل في مجلس



الدكتور نعمان جمعة يعلن في مؤتمر صحفي عودة الوفد .

النواب ، والمرحوم النقراشي باشا وقد قتل في فناء وزارة الداخلية ، وتولى هو الحكم بعد ذلك ، وكانت هناك موجة خطيرة من حوادث الاغتيالات والاعتداءات السائدة في البلد . . . فقد اغتيل حكمدار بوليس القاهرة اللواء ( سليم زكي ) كما ضبطت مخازن سرية للأسلحة والمتفجرات ، فاضطر عبد الهادي لأن يسلك مسلكاً عنيفاً بعض الشيء ليحفظ الأمن ويضع حداً لهذه الحوادث الدامية المتوالية . .

إن الاخوان يعتبرون أن الإجراءات التي اتخذت معهم زادت عن المألوف ، شابها شيء من حوادث التعذيب والتنكيل وشملت اعتقال مئات منهم ، ودافع عبد الهادي بأنه اضطر الى استعمال شيء من الشدة صيانة للأمن واقراراً للنظام، ثم أن هناك موضوعاً قديماً بين الاخوان والأحرار الدستوريين ( عبد الهادي زعيم الدستوريين ) هو موضوع الانتخابات واصطدام السعديين بالاخوان في حينه . . . كل هذا جرى قبل ١٩٥٢ ، يعني مضى عليه أكثر من ثلاثين عاماً أي أصبح في ذمة التاريخ ، وأنا يهمني الآن أن ننسى الخلافات والمواقف الماضية ، واذا وضعنا أنفسنا مكان

عبد الهادي نجد أن الرجل بعد مقتل اثنين من رؤساء الوزارات والحوادث العنيفة ، مثل مقتل الخازندار وسليم زكي ووضع القنابل في بعض دور السينما ، كان لا بد من موجة انضباط . . كان لا بد من شيء من الشدة والحزم والاّ سادت الفوضى ، وهذا ما فعله الرجل . أنا آخذ على هذا الاجراء ، انه كان عاماً شمل عدداً كبيراً ، منهم أناس لم تكن لهم صلة بما حدث وربما ان من العسير وقتها اجراء التمييز الدقيق المطلوب ، ولذلك عندما اشتركت في وزارة حسين سري الائتلافية سنة ١٩٤٩ اقترحت الافراج عن كل المعتقلين الاّ الذين عليهم أدلة ثابتة تثبت خطورتهم على الأمن العام ، وألفت لجنة وزارية تمثل الأحزاب المشتركة في حكومة حسين سري ، وكنت ممثلاً عن الوفد ، وقد بذلت مجهوداً كبيراً في الافراج عن أكبر عدد ممكن من الاخوان المسلمين . .

وسأل الشيخ :

بعد فوزكم الساحق في الانتخابات ، وتوليك وزارة الداخلية لماذا لم تجر يا باشا أي تحقيق حول مقتل الشيخ حسن البنا ؟

أجاب سراج الدين :

حلمك يا مولانا . . في الواقع لم نجر هذا التحقيق لأن الحادثة قد تم تحقيقها بمعرفة النيابة وقت وقوعها وقيد البحث ضد مجهول ، وحفظت القضية لعدم معرفة الفاعل ، ولم يتقدم أحد بشكوى الى الحكومة بشأن هذا الحادث أو يتظلم من قرار الحفظ أو يطعن في اجراءات التحقيق الأمر موضع نظر من جديد بأدلة أو معلومات جديدة تستوجب الغاء قرار الحفظ واعادة التحقيق . وأظن بعد الثورة لم يعد التحقيق في هذا الموضوع على أساس أن النيابة العامة فيه الى رأي معين . . . ولم تظهر أدلة جديدة حتى يمكن الغاء هذا القرار الصادر من النيابة . . ولو أن شكوى قدمت اليّ ، أو الى وزير العدل وقتها ، أو الى النائب العام ضد قرار النيابة بحفظ

التحقيق وقيده ضد مجهول ، كان لا بد أن نحقق في هذه الشكوى ، لكن حقيقة لم يتقدم أي أحد بأي شكوى في هذا الصدد ، وأظن هذا الموضوع سئل فيه ابراهيم عبد الهادي أمام لجنة اعادة كتابة التاريخ التي شكلت من عامين أو ثلاثة ( لجنة حكومية شكلها السادات برئاسة حسني مبارك نائبه يومها ـ الرئيس الحالي ) وحضرت أمامها حوالي سبعة اجتماعات ولم يفت لجنة اعادة كتابة التاريخ طبعاً ان تهتم بهذه المسألة ، واللجنة لها محاضر يمكن الاطلاع عليها . .

على كل حال يا مولانا فان حادث مقتل حسن البنا لم يثر أثناء حكومة الوفد ، وحتى في محكمة الثورة التي حوكم أمامها ابراهيم عبد الهادي وحكم عليه بالاعدام ، لم توجه اليه تهمة الاشتراك في مقتل حسن البنا أو تدبيره ، طبعاً لو أنه كان هناك شبهة في هذا لكانت المباحث الجنائية العسكرية التي كانت تحقق في قضايا سياسية ، قد أعادت التحقيق ولم تنته الى نتيجة جديدة ، أو لم تعده اطلاقاً . . . الله أعلم ، ولكن على كل حال فان تقرير اتهام ابراهيم عبد الهادي أمام محكمة الثورة لم يتضمن هذه التهمة . . . لقد أشار الى اعتقال الاخوان . . . أشار الى حوادث التعذيب . . . أشار الى حرب فلسطين . . . ولكنه لم يشر الى هذه النقطة اطلاقاً . .

احتد الشيخ السائل ، وتنحنح وأطلق سؤالاً جديداً أحدث نوعاً من الوجوم حين قال :

ـ أيه يا باشا طالما أعلنتم أن الوفد يتمسك بحرية الانسان وحقه بالتعبير عن رأيه ، واحترام أدميته ، وذكرت لنا في موضوع الاخوان انه كان هناك مصادرة أملاك وأموال ووجود معتقلين فأين الأمان الذي تتحدثون عنه ؟

ـ تقصد يا مولانا أن الديمقراطية في حكومة الوفد لم تشمل الاخوان

المسلمين . . هنا نقطة أريد التركيز عليها أمامك . . أنا أعرف لماذا طرحت هذا السؤال .

إن الوفد لم يمنع الاخوان المسلمين من تكوين حزب سياسي وهم الذين آثروا بقاءهم كجمعية دينية ، وملاحظتنا كانت منصبة على أنه لا يجوز لهم الجمع بين النشاط الديني كجماعة دينية وبين النشاط السياسي كحزب سياسي ، وأذكر أنه عندما لاحظت في فترة الوزارة الوفدية من ٤٢ ـ ١٩٤٤ التي اشتركت فيها بعض التصرفات السياسية من الاخوان ولرائد الاخوان أو مرشدهم المرحوم حسن البنا ، أذكر أنني استدعيته الى مكتبي في وزارة الداخلية وقلت له :

« . . . يا شيخ حسن أنا عايز أعرف أنتم جماعة دينية أو حزب سياسي ؟ احنا ما عندناش مانع أبداً انكم تكونوا حزب سياسي ، لكن أعلنوا هذا على الملأ ، وأعلنوا انكم بتشتغلوا بالسياسة وانكم كونتم حزب سياسي ، أما أن تتستروا تحت ستار الدين ، والله أكبر ولله الحمد ، وفي نفس الوقت تقوموا بالعمل السياسي وتباشروا السياسة الحزبية فهذا غير معقول ، لأنه يخل بمبادىء تكافؤ الفرص بينكم وبين الأحزاب السياسية ، أنا كرجل سياسي حزبي لا أستطيع أن أهاجم جماعة دينية تنادي بشعارات دينية سامية ، شعارها الله أكبر ولله الحمد وتخطب في المساجد . . . لأنني لو هاجمت هذه الجماعة كرجل سياسي أو كرجل حزبي أكون محل استنكار من الرأي العام ، وأخسر ، انما لو أنك حزب سياسي مثلي ، ستهاجمني وأهاجمك وتنتقدني وأنتقدك الى آخر الممارسة السياسية ، ونحن لا ننكر عليكم كمواطنين حقكم في العمل بالسياسة ، ولكن أعلنوا ذلك صراحة ، ولا تتستروا بستار الدين ولا تتخفوا في زي الدين » . .

فكان رد الشيخ حسن البنا :

« . . أبداً نحن لم نفكر في العمل بالسياسة ، ولعن الله السياسة ،

ونحن رجال دين فقط ، ورجال فكر ديني ، واذا كان صدر من بعض رجالنا ، أو من بعض شُعبنا أي عمل يخالف هذا الخط ، أو يدل على اتجاه سياسي فأنا أستنكره وسأوقفه عند حده فوراً . . » .

ويمضي سراج الدين قائلاً :

وانصافاً فان الشيخ حسن البنا أوقف فوراً كل هذه المظاهر التي كنت أنا قد لاحظتها . .

إذن هم الذين كانوا حريصين جداً ولآخر لحظة ، والى أن حُلُّوا ، على أن يعلنوا أنهم بعيدون كل البعد عن السياسة ، وفعلاً لا يمكن الجمع بين الاثنين أبداً ، لأنه كما قلت يعتبر خلطاً بين الأوضاع ويجعل تكافؤ الفرص منعدماً بينهم وبين أي حزب سياسي ، لأن دعوى الدين دعوى براقة تستهوي العامة والخاصة ، وتستهوي كل الناس ، فخلطها بالسياسة ، أو مزج السياسة بها يقضي على تكافؤ الفرص . . . وأيضاً ليس في مصلحة الدين ، وليس في مصلحة السياسة ، وبالتالي ليس في مصلحة البلد . . » .

عاد الشيخ الى هجومه من جديد ، وكأنه لم يقنع بما أورده سراج الدين ، فتساءل قائلاً :

مرة ثانية يا باشا لماذا منعتم الاخوان من العمل وهم يستندون الى الدين ، ألم يكن من الأولى أن تصرحوا للاخوان الذين يعملون لجعل الاسلام نظاماً سياسياً أو اجتماعياً ؟

لم تفارق الابتسامة وجه سراج الدين ، بل ازدادت اتساعاً ، وقال :

« . . يا مولانا نحن لا نمنع الاخوان من تكوين حزب ، كما أن الاخوان لم يطلبوا يوماً تكوين حزب سياسي بل كانوا يرفضون هذه الفكرة في كلامهم وفي أحاديثهم وفي كل محاضراتهم . . هم حاولوا أن يشتغلوا بالسياسة من وراء ستار ، أي تحت الأرض في الفترة الأخيرة بعد سنة

١٩٤٤ ، وهذه المحاولة لها أسباب وظروف خاصة ، انما لم يطلبوا في يوم من الأيام تكوين حزب سياسي ، ولو طلبوا تكوين حزب سياسي ما منعهم أحد ، ولكنهم في هذه الحالة سيخسرون البريق الديني الذي يعيشون عليه ، لأنهم يرون أحزاباً سياسية قائمة ومؤصلة من سنين ، ومع ذلك فهم في توق للعمل السياسي دون الالتزام بالواجبات السياسية ، ثم أن تكوين الأحزاب السياسية قبل عام ١٩٥٢ كان مباحاً لأي فرد أو جماعة ، ولا يتطلب ذلك تقديم أي طلب لأي جهة مسؤولة ، ولا يستلزم موافقة أي جهة كما هو عليه الحال الآن ، اذن لم يمنعهم أحد من تكوين حزب سياسي ، بل هم الذين منعوا أنفسهم .

لم يقنع الشيخ من كلام الرجل ، فسرعان ما استأنف سراج الدين حديثه :

« . . اسمع يا مولانا أظنك لم تنس أنني ( زرتكم ) في المركز العام في الحلمية وأنا وزير للداخلية خطبت وقلت :

يشرفني أن أكون عضواً في الاخوان المسلمين ، ولكني لا أستطيع أن أفعل هذا وأنتم حزب سياسي ، اذ من غير المعقول أن أكون عضواً في الوفد ، وفي حزب الاخوان المسلمين في وقت واحد . . فأنا أريد أن أعرف من أنتم ؟ هل تريدون حزباً سياسياً . . . قولوا لي حتى نحدد علاقتنا معكم على النمط الصحيح . . فكان جوابهم الاجماعي :

لا . . مش ممكن أبداً نكون سياسيين أو نحب السياسة ، نحن رجال دعوة دينية . .

وأنا يا مولانا لا يمكنني أن أنكر أنه طيلة استمرار الحكومات الوفدية لم نصطدم بالاخوان ، واستمرينا نعامل الاخوان كجماعة دينية نمنحها الاعانات والتسهيلات والتشجيع الكامل ، اذ لو أن الجمعية تحولت الى حزب سياسي كانت ستعامل كالأحزاب السياسية عندما تعامل بعضها في

حدود الدستور والقانون ، ثم يا مولانا لو ان كل طائفة دينية ألفت حزباً سياسياً دينياً سنجد المسيحيين يكوّنوا حزباً دينياً سياسياً ، والمسلمون كذلك واليهود أيضاً ، ولن يكون هذا للصالح العام أبداً ، لأنه تفتيت للوحدة الوطنية ، وينقلب الأمر الى صراع طائفي خطير جداً ، ونكون قد قضينا على أكبر ثمرة لثورة ١٩١٩ وهي تحقيق الوحدة الوطنية . .

سأل الشيخ : ألم يرشح نفسه الشيخ حسن البنا للانتخابات ويسقط ، ثم ألم تزور انتخابات الاسماعيلية ؟

أجاب سراج الدين :

أعتقد أن الشيخ حسن البنا رشح نفسه في أنتخابات ١٩٤٢ ، ولا صحة مطلقاً لما يردده البعض بأن النحاس باشا طلب منه الانسحاب ، أما ما يقال بأننا زورنا الانتخابات عام ١٩٤٢ لاسقاط البنا فلماذا لم يدخل انتخابات ١٩٤٥ ، والوفد كان خارج الحكم ، ولم يشترك فيها ، وكان المجال واسعاً أمامه ، وفي عام ١٩٥٠ وبعد مقتل الشيخ البنا لماذا لم يرشح الهضيبي نفسه في الانتخابات ثم نحن لا ننسى مطلقاً أن الاخوان المسلمين ناصرونا في انتخابات ١٩٥٠ . اما علاقتنا بالاخوان فكانت تصطدم أحياناً بالتحالفات التي كان الاخوان يقيمونها مع خصوم الوفد لضرب الوفد ، وهذا مسطور في كتب التاريخ ومعروف لدى الخاصة ، ثم لماذا لانترك التاريخ للمؤرخين ونعمل للمستقبل . . ؟

نحن أمام مرحلة جديدة وعلينا أن نتعاون للانقاذ ، وكل من يستطيع أن يخدم بلده فالساحة أمامه مفتوحة ، ونحن نمد يدنا الى الجميع دون استثناء . .

بعد أن انتهى سراج الدين من حديثه انصرف الشيخ وهو نصف غاضب ونصف راض .. وقد علمنا بعد خروجه أنه قام بزيارته للرجل بناء على وساطة منه لاصلاح سوء فهم نشأ بين الأستاذ عمر التلمساني

رئيس الجماعة وسراج الدين بسبب قيام الاستاذ التلمساني بزيارة سراج الدين في منزله بناء على موعد سابق فلم يجده ، فغادر المنزل ، وقد عرف التلمساني أن سبب غياب سراج الدين في حينه هو زحمة المرور ، فلم يستطع الوصول الى منزله في الوقت المحدد ، وقد سوي الأمر بعد ذلك في مناسبة اجتماعية .

# .. وانتصر السياسي الاعزال
# على رئيس القوي

في ٢٣ (اغسطس ـ آب ١٩٧٦) ، أقامت نقابة المحامين في مصر بمقرها في القاهرة احتفالا بذكرى وفاة الزعيمين سعد زغلول ومصطفى النحاس ، وكان الاهتمام بالحفل غير عادي سواء بالنسبة للحكومة وحزبها ( الوطني ) أو بالنسبة لجميع المهتمين بالعمل السياسي . . . وهذا الاهتمام الفائق كان بسبب قيام الاستاذ فؤاد سراج الدين المحامي ، وأمين الوفد ، بالقاء الخطاب الرئيسي .

كان الحضور الذين غصت بهم القاعة يتوقعون أن يعلن سراج الدين عودة حزب الوفد بعد مرور حوالى أثنتين وعشرين سنة على حله .

والقى الرجل الكلمة المنتظرة التي استغرق إلقاؤها أربع ساعات وقد شن فيها هجوماً صاعقاً على الحكومة وحزبها وأنصارها وسياستها . . . ودافع عن حزب الوفد ، حزب الامة ، ورد على جميع الاتهامات التى وجهها النظام إلى قادة الحزب على امتداد ربع قرن .

قال سراج الدين كل هذا دون أن يعلن عن قيام حزب الوفد .

كانت كلمته بمثابة تيار كهربائي سرى في جسد الحياة السياسية التي ظلت معطلة طيلة سنوات حكم الثورة .

جاء خطاب الرجل بمثابة مفاجأة غير متوقعة للرئيس الراحل محمد

أنـور السادات ، فسـرعان مـا أعلن السادات وحكـومته وأجهـزته ورجـال صحافته الحـرب على سـراج الدين واخـوانه الـذين يعملون لاعادة حـزب الـوفد الى العمـل السيـاسي . وبدأت الحرب من طـرف واحـد ، طـرف السادات ضد سراج الدين ، وتصاعدت الحـرب من طرف واحـد أيضاً ، طرف السادات ، وبلغت ذروتهـا بمنع الـرجل من العمـل السياسي بقـرار جمهوري لم يسبق له مثيل ، لا في مصر ، ولا في خارجها .

هذه الحرب كـانت بمثابـة الدعـاية للرجـل الذي غـاب عن الاسماع والأنظار منذ عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٧٦ ، وبـدأت أنظار أجهـزة الاعلام العربية والدولية تتجه اليه وتتحدث عنه .

كـان المشهـد مثيـراً جـداً . . . أذ كيف يستـطيـع رجـل قـارب عـلى السبعين ، أعزل من كـل سلاح ، أن يثـير كل هـذا الاهتمام داخـل مصر وخارجها رغم عزلته السياسية منذ قيام حركة الضبـاط الأحرار ١٩٥٢ . . ولعل هذا الاهتمـام هو الـذي أثار السـادات فجعله يندفـع في حربـه ضد الـرجـل ألى أقصى الحـدود ، وذلـك حـين وافق مجلس الشعب في اول ( حزيران - يونيو ) ١٩٧٨ على قانون حماية الجبهة الداخلية الذي نص على تطبيق قانـون العزل السيـاسي بحق السياسيـين الذين تـولوا منـاصب قبل ثورة يوليو ، وحق الحكومـة في عزل أي قيـادة ، في أي حزب ، بـل وحل الحزب أيضاً .

ولكي يمنـع الحزب ، حـزب الوفد، السادات من تنفيـذ تهديـده بحل الحـزب ، أقدم بنفسـه على خـطوة الحل بعـد أن أدرك أنـه المقصـود بهـذا القـانون العجيب . وكـان مفترضـاً بعد صـدور قانـون كهذا أن يستـأنف سراج الدين عزلته ، ولكن الـذي جرى عـلى الارض هو العكس تمـاماً ، وبدأت الأضواء تتسلط عليه أكثر، وأصبـح ظاهـرة وعلامـة استفهام لـدى الشباب والطلاب خاصة ، أي الجيل الذي نشأ في ظل ثـورة ٢٣ يوليـو ،

ولم يسمع عن حزب الوفد ورجاله سوى الاتهامات والشتائم وتلطيخ سمعة قادته بالوحل .

لقد أعتقد هذا الجيل أن السياسيين القدامى انتهوا إلى غير رجعة بعد أن سلطت عليهم الثورة أجهزة إعلامها ، وإذا بهذا الجيل الذي نشأ وترعرع في ظل الثورة يفاجأ بعودة أمين الحزب إلى العمل العلني متحدياً رئيساً تخضع له القوانين والأجهزة ووسائل الإعلام بأساليب غير متعارف عليها عالمياً . . . يعود سراج الدين بدون صحيفة ، أو مقر ، أو تنظيم ، وخلال خمسة أشهر ، ووسط حرب استطاع من خلالها وهو الأعزل من كل سلاح أن يثير رئيس جمهورية بامكانه تمرير أي قرار ، أو قانون ، أو استفتاء بحكم سيطرته المطلقة على معظم اعضاء المجلس النيابي . . . ولم ينعم الرئيس بنوم هادىء الآ بعد أن فرض العزلة الإجبارية على الأعزل سراج الدين . . . ولكن هذا ( الأعزل ) استطاع أن يقف على قدميه ، ويقاوم بضراوة . فكيف حدث ذلك ؟

بعد وفاة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وأقدم خلفه السادات على إقامة ما سماه بالمنابر الثلاثة ، والتي تحولت فيها بعد الى ثلاثة أحزاب شبه رسمية ، تعمل في ظل الديمقراطية ( المنضبطة ) و ( والمقننة ) . . في هذا الجو تحرك الأستاذ فؤاد سراج الدين وإخوانه من الوفديين ، لإعادة تنظيم حزب الوفد تمهيداً للخروج الى الشارع السياسي من بابه الواسع . وبالفعل ، فإنه بمجرد صدور قانون الأحزاب ١٩٧٧ تمكن سراج الدين من تخطي العقبات والقيود كافة التي يفرضها ذلك القانون ، ومنها ضرورة وجود عشرين عضواً في مجلس الشعب ضمن أعضائه ، فسرعان ما أخرج سراج الدين هؤلاء النواب من عباءة السادات ، وأعتبر الوفد الحزب الوحيد الذي نجح في هذا الرهان ، وقدم أوراقه إلى اللجنة المركزية التي تعتمد على أن تحكم الأقلية المنضوية تحت لوائه الأكثرية ( وثائق بريطانية افرج عنه عام ١٩٨٠ ) فجاء الوفد الى الحكم .

خرج حزب الوفد من عزلته فوجد استجابة قوية لم يجدها أي حزب آخر ، لدرجة استطاع خلال فترة وجيزة أن يضم مليون مواطن الى عضويته جلهم من الشباب .

الّا أنه لم يستمر طويلاً في ممارسة نشاطه العلني ( ١٠٠ يوم ) استطاع خلالها أن يترك تأثيراً في الشارع السياسي المصري ، فتقدم الأستاذ فؤاد سراج الدين خطوة اخرى فالقى خطابه الذي اشرنا اليه ، فلم يلبث أن وقع الصدام المباشر بين حزب الوفد والرئيس السادات ، وكانت ساحته مدينة الاسكندارية .

ففي أيار ـ مايو ـ ١٩٧٨ خلت احدى الدوائر الانتخابية في مدينة الاسكندرية نتيجة طرد ممثلها من مجلس الشعب فقرر الوفد النزول الى تلك الانتخابات ، وبالفعل استطاع أن يدير المعركة تساعده خبرة اصلية في العمل السياسي وتنظيم الانتخابات ، ولم يلبث الناس أن التفوا حوله ، حتى أن الخطاب الذي القاه الأستاذ فؤاد سراج الدين عشية الأنتخاب حضره أكثر من ربع مليون مواطن . . وبدأ الشباب يلتفون حول حزب الوفد وقياداته .

اعطى الرئيس السادات شارته الحمراء إلى حكومته وأجهزته وناسه ( لضرب حزب العجائز ـ وفق تعبيره ) وشمرت أجهزة الإعلام الموجه عن سواعدها وشنت الهجوم الميداني اليومي على حزب الوفد ورجاله عامة ، وسراج الدين خاصة . . وكتب ( موسى صبرى ، رئيس تحرير الأخبار والكاتب الخصوصي للرئيس السادات ) مقالاً تحت عنوان : ( فؤاد سراج الدين فقد ذاكرته ) فرد عليه سعراج الدين بمقال نشر في الأخبار ١٩٧٧/٣/٣ تحت عنوان : ( ومتى كان لاعداء الوفد ذاكرة ) .

ولم يسبق للصحافة المصرية أن نزلت الى هذا الدرك المخجل من الاسفاف في هجوماها على حزب لديه تاريخ مشرف ، مما دفع الدكتور

يوسف ادريس إلى الاعلان بأنه ينضم الى الوفد وقال : « نقسم بالوطن أننا لن نفرط في قضيته ، لقد أمرني الطبيب بأن أمكث في فراشي ، ومع ذلك فقد رأيت أن الموت هناك ، والحياة هنا ، لأن الشعب هنا ، إن القلم سيتحول في يدى إلى مدفع » .

لم يعد بإمكان رئيس الجمهورية أن يضبط أعصابه ، فإذا به يدعو مساء ١٤ أيار - مايو - ١٩٧٨ ( الجماهير ) الى استفتاء مستنداً الى المادة ١٥٢ من الدستور المصري الصادر عام ١٩٧١ ( دستور السادات ) بهدف عزل قيادات الوفد وتحجيم دوره بحجة مشاركتهم في افساد الحياة السياسية . وبالفعل فقد صدر هذا الاستفتاء الشكلي ( اطلقت عليه جريدة لوكانار انشينيه الباريسية الساخرة لقب احصاء ) القانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٧٨ بشأن حماية الجبهة الداخلية من السلام الاجتماعي ، والذي يقضي عزلاً سياسياً لجميع الذين تقلدوا المناصب الوزارية أو اشتركوا في قيادة الأحزاب أو ادارتها قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ما عدا ( الحزب الوطني ) - حزب الدولة - و ( حزب مصر الفتاة ) .

بعد أقل من أسبوع من إذاعة بيان الحكومة والدعوة إلى الاستفتاء أصدر حزب الوفد بياناً في ٢٠ ( مايو - أيار - ) أعلن فيه رفضه ومقاطعته للاستفتاء ، واعتبره موجهاً اساساً إلى قياداته وبخاصة الأستاذ فؤاد سراج الدين ، وأصدر قرارا بحل نفسه في ( ٢ حزيران - يونيو ) ١٩٧٨ ورغم أن الوفد قد حل نفسه ، الاّ أن قياداته وجدت نفسها تجر إلى الاعتقال ضمن اعتقالات ( أيلول - سبتمبر ) ١٩٨٠ المشهور ، ودخل زعيمه فؤاد سراج الدين السجن من جديد . كثيرون أنتقدو قرار حزب الوفد بحل نفسه ، لأن الحزب هو فكرة ومبدأ ، أو مجموعة مبادىء وأفكار ، والأفكار قد تذبل وتموت بانصراف الناس عنها ، ولكنها لا تنتحر بأن تطلق رصاصة الرحمة على رأسها . .

وذهبوا إلى سراج الدين يشكون . .

كيف تجمع في حزب واحد الوفدي القديم، مع اليميني والشيوعي، وأحد ضباط الأحرار مع تشريفاتي جمال عبد الناصر، وشقيق المشير عامر مع المحكوم عليه من قبل محكمة « الدجوى » ؟ !

وقد رد الأستاذ فؤاد سراج رئيس الحزب، والدكتور وحيد رأفت نائبه، وابراهيم فرج أمينه العام، على هذا النقد بأن الوفد الأول كان يضم بعض المستقلين وبعض أعضاء حزب الأمة، وبعض أعضاء الحزب الوطني وبعض الذين اشتركوا في ثورة عرابي.

بعد مرور وقت اتضح للذين انتقدو قيادة الحزب على حل الحزب أنهم على خطأ، وأن القيادة على حق، بدليل أن الأستاذ فؤاد سراج الدين قد بعث الى الرئيس السادات بخطاب انتقده فيه على تصرفاته. . . دون أن يهتم بقرار الحزب بحل نفسه.

يقول الرجل في رسالته الى السادات المؤرخة في ٢٣ (مايو ١٩٨١):

بسم الله الرحمن الرحيم

**السيد الرئيس محمد أنور السادات.**

**رئيس جمهورية مصر العربية ورئيس الحزب الوطني الحاكم.**

**تحية طيبة وبعد.**

**لقد دأبتم سيادتكم على شن هجوم عنيف على الوفد وزعمائه وعلى رأسهم الزعيم الوطني خالد الذكر مصطفى النحاس، ثم على الوفد منذ قيامه بل وحتى بعد حله الى اليوم، وكان لشخصي النصيب الأوفى من هذا الهجوم، واستخدمتم في ذلك كل وسائل الاعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون ومنبر مجلس الشعب، ولا يكاد يخلو خطاب أو بيان لسيادتكم**

من هذه الحملات الضارية والهجوم العنيف، وفي هذه الخطب والبيانات ذكرتم الكثير من الوقائع التي لا تتفق والحقائق التاريخية الثابتة.

ولقد ازدادت هذه الحملات عنفاً في الآونة الأخيرة بشكل لفت الأنظار، وتصاعد الهجوم على مصطفى النحاس وعلى شخصي وعلى السياسيين والحكام قبل سنة ١٩٥٢ بصفة عامة وإلى حد كبير لم يعد ممكناً السكوت عليه، ذلك السكوت الذي ألزمنا أنفسنا به على مضض منذ حل الوفد في يونيو سنة ١٩٧٨، ومع الأسف البالغ صاحب هذا التصاعد في التهجم علينا تصاعد مماثل في عنف العبارات وشدة الألفاظ التي تجاوزت كل عرف مألوف في عالم السياسة، ويزيد من جسامة الأمر صدور ذلك من رئيس الدولة.

لقد نسبتم إلينا في خطبكم وبياناتكم المتعددة المتلاحقة صفات كثيرة منها على سبيل المثال (السفالة) و (البذاءة) و (الرذالة)، و (قلة الأدب) و (قلة الحياء) و (الذباب) ووصل الأمر أن ذكرتم في خطابكم الأخير بجامعة الاسكندرية في يوم ١٦ مايو بأن الانكليز كانوا (يضربوننا بالصرم)... إذ قلتم سيادتكم:

(وكان جنبي السفير الانكليزي وأنا في العشاء يوم ما كنت أكرم الأمير فيليب في السفارة وقلت له أنتم معذورين... لأنه إذا كان الباشا وصاحب المقام الرفيع ورئيس حزب وصاحب دولة وصاحب معالي كل دول بيجوا زي الذباب تحت رجليهم.. طيب هو لازم يعاملوهم كده).

(وواحد يقول انه باشا ابن باشا.. ايه ده.. ايه ده... دول كانوا بيدّوا له بالصرم الانكليز).

إننا يا سيادة الرئيس لم نكن من الرجال الذين يضربون بالصرم... ومن يحاربون الانكليز في معركة القنال في عام ١٩٥١ ويطلقون عليهم

الرصاص ويقتلون العشرات من ضباطهم وجنودهم في معركة وطنية شهد بها العالم كله لا يمكن أن يضربوا بالصرم .

ومن يمنعون السفن الانكليزية بالقوة عند محاولة اجتياز خليج العقبة في يوليو سنة ١٩٥١ حفاظاً على سيادة مصر وعلى مياهها الاقليمية لا يصدق فيهم القول بأنهم كانوا يضربون منهم بالصرم. . . وأرجو أن ترجع في الوقوف على الحقائق التاريخية الى مؤلفات أساتذة الجامعات الذين تخاطبهم وفي هذا الشأن بالذات أحيل سيادتكم إلى مؤلف الأستاذ الدكتور (حامد سلطان) أستاذ القانون الدولي بجامعة القاهرة ـ طبعة ثانية ١٩٦٥.

ولعل سيادتكم لا تذكرون حادث السفينة الانكليزية (امباير روش) التي حاولت في ١١/ ٧/ ١٩٥١ اجتياز مياه خليج العقبة حاملة بترولاً وقاصدة ميناء (ايلات) فأوقفتها السلطات المصرية بالقوة ووضعت حرساً عسكرياً فوق ظهرها واحتجزتها، واستعملت مصر في ذلك حقها في سيادتها الكاملة على مياهها الإقليمية، ولما احتجت انكلترا على هذا الاجراء ردت مصر على الاحتجاج بقوة وحق وكرامة، ثم تلقت مصر بتاريخ ٢٩/ ٧/ ١٩٥١ كتاباً رسمياً من السفارة البريطانية سلمت فيه بحق مصر وسيادتها على مياهها الاقليمية، وتعهدت بمراعاتها الاجراءات عند مرور سفنها بالمياه الاقليمية المصرية.

وهل من يلغون معاهدة ١٩٣٦ متحدِّين الانكليز ولهم عشرات الألوف من الجنود في قاعدة القنال يمكن أن يقال عنهم إنهم كانوا يضربون من الانكليز بالصرم. . !

السيد الرئيس.

إن هذه الألفاظ جديدة على قاموس السياسة المصرية، وأرجو أن

تصدقني إذا قلت لك إنها تترك في مشاعر الشعب المصري أسوأ الأثر، وليس من شك كذلك في أن الشعب يؤلمه أشد الألم ذلك الهجوم المتوالي الشرس على زعيمهم الوطني الراحل مصطفى النحاس، وأن زعامة مصطفى النحاس لا ينال منها ذلك الهجوم بل أن ذلك يزيدها تمكيناً في النفوس ورسوخاً في القلوب. لقد ظل مصطفى النحاس هدفاً للهجوم المتصل منذ يوليو ١٩٥٢ إلى أن توفاه الله في ٢٢ أغسطس ٩٦٥ ورد الشعب مرة على هذا الهجوم أبلغ وأقوى رد في تشييع جنازته، ولم تضع وفاته حداً لهذا الهجوم بل ظل واستمر واشتدت ضراوته بعد وفاته وإلى اليوم. وقد رد الشعب مرة أخرى على هذا الهجوم الجديد بذلك الاقبال الضخم الهائل على حزب الوفد الجديد عند قيامه في فبراير سنة ١٩٧٨، وقد كان هذا الاقبال وخاصة من الشباب حديث مصر كلها كما أنه قلب كل الحسابات رأساً على عقب..

إن الزعامات الوطنية يا سيادة الرئيس تفرضها الأحداث وتضفيها الشعوب على صاحبها ويسجلها التاريخ ولا تمنح أو تسلب بمقالات أو خطب أو بقول فرد مهما سما مركز هذا الفرد ولو كان رئيساً للدولة، وإن إنكارهم لزعامة مصطفى النحاس لا ينتقص من قدرها ولا يمحوها من صفحات التارخي ولا من قلوب الشعب.

السيد الرئيس.

أرجو أن تسمحو لي بابداء دهشتي مما ورد في خطابكم في ١٦/ ٥/ ١٩٨١ ونصه:

(وكان جنبي السفير البريطاني وأنا في العشاء يوم ما كنت باكرم الأمير فيليب في السفارة وقلت له أنتم معذورون لأنه إذا كان الباشا صاحب المقام الرفيع ورئيس حزب وصاحب دولة وصاحب معالي كل دول بييجوا زي الذباب تحت رجليهم.. طيب ما هو لازم يعاملوهم كده..)

إذ كيف ساغ لكم أن تهاجموا زعماء مصر وحكامها السابقين في السفارة البريطانية وهي معتبرة أرضاً انكليزية بحكم القانون الدولي وفي حديث مع السفير البريطاني، ومما يزيد الأمر دهشة أنه لم يكن هناك داع أو مناسبة تقتضي هذا الطعن الغريب، لقد حملتم منذ أيام حملة شعواء على رئيس حزب العمل بدعوى أنه حضر اجتماعاً في دمشق هوجمت فيه مصر وحكام مصر ـ وهو ما نفاه ـ واعتبرتم سكوته على ذلك عملاً غير وطني . .

السيد الرئيس.

إنك تدعو المواطنين لنبذ ألفاظ العيب والتمسك بأخلاق القرية، فهل من أخلاق القرية توثيق الخصم بأشد القيود وحرمانه من كافة وسائل الدفاع عن نفسه، في الوقت الذي يهاجم فيه بكافة أساليب الهجوم. . . إننا نتطلع إلى أن يكون هذا المبدأ ـ مبدأ التمسك بأخلاق القرية ـ مبدأ منفذاً فعلاً لا مجرد شعار. . .

إنك يا سيادة الرئيس تقول إنك كبير العائلة المصرية وإنك حفيظ على حق كل مواطن وكرامته أليس حق الدفاع والرد من أولى هذه الحقوق؟

من هذا المنطلق أطلب أن تتسع صفحات الصحف القومية ـ وسلطانكم عليها غير منكور ـ لنشر هذا الخطاب، كما أرجو أن تتاح لنا فرصة أمام التلفزيون والاذاعة للدفاع عن أنفسنا والرد على ما يوجه الينا، وهذا هو الأسلوب الديمقراطي الصحيح المتبع في جميع بلاد العالم الديمقراطي ونشاهده كل يوم. . وإلا كانت ديمقراطيتنا من نوع خاص ننفرد به دون سائر الديمقراطيات. لقد فاخرتم سيادتكم في إحدى خطبكم بأن الديمقراطية عندنا فاقت مثيلتها في انكلترا. . . فهل في

انكلترا يحرم الرأي المعارض من فرص الاعلام المتاحة للحكام؟

أسأل الله لكم التوفيق والسداد.

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام.

فؤاد سراج الدين

سكرتير عام الوفد المصري

ورئيس حزب الوفد الجديد.

بعد أن قرأ الرئيس السادات خطاب سراج الدين، لم يكتف بمنع نشره، بل أوعز إلى أجهزته الاعلامية برفع درجة الهجوم على الرجل وحزب الوفد، وقرر الانتقام.

الشيء الثابت أن قانون العزل السياسي صدر من أجل عدة أشخاص وفديين هم بالإضافة إلى سراج الدين: (عبد الفتاح حسن نائب رئيس الحزب يومها، ابراهيم فرج سكرتير عام الحزب، الأستاذ حامد زكي عضو الهيئة العليا للحزب، والدكتور زكي عبد المتعال وزير المالية الوفدي السابق...).

وحين اعتقل السادات قادة مصر ووضعهم في السجن (أيلول - سبتمبر ١٩٨٠) كان من بين الداخلين فؤاد سراج الدين، وحدث أثناء التحقيق مع المعتقلين بالجملة الذي أجراه المدعي الاشتراكي أن وجه إلى سراج الدين تهمة مخالفة قانون العزل السياسي بنشره حديثاً صحفياً في لندن، فأجاب سراج الدين بأنه لم يدل بأي حديث لا لتلك الصحيفة ولا لغيرها منذ أن حل الوفد نفسه، وبعد حادث المنصة خرج الرجل من السجن لمقابلة الرئيس حسني مبارك، وأمام القصر الجمهوري وتحت أضواء التلفزيون وكاميرات التصوير رفض سراج الدين الادلاء بأي

تصريح وقال:

إن قانون العزل يحرم علي الادلاء بأي حديث، وحين يلغى هذا القانون سأتحدث اليكم..

وفور عودة القيادة من السجن رفع الحزب دعوى قضائية أمام محكمة القضاء الاداري للمطالبة بإلغاء قراري المدعي الاشتراكي بعزل فؤاد سراج الدين رئيس الحزب وابراهيم فرج سكرتير عام الحزب عزلاً سياسياً، وبطلان قراري المدعي الاشتراكي..

ومنذ ذلك التاريخ والرجل ملتزم جانب الصمت إلى أن أصدرت المحكمة قرارها برفع العزل وحق الحزب بممارسة نشاطه كما سبق وأشرنا.

هنا لابد من الاشارة إلى أن رسالة سراج الدين إلى السادات قد وقعت بإسم الرجل وصفته الرسمية (سكرتير عام الوفد المصري، ورئيس حزب الوفد الجديذ) فكتب السادات بخطه في ذيل الرسالة:

(يعاقب باعتقاله عند صدور الأمر) وقد أضاف السادات اسم سراج الدين بخط يده على قائمة اعتقالات (سبتمبر ـ أيلول) ١٩٨٠ .

# حزب الوفد القديم الجديد

بعد صدور قرارات المحكمة برفع العزل السياسي عن بعض قادة حزب الوفد، دعا الدكتور (نعمان جمعة) السكرتير العام المساعد لحزب الوفد إلى مؤتمر صحفي جرى في قاعة الاجتماعات بقصر الأستاذ فؤاد سراج الدين في (جاردن سيتي) لم تستمر وقائعه أكثر من ١٠ دقائق، ألقى خلالها الدكتور نعمان بيانه حول عزم حزب الوفد على معاودة نشاطه في حضور (١١) عضواً من أعضاء الهيئة التأسيسية العليا للحزب لم يكن بينهم سراج الدين الذي كان ما يزال في الاسكندرية يوالي جولته على المناطق لتأسيس فروع للحزب.

حضر المؤتمر الصحفي من أعضاء الهيئة العليا التأسيسية:

(أحمد حسين ناصر المحامي، الدكتور عبد الله عدلي بباوي، علي ابراهيم سلامة عضو سابق في مجلس الشعب عن دائرة الجيزة، علوي حافظ عضو سابق بمجلس الشعب عن دائرة الدرب الأحمر، كرم زيدان من كبار تجار سوق الفرج وعضو سابق عن ذات الدائرة، أحمد عثمان أباظة، من أعيان الشرقية، اللواء بالمعاش عبد المنعم حسين عضو سابق في مجلس الشعب عن دائرة مركز دمنهور، ابراهيم فرج المحامي) وعدد من قدامى الوفديين وكبار المثقفين منهم، الدكتور عبد الحميد حشيش الأستاذ

بكلية الحقوق ـ جامعة القاهرة ـ ومحمد فهيم أمين المحامي، وحامد الأزهري المحامي.

وفي البيان الذي ألقاه الدكتور نعمان جمعة فوض الحاضرون من أعضاء اللجنة التأسيسية الأستاذ فؤاد سراج الدين اعلان الغاء «تجميد» نشاط الحزب نظراً لأن الأسباب التي من أجلها جمد نشاط الحزب في حزيران ـ يونيو ـ ١٩٧٨ قد زالت في معظمها، ولأن ما تبقى من هذه الأسباب في سبيله إلى الزوال.

وقال بيان السكرتير العام المساعد الذي حرص على أن يستخدم عبارة (تجميد الحزب لنشاطه) بدلاً من (حل الحزب لنفسه) ان أعضاء اللجنة التأسيسية يعتقدون أن الأمور قد تبدلت تبدلاً كلياً منذ أن تولى الرئيس مبارك مسؤولياته في رئاسة الدولة (اكتوبر ١٩٨١) وأن حزب الوفد قرر إنهاء تجميد نشاطه السياسي وفقاً لبرنامجه ونظامه الداخلي في حدود الشرعية وأحكام الدستور.

بهذا القرار أصبح الأستاذ فؤاد سراج رئيساً لحزب الوفد ومنفذاً لسياسته، وعلى هذا يعود إلى الأضواء:

مايسترو التنظيمات الشعبية... دينامو المناورات الحزبية... نصف قرن من الصراعات السياسية، ومعارك النصر والهزيمة، متنقلاً ما بين الصعود والهبوط... الحكم والمعارضة... مقاعد السلطة وزنزانات السجون... قمة الثراء وقمة الكبرياء بعد زوال الثراء... ذلك هو فؤاد سراج الدين... العائد إلى المسرح السياسي المصري، من أوسع أبوابه، متوكئاً على سلطان القضاء... مفترشاً سجادة المعارضة... رافعاً لواء الليبرالية والحقوق الديمقراطية... متربعاً على عرش الوفد... ضمير الأمة وتراثها النضالي لدى بعض المؤرخين. والأمة نفسها لدى سلفه الراحل الزعيم مصطفى النحاس.

على هذا النحو يعود سراج الدين إلى ملعب السياسة المصرية قطباً بين نجوم اللاعبين، والأكثر دراية بمفاتيح اللعبة وتطويع أوراقها. . . في يده رصيد تاريخي مكشوف. . . فهو مؤسس الاتحاد العام لنقابات العمال، ونجم حكومة الغاء المعاهدة مع بريطانيا، وتبني الكفاح الشعبي المسلح ضد الاحتلال. . . وزير الداخلية الذي رفض طلب الملك فاروق بإطلاق الرصاص على الطلبة الذين كانوا يهتفون بسقوط الملك[1]. . . صاحب البيان التاريخي الذي اتهم فيه الملك والانكليز بحرق القاهرة فاعتقل من جرائه ولم يفرج عنه إلا قبيل حركة الضباط الأحرار بأسابيع قليلة. .

بعد الثورة والغاء الأحزاب، زج به في السجن طويلاً، وأفرج عنه ثم سرعان ما عاد إليه. . . شنّ عليه السادات حملة من الاتهامات شبهه خلالها بلويس السادس عشر، حتى خيل للكثيرين أن التشبيه تهيئة لاعدامه. . باشا ابن باشا، وقد رد سراج الدين على السادات بقوله:

(إن زعماء مصر الخالدين كانوا كلهم باشوات ابتداء من عرابي وانتهاء بالنحاس).

وبعد:

إن كل هذا يعتبر من الماضي، فماذا عن الحاضر؟

العودة المثيرة للأستاذ فؤاد سراج الدين إلى الساحة دفعت برجال الصحافة المحلية والعربية والدولية إلى الحوار مع الرجل، محاولة استشفاف معالم المستقبل.

ماذا يُشغل حزب الوفد. .

مع من سيتحالف. . ؟

(١) يحيا النحاس وليسقط زيد من الناس . . . النحاس سيد الناس حتى على النقراشي مداس .

رأيه في الأزمات الشعبية ومعاناة الناس . .

ماذا يقول سراج الديـن ونائبه الدكتور وحيد رأفت؟

ما هو موقف الحزب من اتفاقيات كامب ديفيد، وجنوح سياسة مصر الخارجية باتجاه رياح أمريكا . . و . . و . . عشرات الأسئلة التي انهالت على سراج الدين والدكتور رأفت تطلب منهما الاجابة عليها بصراحة .

وبـدأ اسم سراج الـدين، واسم الدكتـور وحيد رأفت يحتـل الأمكنـة البارزة في الصحافـة العربيـة والأجنبية والمحليـة . . فالاسم الـذي كان من المحرم ذكره في هذه الصحف، كل الصحف، أصبح الآن خبراً رئيسياً .

قبـل استعراض آراء الحـزب ومشاريعـه وخـططه المستقبليـة لابـد من التوقف قليلاً عند شخصية الدكتور (وحيـد رأفت) الذي يحتـل الآن مركـز نائب رئيس الحزب .

إن الدكتور وحيد رأفت هو من الشخصيات القانونية البارزة في الوطن العربي، ومن نجوم القانون في مصر (عبد الرزاق السنهوري باشا، الأستاذ مصطفى مرعي ، الدكتور وحيد رأفت) .

تولى مناصب قـانونيـة بارزة، وعنـدما تـولى حزب الـوفد الحكم عـام ١٩٥٠ كـان يشغـل منصب مستشـار للرأي في مجلس الـدولـة لـوزارتي الخارجية والعدل، وعندمـا بدأ قـادة حزب الـوفد ومنهم صـديقه الـدكتور محمـد صلاح الـدين وزير الخـارجية آنـذاك، يفكـرون في إلغـاء معـاهـدة ١٩٣٦ ، استـدعاه مصـطفى النحاس رئيس الحكـومة وفؤاد سـراج الدين وزير الداخلية، وكلفاه بإعداد الـوثائق الخـاصة بـإلغاء المعـاهدة وبتعـديل الـدستور وبـإعداد مشـروع دستـور مـوقت للحكم في السـودان في الفتـرة الانتقالية بعد الغاء الاتفـاقية المصـرية الخـاصة بـالسودان الصـادرة في عام ١٨٩٩ .

لقد استمر التعاون بين قادة الوفد والدكتور رأفت حتى إقالة النحاس وحكومته في ٢٦ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٥٢، ثم تولى الدفاع بعد استقالته من الحكومة عن بعض أقطاب الوفد الذين قدموا إلى محكمة الغدر، إحدى المحاكم الاستثنائية التي أنشأتها الثورة عند النظر في قضايا تطهير الأحزاب، وكان دفاعه عن عثمان محرم باشا وزير الأشغال الوفدي سبباً رئيسياً في وقوف المحكمة موقفاً يختلف عن موقفها تجاه القضايا الأخرى التي عرضت عليها، وحين بدأ سراج الدين يعمل لاعادة الحزب طلب منه الانضمام إلى الحزب عند تأسيسه، وقد قبل المهمة لقناعته بحاجة البلاد إلى معارضة قوية لايجاد قدر من التوازن بين الحكومة والمعارضة.

هذا هو الرجل الذي يحتل الآن مركز نائب رئيس الحزب.. فكيف يفكر؟

إن الدكتور رأفت حين يتكلم، يتكلم كرجل قانون بموضوعية وبصراحة... لا يهمه رضي البعض أو غضبوا، بل يهمه ارضاء الحقيقة.. ولو قمنا بتلخيص تصريحاته لوجدنا أفكاره تختلف عن أفكار رجال السياسة الذين تعاقبوا على الحكم..

قال في أول تصريح له:

(... حزب الوفد الجديد هو امتداد للقديم، فقد كان برنامج القديم ينحصر في البداية في نقطتين:

تحرير البلاد من الاحتلال الأجنبي، وتخليص البلاد من الحكم الملكي المطلق وهو ما تحقق، أما البرانامج الجديد فهو برنامج شامل كان قد ضم برنامجاً بتخفيف الضغط على موانينا بفتح موانيء جديدة، كما طالب بعدم الاكتفاء بمطار دولي واحد هو مطار القاهرة وضرورة تعدد هذه المطارات، وهذا يدل على النظرة الواقعية التي اتسم بها برنامج الحزب وقد تناول

برنامج الوفد الجديد العديد من القضايا الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني مصر منها، على سبيل المثال مشكلة الاسكان، وهذه مشكلة خطيرة، وخطورتها ناتجة وفق رأي الدكتور وحيد رأفت عن سياسة قصر النظر التي اتبعتها الحكومات المصرية السابقة على امتداد ربع قرن من وضع العراقيل في سبيل استثمار المال في إقامة مساكن جديدة لملاحقة الزيادة السكانية المضطردة، وقد خفضت الايجارات ثلاث مرات على الأقل في تلك الفترة مما أثنى المواطنين على التفكير في استثمار أموالهم في بناء مبان جديدة، مما استدعى إعادة النظر في هذه السياسة. . ويقول الرجل: ونحن في الحزب نرى ألا تعالج مشاكل الاسكان على أساس تميز صالح أحد الجانبين على حساب الأخر، وإنما على أساس العدالة المطلقة، فليس من المعقول أن تظل ايجارات المباني لمدة ثلاثين عاماً بدون تعديل بل وتخفض بينما الأسعار جميعاً في ارتفاع مضطرد حتى أصبح ايجار بعض الشقق وسط القاهرة بضع جنيهات لا تكفي لشراء حذاء بينما يستمتع بعض المستأجرين بهذه الايجارات المخفضة فيأجرون شققهم مفروشة بمئات الجنيهات. ولذلك نطالب بضرورة تشييد مالا يقل عن ٢٠٠ ألف وحدة سكنية كل عام للوصول الى قدر متوازن من العرض والطلب. . وذلك من ميزانية الدولة.

ويؤكد الدكتور رأفت أن من يقرأ برنامج الوفد يشعر بأن هناك جديداً في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية. .

ويقول الدكتور وحيد رأفت بوضوح:

لقد ذكر الأخ فؤاد سراج الدين أكثر من مرة بأن الوفد ليس في نيته اطلاقاً أن يعيد الماضي أو يتجاهل ثلاثين عاماً من تاريخ الدولة، فالثورة لم تنشأ في بلاد الواق الواق وانما نشأت هنا في هذا البلد، فهي جزء من تاريخ مصر أردنا أم لم نرد. . ويضيف الدكتور رأفت: جمال عبد الناصر. وأنور السادات شخصيتان بارزتان في تاريخ مصر في القرن

العشرين قد تكون لها أخطاء، ولكن حسناتهم كثيرة، نحن لسنا ضحايا الثورة، بل على العكس نحن شهود على ما حدث فيها، ومن ثم لنا الحق في أن ننتقد أية سيئات أو مثالب فيها، نعترف بحقائق الثورة والمميزات التي أحدثتها، وأنا مندهش حقاً لأنهم لم يقيموا حتى الآن تمثالاً لجمال عبد الناصر، وسأكون سعيداً لو رأيت في مصر تمثالاً للرجل، لأنه شخصية بارزة في تاريخ مصر، قد تكرهه وقد تحبه.. له حسنات كثيرة إلى جانب سيئات ضخمة وكبيرة منها التعذيب، والقضاء على الحريات ومراكز القوى، ولكن هذا لا ينفي أنه أشاد بالقومية العربية، وكانت نيته خالصة تجاه تحرير مصر تحريراً كلياً من الاستعمار..

ويقول الرجل:

هناك بعض النقد وجه إلى الأستاذ فؤاد سراج الدين لكونه من الماضي، هذا افتئات على الحقيقة إن الأستاذ فؤاد سراج الدين لديه خبرة، وقد وصل بين الماضي والحاضر وهذه هي الاستمرارية في العمل السياسي... لا توجد دولة ينقطع تاريخها إلى قطاعات مختلفة، ليست هناك فواصل في تاريخ أية دولة، هناك أحداث عظيمة، وعلى ذلك فإن ميزة حزب الوفد هو الاستمرارية... استمرارية السياسة نفسها مع اختلاف الجو والمناخ والمتغيرات... فالحمقى والأغبياء هم الذين لا يتغيرون... حتى رجال الماضي إن حنوا إلى الماضي فهم يدركون أن الظروف التي تمر بها الآن تختلف عن تلك التي مرت بها مصر قبل ١٩٥٢..

ويمضي الدكتور وحيد رأفت شارحاً برنامج الوفد فيقول:

لقد تحدثنا في برنامجنا عن ضرورة توسيع الناحية الدستورية، وتحدثنا عن أمور تتعلق بالتعليم، والايجارات الزراعية والأزهر وغيره... وعامة فإن البرنامج قابل للتعديل.

لقد اهتمت الصحافة الأجنبية بموقف حزب الوفد من السياسة الخارجية، فأجرت جريدة التايمس اللندنية حواراً مع الدكتور وحيد رأفت (١٩٨٤/٢/٢٨) عن موقف الحزب من السياسة الخارجية، قال فيه:

(... يجب أن يكون لجميع الأحزاب خطوط واضحة في هذا الشأن، (شأن السياسة الخارجية) حتى لا ندخل السياسة الخارجية في مجال التنافس والمزايدات لأن هذا يسيء إلى مصر، ولا يفيدها في شيء.. فالهجوم المستمر على (كامب ديفيد) عبارة عن تعطيل لسياسة الدولة.. إن هذه الاتفاقية عبارة عن ورقتين، الأولى وهي خاصة بالمعاهدة مع اسرائيل، ولقد حصلنا بواسطتها على تحرير سيناء، أما الورقة الثانية فهي الاعتراف باسرائيل وهذا متعلق باسرائيل أكثر مما يتعلق بنا، فإذا احترمت اسرائيل توقيعها يمكن البحث في الموضوع، ولكننا ما نزال نرى تصرفات اسرائيل غير مطابقة لشروط الاعتراف بها كما نصت الورقة الثانية.. وهنا نلاحظ فيما يتعلق بحقوق الفلسطينيين، بأن الورقة الثانية فشلت تماماً ولكن ليس هذا خطأ مصر وانما خطأ اسرائيل التي تريد تفسيرها على هواها، فالحكم الذاتي تفسره على أنه حكم محلي لا يتعدى المجالس البلدية، بينما المقصود بمفهومنا لاتفاقية كامب ديفيد أن يكون حكماً ذاتياً كاملاً يوصل إلى الاستقلال التام وفقاً لميثاق الأمم المتحدة. والخطأ ليس خطأ مصر، وانما خطأ اسرائيل. إن سياسة الحزب قائمة على أساس اعادة مصر إلى الحياد الايجابي بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، وحين تعود مصر إلى الحياد الايجابي فعلاً لا قولاً لن يكون هناك أي معنى لمقاطعة بعض الدول العربية لمصر).

وسألت جريدة (لوموند الباريسية) الدكتور وحيد رأفت ١٩٨٤/٢/١٧ عن رأيه بما يقال في بعض الأوساط الأجنبية بأن الوفد متعاطف مع سياسة الولايات المتحدة.. فأجاب الرجل بحزم (وفق تعبير الجريدة):

(. . . هـذه تهمة غـريبـة، فـالـوفـد لا يمكن أن يقـوم أبـداً بمبـاركـة أمريكية. . . القول لا أساس لـه من الصحة عـلى الاطلاق. . فليست لنـا علاقة خاصة بالولايات المتحدة عـلى الميدان الـدولي. . أو أية دولـة أخرى من الدول. . حزب الوفد موجود أصلاً منذ عام ١٩١٩ أي قبل أن تـظهر الولايات المتحدة على الميدان الدولي، استعنا بها لكي تنقذنا من الاحتـلال البريطاني ولا نسمح بالتدخل في شؤوننا الداخلية، وليست لنا صلة خاصة بها إطلاقاً. . فوجودنا على أساس شعب مصر، نعتمد على التأييـد الشعبي لا على تأييد أية دولة، بل نرفض كلية أن يقوم عندنا حزب يتلقى الـوحي من دولة أجنبية، فهذا مبدأ مرفوض تماماً) .

وتسأل مجلة (افريكا آسيا) الدكتور رأفت (١٩٨٤/٢/٨) عن سيـاسة الحزب الاقتصادية فيجيب:

(. . نحن نؤمن بالاقتصاد الحـر، لا ارضاء لأمـريكا أو سـواها، ولا يهمنـا رضـاء هـذه الـدولـة أو غضب تلك، فـإذا اتفق مسـارنـا في بعض الاتجاهات الرأسمالية الوطنية، أو بعبارة أخرى البورجوازية أو الليبـرالية، فنحن ضـد تدخـل الدولـة في الاقتصاد تـدخـلاً عميقـاً، نحن نؤمن بـأن الابتكار الحر هو أساس التقدم وهذه ليست خطيئة، كون الولايات المتحدة أو غيرها تشجع أو لا تشجع، فنحن لا نعتمد على أي تـأييد من أيـة جهة أجنبية. . ونحن بالأصل لا نريد مجافـاة أمريكـا، ثم لماذا نستعـديها، إنني آخذ على بعض الأحزاب الأخرى وصحفها هذا الهجوم المستمر على كل ما هـو أمريكي، وهـذه بلا شـك تفعل هـذا لاحلال طـرف آخر هـو الاتحاد السوفييتي محل الـولايات المتحـدة تحت ستار تحقيق تـوازن بين القـوتين. . وهذا خطأ بنظرنا، إن سياسة مصر يجب أن تكون سياسة الحيـاد الايجابي، وهذه السياسة تنقذنا من خطر السقوط في هذا المعسكر أو ذاك) .

هذا رأي نائب رئيس الحزب، فما هو رأي رئيس الحزب؟

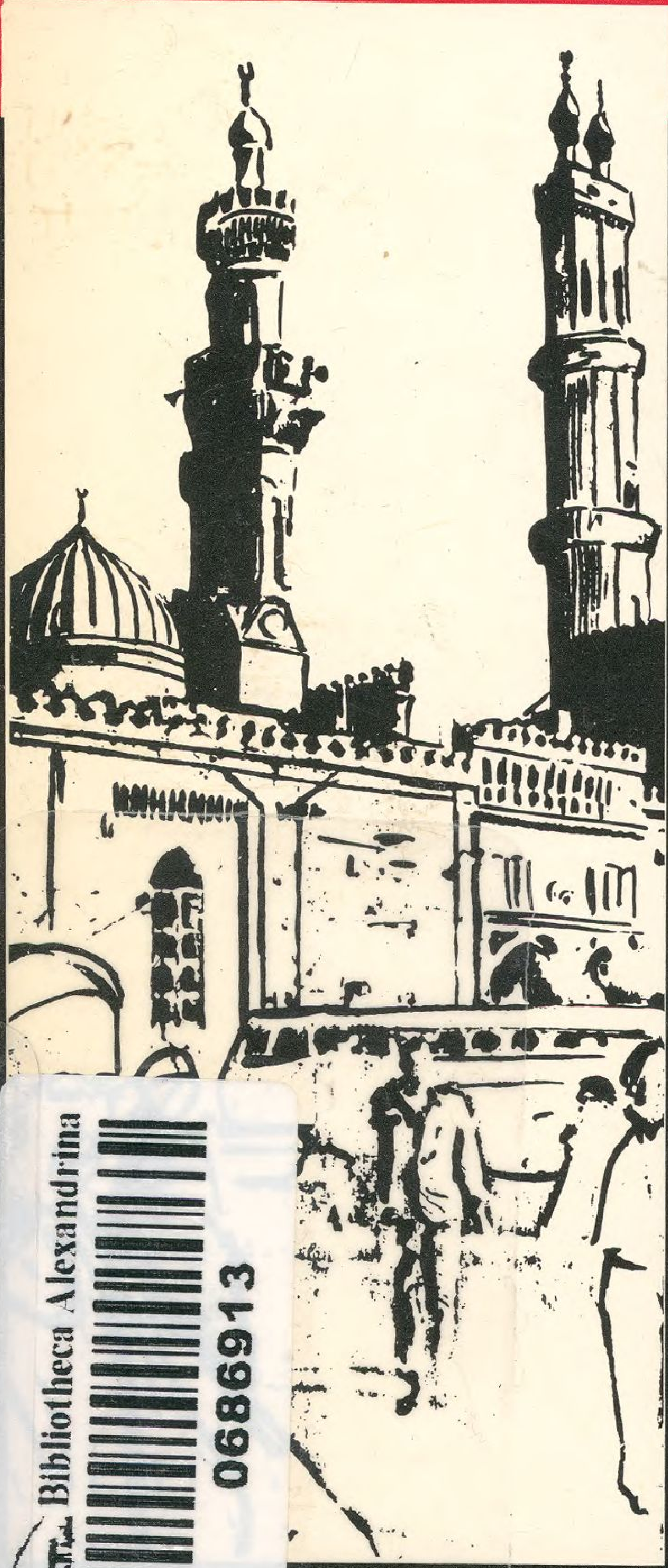
بعد أن أصبح لحزب الوفد جريدته « الوفد »، أخذ الأستاذ فؤاد سراج الدين يلعب دور وزير الاعلام في حزب الوفد ، إنه يدلي بأكثر من تصريح يومياً حين يكون في القاهرة ، ويصر على أنه ليس للوفد نوايا بالمساس بحقوق العمال والفلاحين ، وأن الحزب سيدرس موضوع الانتخابات بعناية ، وعلى ضوء النتائج يتقرر مصير التحالفات أثناء المعركة .

ويقول:

- الآن الشعب آمن، لم تعد حقيبتي جاهزة للسجن، كنت فيما مضى أجهز حقيبة للسجن في الصيف، وحقيبة أخرى للشتاء. . . كل هذا انتهى الآن.

- نحن الحزب الوحيد في المعارضة القادر على املاء الفراغ السياسي في مصر. . ونحن نتطلع إلى شرف الأمة في المعركة الانتخابية.

# الفهرس



□ . . . وأخذت كتابك وشرعت أقرؤه حين أويت إلى سريري في المساء، ورأيتني أنجزه حين اكتهل الليل وأوشك أن يميل ميزان النهار . !

وما كان كتابك أن ينفي الكرى عن مقاعد أجفاني، لولا أن الفصل فيه يغري بالذي يليه . ! إنها الرشاقة في الأسلوب تشد القارىء الى الكاتب! إنها الطرافة في السرد مع الحرارة في العرض، وكأني بك تتحدى من يأتلف معك أو يختلف أن يعرض عن قراءتك إذا استطاع أو أن يزهد في مطالعتك إذا قدر!

أحييك، واستزيدك من مثل هذه الكتابة ففيها أدب وتاريخ، وفيها أنس ووفاء، وفيها مروءة وولاء . . . طابت أنفاسك.

الاستاذ اكرم زعيتر



اقرأ
للنشر والتوزيع والطباعة